الْمُنْتَقَى مِنْ شُرُوحِ

ثلاثة الأصول

وأدلّتُها

تَصْنِيفُ الإِمَامِ

مُحمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

اَلشَّيْخ مُحَمَّد بِنْ إِبْرَاهِيم

اَلشَّيْخ عَبْدَ اَلرَّحْمَن بِنْ قَاسِم

اَلشَّيْخِ عَبْدَ اَلْعَزِيزْ بِنْ بَاز

اَلشَّيْخِ مُحَمَّد بِنْ عُثَيْمِين

اَلشَّيْخ صَالِح اَلْفَوْزَان

اَلشَّيْخُ عَبْدَ اَلرَّحْمَن اَلْبَرَّاك

اَلشَّيْخُ عَبْدَ اَللَّه اَلْقِصَيِّر

اَلشَّيْخُ عَبْدُ اَللَّه اَلْغُنَيْمَانْ

اَلشَّيْخُ صَالِح آلْ اَلشَّيْخ

اَلشَّيْخِ عَبْدَ اَللَّه اَلْفَوْزَان

اَلشَّيْخُ صَالِح اَلْعُصَيْمِي

اَلشَّيْخُ عَبْدَ اَلْمُحسِن اَلْقَاسِم

انْتَقَاهُ عَبْدُ اَللَّه آل عَبْدُ اَلْمُحْسِن

وَقْفٌ لِلَّهِ تَعَالَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ حَقِّ اَلطَّبْعِ وَالنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

اَلطَّبْعَةِ اَلْأُولَى

١٤٣٥ هـ

اَلطَّبْعَةِ اَلثَّانِيَةِ

١٤٤٣ هـ

مَزِيدَةً وَمُنَقَّحَةً

دَارُ اَلْفُرْقَانِ

لِلطِّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، أما بعد:

فإن رسالة (ثلاثة الأصول وأدلتها)(١) للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله رسالة موجزة جامعة في موضوع توحيد الربوبية والألوهية والولاء والبراء وغير ذلك من

---

(١) هذا العنوان هو أول ما عنونت به هذه الرسالة في طباعتها الأولى، ومنها على سبيل المثال مجيء الرسالة بهذا العنوان (ص:٩٥) في مجموع طبع بدار المعارف في مصر بتصحيح ومراجعة أحمد محمد شاكر، وقال جامعها محمد النجار: إنه فرغ من جمعها في ٢٤/ ٣/ ١٣١٦ هـ، ولها عناوين أخرى. فراجع: (عقيدة الشيخ محمد عبد الوهاب) للدكتور صالح العبود: (ص: ١٣٢).

المسائل المتعلقة بعلم التوحيد، الذي هو من أشرف العلوم وأجلها قدراً، كتبها الشيخ رحمه الله مقرونة بالدليل بأسلوب سهل ميسر لكل قارئ؛ فأقبل الناس عليها حفظاً وتدريساً؛ لأنها كتبت بقلم عالم جليل من علماء الإسلام نهج منهج السلف الصالح داعياً إلى التوحيد ونبذ البدع والخرافات وتنقية الإسلام مما علق به من أوهام. ويظهر ذلك جلياً في معظم مؤلفات الشيخ ورسائله، فجاءت هذه الرسالة خلاصة وافية لمباحث مهمة لا يستغني عنها المسلم ليبني دينه على أسس سليمة وقواعد صحيحة؛ ليجني ثمرات ذلك سعادة في الدنيا وفلاحاً في الدار الآخرة. [**عبد الله الفوزان**].

وهي من أنفع المتون المؤلفة في أصول الدين وقد تلقاها طلبة العلم والعامة بالحفظ والمدارسة لكونها قاعدة في العقيدة، ولقد وهب الله عز وجل الإمام العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله حسن التصنيف ودقة الترتيب. وقوة الاستدلال مع جزالة اللفظ وجمال البيان، وقد جاءت (ثلاثة الأصول) شاملة لذلك قال عنها حفيد المصنف الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فما أعظم نفعها على اختصارها لطالب الهدى»(١).
ففيها الأصول الواجب على الإنسان معرفتها من معرفة العبد ربه وأنواع العبادة التي أمر الله بها، ومعرفة العبد دينه، ومراتب الدين، وأركان كل مرتبة، ومعرفة النبي ﷺ في نبذة من حياته، والحكمة من بعثته، والإيمان بالبعث والنشور، وركنا التوحيد وهما الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. ولكونها قاعدة في العقيدة فقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يلقنها الطلبة والعامة، قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

---

(١) الدرر السنية (٤/ ٣٣٨).

«وقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: يلقن الطلبة والعامة هذه الأصول ليدرسوها ويحفظوها ولتستقر في قلوبهم لكونها قاعدة في العقيدة»(١). وكانت تقرأ على الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ويشرحها كل يوم(٢).

وقد صُدِّرت ثلاثة الأصول بثلاث رسائل نافعة عظيمة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هي قواعد في الدين:

الأولى: منها في وجوب العلم والعمل به والدعوة إليه والصبر على الأذى فيه.

والثانية: في توحيد الربوبية والألوهية والولاء والبراء.

والثالثة: في بيان التوحيد وضده.

وبذلك جاءت ثلاثة الأصول مع ما صدِّرت به من الرسائل مكتملة العقد في أصول الدين، ودرة مضيئة للعابدين الموحدين، قال عنها الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: «هذه رسالة مهمة في العقيدة»(٣).

ولأهميتها وغزير نفعها وحاجة المسلم إليها كان العلماء يحثون الولاة لإلزام الناس بتعلمها وفهمها، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: «فيلزم الأمير أن يأمر على جميع المدرسين وأئمة المساجد بالحضور عند من يعلمهم دينهم ويلزمهم القراءة فيما

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن باز (ص: ٢١).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (١/ ١٢).

(٣) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن باز (ص: ٢١).

جمعه شيخنا رحمه الله في كتاب التوحيد من أدلة الكتاب والسنة التي فيها الفرقان بين الحق والباطل فقد جمع على اختصاره خيراً كثيرا وضمنه من أدلة التوحيد ما يكفي مَنْ وفقه الله، وبين فيه الأدلة في بيان الشرك الذي لا يغفره الله، ويلزمهم سؤال العامة عن أصول الدين الثلاثة بأدلتها وأربع القواعد»(١). وكتب الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله لأئمة المساجد آمراً لهم تعليم جماعة المسجد ثلاثة الأصول وأن يعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم عنها قال رحمه الله: «وكذلك عليكم - أي الأئمة - تعليم الجماعة أمر الدين وسؤالهم عنه كما في (مختصر ثلاثة الأصول) فيتعين على كل إمام مسجد إبلاغ جماعته بذلك ويعقد لهم مجلساً يومياً يسألهم فيه عن أمور دينهم ويعلمهم ما يخفى عليهم منها»(٢). **[عبد المحسن القاسم]**.

والمختصرات طريق المطولات. لا يمكن أن تفهم المطولات إلا بعد فهم المختصرات والتدرج منها شيئًا فشيئًا؛ ولهذا قالوا في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] إن الربانيين هم الذين يبدؤون بصغائر مسائل العلم قبل كباره، يربون أنفسهم وطلابهم ابتداء من المسائل الصغيرة إلى المسائل الكبيرة، وهذا شيء طبيعي؛ لأن كل الأشياء تبدأ من أصولها وأساساتها ثم تكبر وتعظم بعد ذلك.

---

(١) الدرر السنية (٤/ ٣٣٨).

(٢) فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم (٢/ ٢٧٧).

فأما الذي يهجم على العلم هجوما من أعلاه، فهذا يتعب ولا يحصل على شيء، بينما الذي يبدأ من الأصول ويتدرج هذا هو الذي بإذن الله يسير مع الطريق الصحيح والاتجاه السليم. [**صالح الفوزان**].

والشيخ رحمه الله تعالى له رسالة أخرى بعنوان: (الأصول الثلاثة) رسالة صغيرة أقل من هذه علمًا؛ ليعلمها الصبيان والصغار تلك يقال لها (الأصول الثلاثة) وأما (ثلاثة الأصول) فهي هذه، ويكثر الخلط بين التسميتين، ربما قيل لهذه ثلاثة الأصول، أو الأصول الثلاثة، لكن تسميتها المعروفة أنها: (ثلاثة الأصول وأدلتها).

إعراب ثلاثة الأصول وأدلتها:

ثلاثة: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه (هذه ثلاثة) خبر مرفوع بالابتداء وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف.

الأصول: مضاف إليه مجرور بالتبعية وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

الواو: عاطفة.

أدلةُ: معطوف على ثلاثة مرفوع بالتبعية؛ تبعية العطف، وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف.

ها: ضمير متصل مبني على السكون في محل جر بالإضافة. [**صالح آل الشيخ**].

عملي في هذ الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

فيقول العبد الفقير صاحب البضاعة المزجاة، ليس لي في هذا الكتاب من جهد سوى الاختيار والانتقاء من كلام العلماء، قال ابن عبد ربه: وقد ألفت هذا الكتاب وتخيرت جواهره من متخير جواهر الآداب ومحصول جوامع البيان، فكان جوهر الجوهر ولباب اللباب، وإنما لي فيه تأليف الاختيار، ... مأخوذ من أفواه العلماء، ومأثور عن الحكماء والأدباء. واختيار الكلام أصعب من تأليفه.

وقد قالوا: اختيار الرجل وافِدُ عَقْله. وقال الشاعر:

قَدْ عَرَفْنَاكَ بِاخْتِيَارِكَ إِذْ كَا   نَ دَلِيلًا عَلَى اللَّبِيبِ اخْتِيَارُهُ

وقال أفلاطون: عقول الناس مدونة في أطراف أقلامهم، وظاهرة في حُسْن اختيارهم[1].

وبحسبي أني جمعت لك المتفرق، وجعلته لك في متناول اليد على مائدة واحده، تنتقي منه أطايب الكلام، وقد اختصرت الطريق على طلبة العلم لمن أراد تدريس هذا المتن والتفقه فيه.

أما ما يتعلق بتخريج الأحاديث فإنني اكتفيت بعزو الحديث إلى مصادره.

---

(١) العقد الفريد (١/ ٢-٤).

ولم أذكر الجزء والصفحة في النقل لصغر حجم المتن، ولوضوح الموضع فحيث رجعت إلى الفقرة في المتن من مؤلف الشيخ وجدت كلامه تحتها.

والمراجع التي انتقيت منها هي:

١- شرح ثلاثة الأصول من تقريرات سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ. والتي قيدها الشيخ عبد الرحمن بن قاسم. وطبعت بتحقيق عبد المحسن القاسم.

٢- حاشية بن قاسم على ثلاثة الأصول للشيخ عبد الرحمن بن قاسم.

٣- شرح ثلاثة الأصول لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز.

٤- شرح ثلاثة الأصول لسماحة الشيخ محمد بن عثيمين.

٥- شرح ثلاثة الأصول لسماحة الشيخ صالح الفوزان.

٦- شرح ثلاثة الأصول لسماحة الشيخ عبد الرحمن البراك.

٧- إفادة المسئول عن ثلاثة الأصول للشيخ عبد الله القصير.

٨- المحصول من شرح ثلاثة الأصول للشيخ عبد الله الغنيمان.

٩- حصول المأمول بشرح ثلاثة الأصول للشيخ عبد الله الفوزان.

١٠- شرح ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ صالح آل الشيخ.

١١- شرح ثلاثة الأصول وأدلتها للشيخ صالح العصيمي.

١٢- تيسير الوصول شرح ثلاثة الأصول للشيخ عبد المحسن القاسم.

قال السيوطي رحمه الله: لما ألف مالك موطئه قيل له: ما الفائدة في تصنيفك؟، فقال: ما كان لله بقي[1]. وعن البويطي قال: قلت للشافعي: إنك تتعبنا في تأليف الكتب وتصنيفها والناس لا يلتفتون إليك ولا إلى تصنيفك، فقال لي: إن هذا هو الحق والحق لا يضيع[2]. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [الرعد: ١٧].

فالله أسأل أن يبقي ذكره ويبارك فيه كما بارك في أصله إنه جواد كريم. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) تدريب الراوي (١/ ٩٣).

(٢) تاريخ مدينة دمشق (٥١/ ٣٦٥).

ترجمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، من المشارفة أحد فروع الوهبة، من قبيلة تميم.

ولد الشيخ عليه رحمة الله عام ١١١٥ هـ في بلدة العيينة، وتلقى فيها علومه الأولية. فتعلم القرآن وحفظه على ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم وقاد الذهن ذكي القلب سريع الحفظ، واجتمع له مع هذه الملكات وراثة علمية ووسط ديني صالح تربى فيه، فجده كان عالمـاً جليلاً، ووالده قاضي المدينة؛ فأخذ عن مشايخ بلده ثم رحل في طلب العلم إلى الحجاز واليمن والبصرة، فحاز علومـاً وحفظ متونـًا، قرأ كثيراً من كتب الحديث والتفسير والأصول، وعني عناية خاصة بمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم، وتأثر بأفكارهما واستنار بآرائهما مما كان له أثر واضح على دعوة الشيخ ومنهجه.

عاد الشيخ من هذه الرحلات العلمية المباركة إلى حريملاء حيث كان والده قد انتقل إليها من العيينة لخلاف بينه وبين أميرها، فدرس على والده في حريملاء ودعا إلى توحيد الله تعالى وبين بطلان ما عليه عباد القبور.

ولما توفي والده عام ١١٥٣ هـ أعلن دعوته إلا أنه ما لبث أن قرر أن حريملاء لا تصلح أن تكون منطلقـاً للدعوة فانتقل منها فيما يقارب عام ١١٥٥ هـ إلى العيينة فناصره أميرها عثمان بن معمر أول الأمر ثم خذله؛ فانتقل الشيخ إلى الدرعية وهيأ الله له الأمير محمد

بن سعود فقويت وانتشرت دعوته فأخذ ينشر التوحيد ويجاهد في إحياء السنة وإماتة البدعة، ويدرس العلوم النافعة ويؤلف الكتب على طريقة السلف الصالح وأخذ عنه كثيرون وخلف من التلاميذ الكبار من نفع الله بهم الإسلام وأهله كما نفع به.

وقد مد الله تعالى في عمر الشيخ فعاش في الدرعية بعد انتقاله إليها قرابة خمسين عاماً قضاها في الدعوة إلى الله وتطبيق مبادئها بهدم القباب المقامة على القبور وقطع الأشجار التي يتبرك بها الناس وإقامة الحدود والجهاد والعمل على نشر الدعوة فقرت عينه بانتصار كلمة الحق وشمولها أجزاء الجزيرة، وقد وافته المنية يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ١٢٠٦ هـ كان عمره نحو اثنين وتسعين سنة، ومات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم.

رحم الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين الجزاء الأوفى[1]. [**عبد الله الفوزان**].

---

(١) هذه الترجمة مأخوذ من عدة مصادر، وقد ترجم للشيخ كثيرون، انظر كتاب: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، للدكتور صالح العبود (ص: ٦٥).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تشرع البداءة بالبسملة في كل أمر ذي بال اهتداءً بالقرآن العظيم، وتأسياً بالنبي الكريم ﷺ.

والجار والمجرور في «بِسْمِ اللهِ» متعلق بفعل محذوف مقدر متأخر يناسب المقام فإنه أدل على المراد، وقدر فعلاً من أجل أن الأصل في العمل الأفعال، وحذف من أجل البداءة باسم الله تعالى ولإفادة الحصر؛ لأن تقديم المتعلق يفيد الحصر.

ولفظ الجلالة «اللهِ»: عَلَم على ذات الله تعالى خاص به ولا يسمى به غيره، وأصله مشتق من: أُلِه إلَاهَةً، أي: عُبِد يُعْبَدُ عِبَادَةً، فهو إله بمعنى: مألوه، أي: معبود؛ لأنه تعالى هو الإله الحق المعبود بالحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه، فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. ومعنى «الرَّحْمَنِ»، أي: ذو الرحمة الواسعة التي عمت كل شيء وشملت كل حي. ومعنى «الرَّحِيمِ»، أي: الذي يرحم برحمته من يشاء من خلقه. و «الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»: اسمان مختصان بالله تعالى لا يطلقان على غيره. **[عبد الله القصير]**.

ومعلوم شرعية ابتداء الرسائل والكتب بالبسملة، واقتداء بالكتاب العزيز، وتأسياً بالنبي ﷺ في مكاتباته ومراسلاته، وعملاً بحديث: «كُلُّ أمْرٍ ذِي بالٍ - أي: حال وشأن

يهتم به شرعـًا – لَا يُبْدأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهوَ أَقْطَعُ»(١) وفي رواية: «أَجْذَمُ»، وفي رواية: «أَبْتَرُ»، والمعنى من جميع الروايات: ناقص البركة. [**محمد بن إبراهيم**].

والبداءة بها للتبرك والاستعانة على ما يهتم به. واقتصر على البسملة؛ لأنها من أبلغ الثناء والذكر وللخبر. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

وقد ورد في صحيح البخاري في كتاب بدء الوحي: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ»(٢)... قوله: «بسم الله»، هذا جار ومجرور متعلق بمحذوف يقدر متأخراً، والقاعدة في متعلق الجار والمجرور أنه يقدر متقدمـًا، وهذا هو الأصل لكن في البسملة يقدر متأخراً؛ ليحصل التبرك بالبدء بالبسملة، وأما نوعية المقدر فإنه يقدر بما يناسب المقام، فالذي يقرأ يكون التقدير: «بسم الله أقرأ»، والذي يكتب إذا قال: «بسم الله الرحمن الرحيم»، يعني: بسم الله أكتب، وعلى هذا يقاس باقي الأفعال، فإذا قال: «بسم الله أكتب»؛ حصلت البداءة ببسم الله، ولكن لو قال: «أكتب بسم الله»؛ لصارت البداءة بغير البسملة لهذا يقدر المتعلق متأخراً.

قال ابن القيم رحمه الله: «الرحمن» دال على الصفة القائمة به سبحانه، و«الرحيم» دال على تعلقها بالمرحوم فكان الأول للوصف والثاني للفعل، فالأول دال على أن الرحمة صفته، والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته، وإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٢٨)، وابن ماجه (١٨٩٤)، وأحمد (٨٧١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧)، ومسلم (١٧٧٣).

١١٧] ولم يجئ قط: (رحمن بهم). فعلم أن رحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته[١]. [**عبد الله الفوزان**].

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ

(اعلم) ولا تكن جاهلاً بأمور الدين وسأذكر لك مسائل مهمة في أصول الدين حقيق أن تهتم بها غاية الاهتمام وأن تصغي إليها حقيقة الإصغاء وأنا أدعو لك بالرحمة قائلاً (رحمك الله) أي أسأل الله أن ينزل عليك رحمته التي تحصل بها على مطلوبك وتنجو بها من محذورك، وهذا دأب الناصحين يدعوك إلى الهداية، ويدعو لك بالخير فيجمع بين التعليم والدعاء، وهذا من حسن عناية المصنف رحمه الله ونصحه وقصده الخير للمسلمين. [**عبد المحسن القاسم**].

ومعنى (اعلم): فعل أمر من العلم، أي تعلم، والعلم: هو إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع أو تصور الشيء على طِبق الواقع. وإدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع أو تصور الشيء على خلاف الواقع فهو الجهل وهو ضد العلم. [**صالح الفوزان**].

ومراتب الإدراك ست:

الأولى: العلم هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا.

---

(١) بدائع الفوائد: (١/ ٢٤).

الثانية: الجهل البسيط وهو عدم الإدراك بالكلية.

الثالثة: الجهل المركب وهو إدراك الشيء على وجه يخالف ما هو عليه.

الرابعة: الوهم وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد راجح.

الخامسة: الشك وهو إدراك الشيء مع احتمال مساو.

السادسة: الظن وهو إدراك الشيء مع احتمال ضد مرجوح.

والعلم ينقسم إلى قسمين: ضروري ونظري.

فالضروري ما يكون إدراك المعلوم فيه ضرورياً بحيث يضطر إليه من غير نظر ولا استدلال، كالعلم بأن النار حارة مثلاً.

والنظري ما يحتاج إلى نظر واستدلال، كالعلم بوجوب النية في الوضوء. [**محمد بن عثيمين**].

(رحمكَ اللهُ) هذا فيه التلطف، وفيه تنبيه إلى أن مبنى هذا العلم على التلطف، وعلى الرحمة بالمتعلمين لأنه دعا له بالرحمة وكان العلماء يَروُون ويُروُّون لمن بعدهم فيمن طلب الإجازة في الحديث رواية حديث: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ»(1)، قال العلماء سبب ذلك أن مبنى هذا العلم الرحمة، ونتيجته الرحمة في الدنيا، وغايته الرحمة في الآخرة، لهذا الشيخ رحمه الله نبه على ذلك تنبيها لطيفا دقيقا؛ لأن مبنى التعلم بين المعلم والمتعلم هو التراحم كلٌّ بما يناسبه. [**صالح آل الشيخ**].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي (١٩٢٤)، وأحمد (٦٤٩٤).

ومن آكد الرحمة رحمة المعلمين بالمتعلمين، في تلقينهم أحكام الدين، وترقيتهم في منازل اليقين. ومن طرائق رحمتهم: إيقافهم على مهمات العلم؛ بإقراء أصول المتون، وتبيين مقاصدها الكلية، ومعانيها الإجمالية؛ ليستفتح بذلك المبتدئون تلقيهم، ويجد فيه المتوسطون ما يذكرهم، ويطلع منه المنتهون إلى تحقيق مسائل العلم. [**صالح العصيمي**].

أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا تَعَلُّمُ أَرْبَع مَسَائِلَ

أي: يلزم كل فرد من أفراد المكلفين - ذكراً كان أو أنثى، حراً أو عبداً - تعلم أربع مسائل: جمع مسألة، من السؤال: وهو ما يبرهن عنه في العلم. والواجب: ما لا يعذر أحد بتركه، وعند الأصوليين: ما يثاب فاعله ويعاقب تاركه. فيجب على كل فرد منا العلم بهذه الأربع المسائل. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

والعلم شرعا: إدراك خطاب الشرع. ومرده إلى المعارف الثلاث؛ معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه ﷺ.

فالعلم المطلوب شرعا له وصفان - وفق ما ذكره المصنف -: أحدهما: ما يطلب منه، وهو ما تعلق بمعرفة الله، ومعرفة دينه، ومعرفة نبيه ﷺ، وهذا هو علم الشرع.

والآخر: ما يطلب فيه، وهو اقترانه بالأدلة، فتكون تلك المعرفة علماً حال اقترانها بالأدلة. والجار والمجرور في قول المصنف: (بالأدلة)؛ متعلق بالمعارف الثلاث كلها؛ فمعرفة الأصول الثلاثة لا بد من اقترانها بالأدلة.

ومقصوده من اقتران تلك المعرفة بالأدلة: اعتقاد العبد اعتقادا جازما أن ما آمن به ربا ودينا ورسولا ثابت بالأدلة الشرعية، فإذا أعتقد أحاد المسلمين أن ما آمنوا به شهدت بصحته أدلة شرعية مقطوع بها؛ كفاهم في كون معرفتهم عن دليل؛ فلا يلزمهم معرفة أفراد الأدلة، فضلًا عن الاستنباط، وثبوت مأخذ الحكم ومنزع الفهم في نفوسهم؛ هذا معنى كون تلك المعرفة حاصلة بالأدلة. وليس مقصودة بذكر الأدلة إيجاب اقتران كل مسألة بدليلها، فإن هذا مما يعسر على عموم الخلق، ويتعذر حصوله منهم.

وهذه المعرفة المبينة هي المعرفة الإجمالية؛ وهي معرفة عامة الخلق التي تجب على كل أحد، فالعوام يكفيهم معرفة أن ما آمنوا به من رب ودين ورسول ثابت بأدلة وبراهين شرعية، فمتى اعتقدوا ذلك اعتقادا جازما كانت تلك المعرفة مصححة دينهم، واقعة عن دليل، أما المعرفة التفصيلية بها فوق ذلك ففرض كفاية، وقدر ما يجب منها يختلف باختلاف أعيان الخلق وأحوالهم؛ فالواجب على الحاكم، والعالم، والمفتي، والقاضي، والمعلم، غير ما يجب على غيرهم؛ لأنه اقترن بهم من حال تستدعي من المعرفة التفصيلية في حقهم ما لا يستدعى في غيرهم. فمعرفة الشرع المأمور بها نوعان: أحدهما: المعرفة الإجمالية؛ وهي: معرفة أصول الشرع وكلياته، ويتعلق وجوبها بالخلق كافة، فهي فرض عين على كل أحد. والآخر: المعرفة التفصيلية؛ وهي: معرفة تفاصيل الشرع، ويتعلق وجوبها بآحاد من الخلق؛ لمعنى اقترن بهم؛ كالحكم، أو القضاء، أو الإفتاء. [**صالح العصيمي**].

اَلْمَسْأَلَةُ الأُولَى

الْعِلْمُ: وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ ﷺ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بالأَدِلَّةِ.

العلم: ما قام عليه الدليل، وهو: إدراك العلوم، أي: إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا، ويراد به هنا العلم الشرعي وهو العلم النافع الذي جاء به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق.

فالعلم شرعـًا: معرفة الهدى أو الحق بدليله، وهو المراد بالعلم عند الإطلاق شرعـًا أي: في القرآن والسنة ولسان السلف الصالح، والعلم الشرعي قسمان:

فرض عين: وأصله ما ضمنه المؤلف رحمه الله المسألة الأولى وهو ما لا يسع المكلف جهله ففرض العين واجب على الذكر والأنثى والحر والعبد من المكلفين فلا يعذر أحد بالجهل به فإنه من مراد النبي ﷺ بقوله: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ»[1]، وذلك: كمعرفة أركان الإسلام وأصول الإيمان، وحقيقة الإحسان، والإيمان والتصديق بكل ما أخبر الله به ورسوله إجمالاً. والعلم بما يجب من كيفيات العبادات وشروطها وواجباتها وما يبطلها وما يجب اجتنابه من المحرمات وما يحتاج إليه من المعاملات، ونحو ذلك مما لا يسع المسلم جهله، فإن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٢٤)، والبزار (٦٧٤٦)، وأبو يعلى (٢٨٣٧).

أما القدر الزائد من العلم على ما يحتاج إليه المكلف فهو من فروض الكفايات وجليل الأعمال الصالحات، فالعلم الشرعي هو ميراث النبوة ووسيلة الجنة وسبيل الاصطفاء وآية الخير والاهتداء، فأسعد الناس دنيا وأخرى أطلبهم له وأحفظهم له وأفقههم فيه وأصوبهم وأخلصهم عملاً به وهدى إليه وصبراً لله تعالى وبه عليه وألزمهم له حتى لقاء الله تعالى عليه. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] الآية. وصح عن النبي ﷺ قوله: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهُّ فِي الدِّينِ»[١]، وقوله ﷺ: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[٢]، وقوله ﷺ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَه أَخَذَ بِحَظٍّ وافر»[٣].

والنصوص في فضل العلم الشرعي والبشارة لأهله العاملين به بعظيم الأجور ورفيع الدرجات وأعلى المقامات في الدنيا والآخرة كثيرة لا تحصى، وما ذاك إلا لأن العلم له ثمرات كثيرة وعواقب مباركة على أهله والمجتمع الذي يظهر فيه.

فبه يعرف الله وحقه وفضله، فيخشى ويتقى، ويعبد ويخلص له في القصد، وبه يعرف النبي ﷺ، وهديه ورحمة الله تعالى به للناس، وبه يعرف حسن الإسلام، وفضل الله به على الخاص والعام، وتؤدى الحقوق إلى أهلها، وبه يعرف الحلال من الحرام، وبه

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٥)، وأحمد (٢٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥).

توصل الأرحام، وبه تتقى الآثام، وبه يحفظ الإسلام ويظهر، وبه تصان الحرمات ويهتدى إلى الكرامات.

وهو نعم الدليل على العمل الصالح، والمرغب به بذكر الفضل، والحامل على الثبات والدوام عليه، وخير معين على الإخلاص لله عز وجل فيه. [**عبد الله القصير**].

وهذا ما يسميه العلماء بالواجب العيني، وهو الذي يجب على كل أحد من المسلمين، فالصلوات الخمس على الرجال والنساء، وصلاة الجماعة في المساجد على الرجال هذا واجب على كل فرد من المسلمين أن يتعلمها؛ ولذلك قال: يجب علينا، ولم يقل: يجب على بعضنا، وإنما قال: يجب علينا، يعني معشر المسلمين، فهذا من العلم الذي يجب تعلمه على الأعيان؛ لأن العلم على قسمين:

الأول: ما يجب تعلمه على الأعيان، فلا يعذر أحد بجهله وهو ما لا يستقيم الدين إلا به، مثل أركان الإسلام الخمسة التي هي: الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، لا يجوز لمسلم أن يجهلها بل لا بد أن يتعلمها.

لأن تعلم معنى الشهادتين إنما هو تعلم العقيدة، يتعلم المسلم العقيدة من أجل العمل بها، ويتعلم ما يضادها من أجل أن يتجنبه، هذا مضمون الشهادتين، كذلك يتعلم أركان الصلاة وشروط الصلاة، وواجبات الصلاة، وسنن الصلاة، يتعلم بالتفصيل هذه الأمور، ليس مجرد أنه يصلي وهو لا يعرف أحكام الصلاة. كيف يعمل الإنسان عملا وهو لا يعلم هذا العمل الذي يؤديه؟ كيف يؤدي الصلاة وهو جاهل بأحكامها؟ فلا بد أن يتعلم أحكام الصلاة، ومبطلات الصلاة، لا بد من تعلم هذا.

كذلك يتعلم أحكام الزكاة، ويتعلم أحكام الصيام، ويتعلم أحكام الحج، فإذا أراد أن يحج وَجَبَ عليه تعلم أحكام الحج وأحكام العمرة، من أجل أن يؤدي هذه العبادات على الوجه المشروع. وهذا القسم لا يعذر أحد بجهله، وهو ما يسمى بالواجب العيني على كل مسلم.

القسم الثاني من أقسام العلم: فهو ما زاد عن ذلك من الأحكام الشرعية التي تحتاجها الأمة بمجموعها وقد لا يحتاجه كل أحد بعينه مثل أحكام البيع وأحكام المعاملات، وأحكام الأوقاف والمواريث والوصايا، وأحكام الأنكحة، وأحكام الجنايات، هذه لا بد منها للأمة، لكن لا يجب على كل فرد من الأمة أن يتعلمها بل إذا تعلمها من يحصل به المقصود من العلماء كفى هذا؛ ليقوموا بحاجة المسلمين من قضاء وإفتاء وتعليم وغير ذلك، هذا يسمى واجب الكفاية الذي إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركه الجميع أثموا جميعا.

لا بد للأمة من أناس يتعلمون هذا القسم لأنهم بحاجة إليه؛ لكن ما يقال لكل واحد: يجب عليك أن تتفقه في هذه الأبواب؛ لأنه قد لا يتأتى هذا لكل أحد، وإنما يختص هذا بأهل القدرة وأهل الاستطاعة من الأمة، ولأنه إذا تعلم هذا بعضُ الأمة قام بالواجب، بخلاف القسم الأول فكل واحد مسؤول عنه في نفسه، لأنه لا يمكن أن يعمل هذه الأعمال إلا عن علم، ولهذا قال الشيخ: يجب علينا، ولم يقل: يجب على المسلمين، أو يجب على بعضهم، بل قال: يجب علينا، أي على كل واحد منا وجوبا عينيا.

ولنعلم أيضا قبل الدخول في المسائل أن المراد بالعلم الذي يجب على الأمة إما وجوبا عينيا أو كفائيا أنه العلم الشرعي الذي جاء به الرسول ﷺ.

أما العلم الدنيوي كعلم الصناعات والحِرَف والحساب والرياضيات والهندسة، فهذا العلم مباح يباح تعلمه وقد يجب إذا احتاجت الأمة إليه، يجب على من يستطيع لكن ليس هو العلم المقصود في القرآن والسنة والذي أثنى الله تعالى على أهله ومدحهم والذي قال فيه النبي ﷺ: «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ»(١) المراد العلم الشرعي.

وأما العلم الدنيوي فمن جهله فلا إثم عليه، ومن تعلمه فهو مباح له، وإذا نفع به الأمة فهو مأجور عليه ومثاب عليه، ولو مات الإنسان وهو يجهل هذا العلم لم يؤاخذ عليه يوم القيامة لكن من مات وهو يجهل العلم الشرعي خصوصا العلم الضروري فإنه يسأل عنه يوم القيامة، لِمَ لَمْ تتعلم؟ لماذا لَمْ تسأل؟ الذي يقول إذا وضع في قبره: ربي الله والإسلام ديني ونبيي محمد ﷺ هذا ينجو، يقال له: من أين حصَّلت هذا؟ يقول: قرأت كتاب الله وتعلمته.

أما الذي أعرض عن ذلك فإنه إذا سئل في قبره فإنه يقول: هاه هاه لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته، فهذا يؤجج عليه قبره نارا - والعياذ بالله - ويضيق عليه فيه حتى تختلف أضلاعه، ويصبح في حفرة من حفر النار؛ لأنه ما درى ولا تلا، فيقال له: «لَا دَرَيْتَ، وَلَا تَلَيْتَ»(٢) فهو لم يتعلم ولم يَقْتَدِ بأهل العلم، وإنما هو ضائع في حياته، فهذا الذي يؤول إلى الشقاء والعياذ بالله. [**صالح الفوزان**].

(هو معرفة الله) معنى معرفة الله: أن يتعرف العبد على ربه بما تعرف به إلينا في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من أسمائه وصفاته وأفعاله.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

ومعرفة الله أحد مهمات الدين، والجهل به سبحانه من التفريط في أمور الدين، قال ابن القيم رحمه الله: قد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته (١).

والإنسان لا يكون على حقيقة من دينه إلا بالعلم بربه، ولهذا كان أساس دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، قال ابن القيم رحمه الله: مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى (٢). ومن سلك الطريق الموصل إليه تعالى سلك طريق معرفته، وعلى قدر معرفة الله يكون تعظيم الرب في القلب، ومن عرف الله أحبه، قال ابن القيم رحمه الله: من عرف الله بأسمائه وصفاته وأفعاله، أحبَّه لا محالة (٣).

ومعرفة الله وإفراده بالعبادة هو سبب السعادة في الدارين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: اللذة والفرحة والسرور وطيب الوقت والنعيم الذي لا يمكن التعبير عنه، إنما هو في معرفة الله سبحانه وتعالى وتوحيده والإيمان به (٤). [**عبد المحسن القاسم**].

(ومعرفة نبيه) الله جل وعلا ما خلق الجن والإنس إلا لغاية واحدة وهي الابتلاء ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ﴾ [هود: ٧]، أي: الاختبار. اختبار في أي شيء؟ في عبادته، هل يُعبد وحده لا شريك له أم يتخذ المخلوق آلهة أخرى مع الله جل وعلا؟ وهذه مسألة ولا شك عظيمة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٩٥).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٥١).

(٣) مدارج السالكين (٣/ ١٧).

(٤) فتاوى شيخ الإسلام (٢٨/ ٣١).

الإنسان خلق لهذه الغاية، لكن يحتاج إلى من يبصره بهذه الغاية، ويعلمه القصد من خلقه ويعلمه كيف يصل إلى عبادة ربه على الوجه الذي يرضى به الله جل وعلا عنه، فبعث الله جل وعلا رسلاً مبشرين ومنذرين يدلون الخلق إلى وعلى خالقهم، يعرفونهم بمن يستحق العبادة وحده، ويعرفونهم بالطريق التي أذن من خلقهم أن يعبدوه بها، قال جل وعلا لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، وكل أمة قد خلا فيها نذير، كما قال جل وعلا: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [فاطر: ٢٤]، نذيرٌ ينذرهم ويبشرهم، يبشر من أطاعه وينذر عصاه. ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]. فثبت بهذه النصوص أن الله جل وعلا لم يترك الخلق وشأنهم بعد أن خلقهم، بل بعث لهم رسلاً يعلمونهم ويهدونهم ويبصرونهم الطريق التي يرضي الله جل وعلا بها أن يعبدوه، بها دونما سواها من الطرق الموصلة، وتلكم الطريق طريق واحدة ليست بطرقٍ متعددة كما قال جل وعلا: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، فهو صراط واحد وهناك صُرُطٌ أخرى هي صُرُطُ أهل الضلال والجهل والغواية والهوى، أما الطريق الموصل إلى الله جل وعلا فهو طريق المرسلين الذي جاؤوا به من عند الله جل وعلا، وهو دين الإسلام العام، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، الاستسلام لله جل وعلا بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله، الرسل بينوا للناس هذه الغاية ودلوهم على عبادة الله جل وعلا وحده دونما سواه، فقامت العدواة بين الرسل وبين أقوامهم في هذا الأصل، حيث إن الخلق يريدون أن يعبدوا الله جل وعلا بالطريقة التي يحبون، لا بالطريق التي يحبها الله جل وعلا.

ولهذا قال بعض أئمة السلف: ليس الشأن أن تُحِبَ ولكن الشأن أن تُحَب. يعني ليس الشأن أن تحب الله، فإن محبة الله جل وعلا يدعيها المشركون يدعيها الضالون، كل قوم بُعِثت إليهم الرسل يدعون أنهم يريدون وجه الله، يريدون ما عند الله، يحبون وربما يتصدقون ويصلون ويدعون ويصلون ويتقربون وما فعل أهل الجاهلية –جاهلية العرب– منا ببعيد، لكن ليس الشأن أن يحب المحب ربه، ولكن الشأن أن يحب العبد ربه، الشأن أن يحب الله جل وعلا العبد، متى يكون ذلك؟ لابد أن يبحث العبد عن سبيل محبة الله جل وعلا له، هذا السبيل بينه الله جل وعلا في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾ زعمـًا ﴿فَٱتَّبِعُونِى﴾ طاعة ﴿ يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]. فإذاً سبيل محبة الله للعبد هي طاعة الرسل واتباع الرسل، وخاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ الذي ببعثته وبرسالته نُسِخَت جميع الرسالات ونسخت جميع الكتب من قبله ﷺ. فبقي للناس طريق واحد يصلون به إلى ربهم جل وعلا ألا وهو طريق محمدٍ ﷺ، إذ هو الواسطة العملية بالإتباع في الوصول إلى الله جل وعلا، فمن اتبع واهتدى بغير هدىِ النبي ﷺ، فهو من الضالين الذين تنكبوا سبيل الحق. هذه المسألة إذا استقرت في قلب العبد قادته إلى كل خير، يعلم أنه ما خلق إلا لغاية، ما هذه الغاية؟ هي عبادة الله وحده دونما سواه، كيف أعرف طرق هذه العبادة؟ باتباع النبي ﷺ. فتلخص الدين في هذه المسألة العظيمة. **[صالح آل الشيخ]**.

(ومعرفة دين الإسلام) الذي هو دين هذا الرسول ﷺ بل هو دين الله عز وجل الذي أمر به عباده، والذي أمرك باتباعه وأنت مطالب به لا بد أن تعرف هذا الدين والإسلام هو دين جميع الرسل، كل الرسل دينهم الإسلام بالمعنى العام، فكل من اتبع رسولا من الرسل فهو مسلم لله عز وجل منقاد له، موحد له، هذا الإسلام بمعناه العام، إنه دين

الرسل جميعا، فالإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك وأهله.

أما الإسلام بمعناه الخاص فهو الذي بعث الله به نبيه محمدا ﷺ لأنه بعد بعثة الرسول ﷺ لا دين إلا دينه ﷺ، والإسلام انحصر في اتباعه ﷺ فلا يمكن لليهودي أن يقول: أنا مسلم، أو النصراني يقول: أنا مسلم، بعد بعثة النبي ﷺ وهو لا يتبعه، فالإسلام بعد بعثة النبي هو اتباعه ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] هذا هو الإسلام بمعناه العام وبمعناه الخاص. **[صالح الفوزان]**.

(بالأدلة): الأدلة جميع دليل وهو ما يرشد إلى المطلوب، والأدلة على معرفة ذلك سمعية، وعقلية، فالسمعية ما ثبت بالوحي وهو الكتاب والسنة، والعقلية ما ثبت بالنظر والتأمل، وقد أكثر الله عز وجل من ذكر هذا النوع في كتابه فكم من آية قال الله فيها ومن آياته كذا وكذا وهكذا يكون سياق الأدلة العقلية الدالة على الله تعالى.

وأما معرفة النبي ﷺ بالأدلة السمعية فمثل قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] الآية. وقوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وبالأدلة العقلية بالنظر والتأمل فيما أتى به من الآيات البينات التي أعظمها كتاب الله عز وجل المشتمل على الأخبار الصادقة النافعة والأحكام المُصلحة العادلة، وما جرى على يديه من خوارق العادات، وما أخبر به من أمور الغيب التي لا تصدر إلا عن وحي والتي صدقها ما وقع منها. **[محمد بن عثيمين]**.

والأدلة تكون من القرآن والسنة هذا هو العلم لا بالتقليد.

قال ابن القيم في الكافية الشافية:

الـعـلـم قـال الله قـال رسـولـه   قـال الـصحابة هـم أولو العرفان

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة   بين النصوص وبين رأي فلان

هذا هو العلم، العلم هو علم الكتاب والسنة، أما أقوال العلماء فهي تشرح وتوضح فقط كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وقد يكون فيها أو في بعضهما خطأ، والأدلة ليست كلام العلماء إنما الأدلة هي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وأما كلام العلماء فهو شارح وموضح ومبين لذلك لا أنه دليل في نفسه. [**صالح الفوزان**].

قال ابن القيم رحمه الله: كمال الإنسان مداره على أصلين: معرفة الحق من الباطل، وإيثار الحق على الباطل، وما تفاوتت منازل الخلق عند الله في الدنيا والآخرة إلا بقدر تفاوت منازلهم في هذين الأمرين[1]. ومعرفة الله ومعرفة نبيه ﷺ ومعرفة دين الإسلام، أول ما يسأل عنها العبد في القبر كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه مرفوعـًا وفيه: «فَيَأْتِيهِ – أي المؤمن – مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ»[2]. ومن كان يعرف هذه الأصول بأدلتها حري به أن يثبت عند سؤال الملكين في قبره، وقد ثبت في الحديث الصحيح السابق أن بعض الناس يقول: «هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي».

وإذا كان العامي يعتقد وحدانية الله ويعتقد بطلان ما يعبد من دون الله فهو مسلم، وإن لم يعلم الدليل. قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله: فرض على كل

---

(١) الجواب الكافي (ص:٩٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٥٥٧).

أحد معرفة التوحيد وأركان الإسلام بالدليل، ولا يجوز التقليد في ذلك، لكن العامي الذي لا يعرف الأدلة إذا كان يعتقد وحدانية الرب سبحانه ورسالة محمد ﷺ ويؤمن بالبعث بعد الموت، والجنة والنار، ويعتقد أن هذه الأمور الشركية التي تفعل عند هذه المشاهد باطلة وضلال، فإذا كان يعتقد ذلك اعتقاداً جازماً لا شك فيه فهو مسلم، وإن لم يترجم بالدليل، لأن عامة المسلمين ولو لقنوا الدليل، فإنهم لا يفهمون المعنى غالباً[١]. والسعي في طلب العلم لمعرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة الدين من أجل العبادات وأفضل من نوافلها، قال الزهري رحمه الله: ما عبد الله بشيء أفضل من العلم[٢].

وقال أحمد رحمه الله: طلب العلم أفضل الأعمال لمن صحت نيته[٣]. وهو الميراث النبوي ونور القلوب، وأهله هم أهل الله وحزبه وأولى الناس به وأقربهم إليه وأخشاهم له وأرفعهم درجات. وهو من أجل الأعمال. قال أحمد رحمه الله: العلم لا يعدله شيء[٤].

قال ابن القيم رحمه الله: وهو - أي العلم الشرعي - حياة القلوب ونور البصائر وشفاء الصدور ورياض العقول ولذة الأرواح، وأنس المستوحشين، ودليل المتحيرين، وهو الميزان الذي به توزن الأقوال والأعمال والأحوال، به يعرف الله ويعبد ويذكر ويوحد ويحمد ويمجد، وبه اهتدى إليه السالكون، ومن طريقه وصل إليه الواصلون، ومن بابه دخل عليه القاصدون، به تعرف الشرائع والأحكام، ويتميز الحلال من الحرام،

---

(١) الدرر السنية (٤/ ٣٣٩).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣/ ٣٦٥).

(٣) شرح منتهى الإرادات للبهوتي (١/ ٢٣٦).

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٤٥).

وبه توصل الأرحام، وهو إمام والعمل مأموم وهو قائد والعمل تابع، وهو الصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والأنيس في الوحشة، والكاشف عن الشبهة، والغنى الذي لا فقر على من ظفر بكنزه[١].

وحاجة الناس إلى العلم أشد من حاجتهم إلى المأكل والمشرب، قال الإمام أحمد رحمه الله: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشراب، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشراب في اليوم مرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم بعدد أنفاسه[٢].

وطلب العلم مفضل على الجهاد في سبيل الله، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الغدو والرواح في تعلم العلم أفضل عند الله من الجهاد في سبيل الله عز وجل[٣]. وقال الإمام أحمد رحمه الله: تعلم العلم وتعليمه أفضل من الجهاد وغيره[٤]. وقال الإمام أبو حنيفة ومالك رحمهما الله: أفضل ما تطوع به ا العلم وتعليمه[٥]. وقال ابن القيم رحمه الله: لا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء[٦].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٦٩).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٤٧٠).

(٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٤٣٠٣).

(٤) الإنصاف للمرداوي (٢/ ١٦٢ – ١٦٣).

(٥) منهاج السنة (٦/ ٧٥).

(٦) الفروسية لابن القيم (ص: ١٥٧).

والعلم أفضل ما عمرت به الأوقات، وخير ما أنفقت فيه الأنفاس وبذلت فيه المهج، قال النووي رحمه الله: اتفق جماعات السلف على أن الاشتغال بالعلم أفضل من الاشتغال بنوافل الصلاة والصوم والتسبيح ونحو ذلك من أعمال البدن [١].

ولم يأمر الله نبيه الازدياد من شيء إلا من العلم فقال عز وجل: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، ومن أراد الله به خيراً فقهه في الدين، قال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[٢].

والمراد من العلم: العلم الشرعي الذي يفيد معرفته ما يجب على المكلف من أمر دينه الذي لا حياة له إلا به إذ هو الجالب لخشية الله قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال ابن القيم رحمه الله: ولا عُبد الله وحده وحمد وأثني عليه ومجد إلا بالعلم، ولا عُرف فضل الإسلام على غيره إلا بالعلم، ولا عُرف الحلال من الحرام إلا بالعلم ولا فُضل الإسلام على غيره إلا بالعلم [٣].

ولا دليل إلى الله والجنة إلا الكتاب والسنة ولا صلاح للعباد في معاشهم ومعادهم إلا بالعلم بالله، وفي الجهل والغفلة عن العلم زوال النعم وحلول النقم. قال ابن القيم رحمه الله: فما خراب العالم إلا بالجهل، ولا عمارته إلا بالعلم وإذا ظهر العلم في بلد أو

---

(١) المجموع (٤/ ٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١٤).

محلة قل الشر في أهلها وإذا خفي العلم هناك ظهر الشر والفساد[1]. فعلى العاقل ألا يضيع أوقات عمره وساعات دهره إلا في طلب العلم النافع. [**عبد المحسن القاسم**].

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ: الْعَمَلُ بِهِ

العمل هو ثمرة العلم، فالعلم مقصود وهو بمنزلة الشجرة، والعمل بمنزلة الثمرة، فلا يمكن أن توجد الثمرة قبل وجود الشجرة. فلا بد مع العلم من العمل، فالذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل، وجاء في الحديث: «أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِعِلْمِهِ»[2]. [**محمد بن إبراهيم**].

وقوله: (العمل به) أي العمل بما تقتضيه هذه المعرفة من الإيمان بالله والقيام بطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه من العبادات الخاصة، والعبادات المتعدية، فالعبادات الخاصة مثل الصلاة، والصوم، والحج، والعبادات المتعدية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله وما أشبه ذلك.

والعمل في الحقيقة هو ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود. [**محمد بن عثيمين**].

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٢٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٦٤٢).

والعمل بالعلم منه ما تركه كفر، ومنه ما تركه معصية، ومنه ما تركه مكروه، ومنه ما تركه مباح، كيف يكون ذلك؟ العلم ينقسم، فالعلم بالتوحيد؛ بأن الله جل وعلا هو المستحق للعبادة وحده، إذا علمه العبد ولم يعمل بهذا العلم بأن أشرك بالله جل وعلا لم ينفعه علمه، فكان ترك العمل في حقه كفرا، وقد يكون معصية بأن علم مثلا أن الخمر حرام شُرْبها، حرام بيعها، حرام شراؤها، حرام سقيها، حرام استسقاؤها ونحو ذلك وخالف العلم الذي عنده، عَلِمَ أنه حرام فخالف، فتكون مخالفته معصية، يعني ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب في هذه المسألة، منه ما هو مكروه؛ إذا علم أن النبي ﷺ، كان يصلي على هيئة وصِفة معينة، فخالفه في سنة من السنن بعد عِلمه بها، ترك العمل بالعلم الذي عنده هذا مكروه؛ لأنه ترك العمل بسنة ليس بواجب، فيكون تركه مكروه، ويكون العمل بذلك مستحبا، وقد يكون العمل بالعلم مباحا، وتركه مباح أيضا، بمثل المباحات، والعادات ونحو ذلك، كأن بلغنا من العلم أن النبي ﷺ كان من هيئته في لباسه كذا وكذا، كانت مشيته على نحو ما، هذه الأمور الجبلية الطبيعية، فيما نتعلمه، مما لم نخاطب فيها بالاقتداء، إذا ترك العمل بها كان تركه مباحا له لأنه لم يخاطب المسلم أن يقتدي بمثل هذه الأمور بنحو سير النبي ﷺ بصوته بالأمور الجبلية التي كان عليها ﷺ فيكون العمل بذلك مباح، وقد يُؤجر عليه إذا نوى الاقتداء بنية الاقتداء فيكون ترك العمل أيضا مباحا. العمل هذا أخذه من قوله جل وعلا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. **[صالح آل الشيخ]**.

والعمل بالعلم، هو ثمرة العلم ومن أسباب رسوخه، قال بعض السلف: كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به(١). ومن عمل بما علم حفظ الله عليه علمه وأثابه علماً آخر ما لا يعرفه، كما أن العمل به من أسباب زيادة الإيمان، قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]، قال الشوكاني رحمه الله: زادهم إيماناً وعلماً وبصيرة في الدين (٢)، والسعيد من حقق العلم والعمل قال النووي رحمه الله: الحكمة: العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك(٣).

فإذا عمل الإنسان بعلمه بأن حافظ على فرائض الله، ولازم النوافل كالسنن الرواتب والوتر، وتلاوة القرآن والاستغفار بالأسحار، وألزم نفسه ساعة يجلسها في المسجد للذكر - وأحسن ما يكون بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس - فقد تسبب للعمل بعلمه، كذلك يجتنب مجالس اللغو والغفلة ويعادي مجالس أهل الغيبة وساقط الكلام، ويحفظ لسانه مما لا يعنيه، ومن لم يعمل بما علم حرم لذة العلم والخشية، وأوشك الله أن يسلبه ما علم وكان في عداد الجاهلين قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل بعلمه، فإذا عمل به كان عالماً (٤). ومن لم يعمل بعلمه فعلمه حسرة

---

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي (ص: ٩٠).

(٢) فتح القدير (٥/ ٣٥).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٣٣).

(٤) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٤٢٧).

عليه يوم الحساب، قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ»(١).

والذي معه علم ولا يعمل به شر من الجاهل، وهو أحد الثلاثة الذين تسعر بهم النار يوم القيامة (٢). [**عبد المحسن القاسم**].

والعمل الصالح هو التطبيق الفعلي للعلم وتحقيقه بامتثال الأمر فعلاً، وامتثال النهي تركـًا محبة لله تعالى وتعظيمـًا له، رغبة ورهبة هو ثمرة العلم النافع، ومن أعظم أسباب حفظه، والدليل على صحة فهمه، ومن موجبات الثبات على الأيمان وزيادة الهدى من الرحمن وكثيراً ما يقرن الله تعالى بين الإيمان الجازم والعمل الصالح ويرتب عليهما المثوبة العاجلة والآجلة، أما مجرد المعرفة والإقرار فلم ينفعا إبليس، والقول وحده فإنه لم يجعل فرعون مؤمنـًا، ولن ينجيه هو والمنافقين من النار. [**عبد الله القصير**].

لا يكفي أن الإنسان يعلم ويتعلم بل لا بد أن يعمل بعلمه، فالعلم بدون عمل إنما هو حجة على الإنسان، فلا يكون العلم نافعا إلا بالعمل، أما من عَلِمَ ولم يعمل فهذا مغضوب عليه؛ لأنه عرف الحق وتركه على بصيرة.

والناظم يقول:

وعالم بعلمه لم يعملن   معذب من قبل عباد الوثن

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧).

(٢) وهم المقاتل ومتعلم العلم والمنفق ماله الذين لم يكن قصدهم وجه الله إنما قصدهم ثناء الناس عليهم، كما في الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه (١٩٠٥).

كما أن العمل بدون علم يكون وبالا وضلالا على صاحبه، إذا كان الإنسان يعمل بدون علم فإن عمله وبال وتعب على صاحبه، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»(١).

ولهذا نقرأ في الفاتحة في كل ركعة ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧]. فسمى الله الذين يعملون بدون علم الضالين، والذين يعلمون ولا يعملون بالمغضوب عليهم. **[صالح الفوزان]**.

اَلْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ: الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ

أي: الدعوة إلى توحيد الله وطاعته، وهذه وظيفة الرسل وأتباعهم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ لأن الإنسان إذا كملت قوته العلمية بالعلم وقوته العملية بالعمل؛ فإن عليه أن يسعى إلى بذل الخير للآخرين تأسيًا برسل الله تعالى عليهم الصلاة والسلام. والدعوة إلى الله تعالى أمرها عظيم، وثوابها جزيل، كما قال النبي ﷺ: «فَوَ اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

والدعوة لا تؤتى ثمارها وتكون وسيلة إصلاح وبناء، إلا إذا كان الداعي متصفاً بما يكون سبباً لقبول دعوته وظهور أثرها. ومن ذلك:

١-التقوى: ويقصد بها كل معانيها من امتثال المأمور واجتناب المحظور، والتحلي بصفات أهل الإيمان.

٢-الإخلاص: بأن يقصد بدعوته وجه الله تعالى ورضاه، والإحسان إلى خلقه ويحذر من أن يقصد إظهار التميز على غيره. وإذلال المدعو بإشعاره بالجهل والتقصير.

٣-العلم: فلابد أن يكون الداعي عالماً بما يدعو به، ذا فهم لما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وسير السلف الصالح.

٤-الحلم وضبط النفس عند الغضب؛ لأن ميدان الداعية صدور الرجال ونفوس البشر، وهي متباينة ومختلفة كاختلاف صورهم وأشكالهم.

٥-أن يبدأ بالأهم فالأهم على حسب البيئة التي يدعو فيها. فمسائل العقيدة وأصول الدين تأتي في المقام الأول. وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»[1]...الحديث.

٦-أن يسلك في دعوته المنهج الذي نص الله عليه في كتابه الكريم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]. والحكمة معرفة الحق والعمل به والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان ﴿وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، وإلانة القول وتنشيط الموعوظ، ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ فيسلك كل طريق يكون أدعى للاستجابة: من الالتزام بالموضوع والبعد عن الانفعال والترفع عن المسائل الصغيرة في مقابل القضايا الكبرى حفظاً للوقت وعزة للنفس وكمالاً للمروءة[1]. **[عبد الله الفوزان]**.

والدعوة أمرها واسع، تكون بالقلب وتكون بالتعليم وتكون بالعمل بالاقتداء بأن يكون الإنسان قدوة ويدعو بعمله، ويكون كذلك بالمال ويكون بكتابة بيان حكم الله جل وعلا وحكم رسوله ﷺ، والدعوة إلى الجهاد وهو أهمها، والجهاد مراتب: منه ما هو فرض عيني، ومنه ما هو فرض كفائي، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[2]، ومعنى «يحدث نفسه» يعني يعزم وينوي أنه سيغزو في سبيل الله، فالجهاد مرتبتان: جهاد للنفس ضد الشيطان، وجهاد للكفار والمنافقين.

وجهاد النفس ثلاث مراتب: جهاد النفس في عمل الطاعات، وجهادها في الصبر عن المعاصي، وجهادها على المكاره من هذا وهذا.

ثم جهاد الشيطان يكون جهاد له فيما يلقيه من الشبهات والشكوك، وهذا يكون بالعلم، وجهاد له فيما يلقيه من الشهوات في النفوس التي تميل إليها والأمراض، أمراض القلوب؛ لأن المرض ينقسم إلى قسمين: مرض شهوة ومرض شبهة.

---

(١) انظر: مدارج السالكين: (٢/ ٤٧٨)، وتفسير ابن سعدي: (٣/ ٩٢)، ورسالة: مفهوم الحكمة في الدعوة للدكتور صالح بن حميد.

(٢) أخرجه مسلم (١٩١٠).

أما جهاد الكفار فيكون بالنفس وبالمال وباللسان، ويكون الجهاد بالقلب وبكراهتهم وبغضهم ومعاداتهم والعزم على إظهار ذلك والعمل عليه، ويكون بالمال بأن يجاهد بماله، ويكون بيده بنفسه، ويكون بلسانه، وجهاد الكفار والمنافقين كله بهذا، والله يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]. جاء هذا في آيتين من القرآن، ولكن جهاد الكفار باليد أخص، وجهاد المنافقين باللسان أخص يحتاجون إلى بيان أحوالهم وأوصافهم وما هم فيه، فهذا كله من العمل الذي يجب على الناس عموماً وخصوصاً، يعني منه ما هو فرض عين ومنه ما هو فرض كفاية، وجهاد الكفار بالنفس ذكر العلماء أنه يصبح فرض عين في ثلاث مواطن:

الموطن الأول: إذا حضر القتال، كل مسلم يحضر القتال بين المسلمين والكفار يجب عليه أن يقاتل وإلا يصبح من الذين تولوا يوم الزحف وهو متوعد بالنار نسأل الله العافية ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ هذا استثناء ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الأنفال: ١٦]. وهذا يدل على أنه فرض عين وهو المقصود.

الموطن الثاني: إذا داهم العدو البلد الذي فيه المسلم وجب عليه أن يجاهد ولا يجوز أن يتخلف فهو فرض عين على كل من كان فيها وهو قادر.

الموطن الثالث: إذا عينه إمام المسلمين، قال له أنت تجاهد، تعين عليه ووجب أن يجاهد. أما ما عدا ذلك فهو فرض كفاية، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين.

والجهاد لابد منه لأن هذه الحياة كلها جهاد وكفاح، أما أن الإنسان يجلس مسالمـًا لا يمكن أن ينجح بل يخسر لأنه تستولي عليه نفسه ويستولي عليه الشيطان، فيهلك إن لم يجاهد نفسه والشيطان. [**عبد الله الغنيمان**].

اَلْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ: الصَّبْرُ عَلَى الأَذَى فِيهِ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر: ١-٣]. قَالَ الشَّافِعِيُّ[1] رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ».

الصبر: حبس النفس على طاعة الله، وحبسها عن معصية الله، وحبسها عن التسخط من أقدار الله.

فيحبس النفس عن التسخط والتضجر والملل، ويكون دائمـًا نشيطـًا في الدعوة إلى دين الله وإن أوذى، لأن أذية الداعين إلى الخير من طبيعة البشر إلا من هدى الله قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وكلما قويت الأذية قرب النصر، وليس النصر مختصـًا بأن ينصر

(١) الشافعي: هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي نسبة إلى جده الرابع اسمه شافع، وهو من قريش، من بني المطلب، توفي سنة ٢٠٤هـ، وهو أحد الأئمة الأربعة.

الإنسان في حياته ويرى أثر دعوته قد تحقق بل النصر يكون ولو بعد موته بأن يجعل الله في قلوب الخلق قبولاً لما دعا إليه وأخذاً به وتمسكاً به فإن هذا يعتبر نصراً لهذا الداعية وإن كان ميتاً، فعلى الداعية أن يكون صابراً على دعوته مستمراً فيها. صابراً على ما يعترضه هو من الأذى، وها هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أوذوا بالقول وبالفعل قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، ولكن على الداعية أن يقابل ذلك بالصبر وأنظر إلى قول الله عز وجل لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا﴾ كان من المنتظر أن يقال فاشكر نعمة ربك ولكنه عز وجل قال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الإنسان:٢٣-٢٤]، وفي هذا إشارة إن كل من قام بهذا القرآن فلابد أن يناله ما يناله مما يحتاج إلى صبر، وأنظر إلى حال النبي ﷺ حين ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»[1] فعلى الداعية أن يكون صابراً محتسباً.

والصبر ثلاثة أقسام:

١-صبر على طاعة الله.

٢-صبر عن محارم الله.

٣-صبر على أقدار الله التي يجريها إما مما لا كسب للعباد فيه، وإما مما يجريه الله على أيدي بعض العباد من الإيذاء والاعتداء. [**محمد بن عثيمين**].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، ومسلم (١٧٩٢).

والمذكور من الصبر في كلام المصنف هو: الصبر على الأذى في العلم، والأذى من القدر المؤلم، فيكون الصبر على العلم من هذه الجهة من الصبر على حكم الله القدري. ولما كان العلم مأمورا به صار الصبر عليه أيضا من الصبر على حكم الله الشرعي. فيكون الصبر على الأذى في العلم باعتبار الوصف العارض صبرا على حكم الله القدري، وباعتبار أصل المأمور به صبرا على حكم الله الشرعي؛ فاجتمع فيه نوعا الصبر. [**صالح العصيمي**].

وقد يحصل للإنسان أذى، قد يتعب من المدعو أو غيره، من أهله أو غيرهم، فالواجب الصبر واحتساب الأجر عند الله. فالمؤمن يصبر على إيمانه بالله، ويصبر على العمل بما أوجب الله عليه، وترك ما حرم الله عليه، ويصبر في الدعوة إلى الله، والتعليم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فلا بد من الصبر في هذه الأمور كلها. فالدين كله يحتاج إلى صبر. صبر على دعوة الله وحده، وصبر على أن تصلي، وتزكي، وتصوم، وتحج، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وصبر عن المحارم والسيئات، فتحذر من قربها. فالإنسان إذا لم يصبر وقع فيما حرم الله عليه، أو ترك ما أوجب الله عليه. ولهذا قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطور: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]. وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. يعني اصبروا على طاعة الله، وترك معصيته. واحذروا مخالفة أمره وارتكاب نهيه. [**عبد العزيز بن باز**].

فيجب على الداعية أن يصبر، لأن سنة الله جل وعلا في خلقه، أنه لم يجعل القبول حاصلاً للنبيين والمرسلين الذين هم أفضل الخلق وأعلاهم درجة، بل إن النبي ﷺ أمر

بأن يحتذي حذو الصابرين، بقول الله جل وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. فالصبر في غاية المهمات لمن علم فعمل فدعى، يحتاج إلى أن يصبر، فإن لم يصبر كان من الذين يستخفهم الذين لا يوقنون، قال جل وعلا: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، وقد حذر النبي ﷺ أصحابه من العجلة، قال ﷺ: «وَلَكِنَّكُمْ قَوْمٌ تَسْتَعْجِلُونَ»(١). **[صالح آل الشيخ]**.

ومعلوم أن من دعا الناس وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فإنه سيتعرض للأذى من الأشرار؛ لأن كثيرا من الناس لا يريدون الخير بل يريدون الشهوات والمحرمات والأهواء الباطلة، فإذا جاء من يدعوهم إلى الله ويردهم عن شهواتهم فلا بد أن يكون منهم رد فعل بالقول أو بالفعل، فالواجب على من يدعو إلى الله ويريد وجه الله أن يصبر على الأذى وأن يستمر في الدعوة إلى الله، وقدوته في ذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام وخيرتهم وخاتمهم محمد ﷺ. ماذا لقي من الناس؟ وكم لقي من الأذى بالقول والفعل؟ قالوا: ساحر وكذاب، وقالوا: مجنون، وقالوا فيه من الأقوال التي ذكرها الله عز وجل في القرآن، وتناولوه بالأذى، قذفوه بالحجارة حتى أدموا عقبه ﷺ لما دعاهم إلى الله عز وجل، وألقوا سلا جزور على ظهره وهو ساجد عند الكعبة، وتوعدوه بالقتل وهددوه، وفي غزوة أحد جرى عليه وعلى أصحابه ما جرى ﷺ، كسروا رباعيته وشجوه في رأسه ﷺ ووقع في حفرة، وهو نبي الله، كل هذا أذى في الدعوة إلى الله عز وجل لكنه صبر وتحمل وهو أفضل الخلق ﷺ، فلا بد للذي يقوم بهذه الدعوة أن يتعرض للأذى على

---

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

حسب إيمانه ودعوته؛ ولكن عليه أن يصبر، ما دام أنه على حق فإنه يصبر ويتحمل فهو في سبيل الله وما يناله من الأذى فهو في كفة حسناته أجر من الله سبحانه وتعالى. **[صالح الفوزان]**.

قوله والدليل على هذه المراتب الأربع قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ أقسم الله عز وجل في هذه السورة بالعصر الذي هو الدهر وهو محل الحوادث من خير وشر، فاقسم الله عز وجل به على أن الإنسان كل الإنسان في خسر إلا من أتصف بهذه الصفات الأربع: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتوصي بالصبر.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: جهاد النفس أربع مراتب:

إحداها: أن يجاهدها على تعلم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به.

الثانية: أن يجاهدها على العمل به بعد علمه.

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ويتحمل ذلك كله الله، فإذا أستكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين(١).

فالله عز وجل أقسم في هذه السورة بالعصر على أن كل إنسان فهو في خيبة وخسر مهما أكثر ماله وولده وعظم قدره وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة:

أحدها: الإيمان ويشمل كل ما يقرب إلى الله تعالى من اعتقاد صحيح وعلم نافع

---

(١) زاد المعاد (٣/ ١٢).

الثاني: العمل الصالح وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله بأن يكون فاعله لله مخلصـاً ولمحمد ﷺ متبعـاً.

الثالث: التواصي بالحق وهو التواصي على فعل الخير والحث عليه والترغيب فيه.

الرابع: التواصي بالصبر بأن يوصي بعضهم بعضـاً بالصبر على فعل أوامر الله تعالى، وترك محارم الله، وتحمل أقدار الله.

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر يتضمنان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين بهما قوام الأمة وصلاحها ونصرها وحصول الشرف والفضيلة لها: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [آل عمران: ١١٠]. [**محمد بن عثيمين**].

والخسر: هو النقصان والهلكة؛ لأن حياة الإنسان هي رأس ماله، فإذا مات ولم يؤمن ولم يعمل صالحـاً خسر كل الخسران.

ولم يبين هنا نوع الخسران في أي شيء بل أطلق ليعم، فقد يكون مطلقـاً كحال من خسر الدنيا والآخرة وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض.

والذي يستفاد من مفهوم الآية أن الخسران قد يكون بالكفر والعياذ بالله قال تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ [الأنعام: ٣١].

وقد يكون بترك العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١١٩].

وقد يكون الخسران بترك التواصي بالحق كلية أو التواصي بالباطل. وليس بعد الحق إلا الضلال. وقد يكون بترك التواصي بالصبر كلية أو بالوقوع في الهلع والجزع، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

والمقصود أن الإنسان في خسر مهما كثر ماله وولده، وعظم قدره وشرفه إلا من اتصف بالصفات الأربع. فعلى الإنسان أن يتأمل حاله ويعلم يقينًا أنه لا نجاة للعبد من الخسران إلا بهذا الطريق الذي رسمه الله تعالى.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا هو الوصف الأول لمن يسلم من الخسار وهو وصف الإيمان، والمعنى: إلا الذين آمنوا بما أمر الله تعالى من الإيمان به، وهو الإيمان بالله والملائكة والكتاب والنبيين، وكل ما يقرب إلى الله تعالى من اعتقاد صحيح وعلم نافع.

وقوله تعالى: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ المراد بالعمل الصالح: أفعال الخير كلها سواء كانت ظاهرة أو باطنة، وسواء كانت متعلقة بحقوق الله تعالى، أو متعلقة بحقوق العباد، وسواء كانت من قبيل الواجب أو كانت من قبيل المستحب إذا كانت خالصةً صوابًا. **[عبد الله الفوزان]**.

والمراد بالحق: أصل الحق المطابقة والموافقة في الواقع فهو كل موجود محقق أو ما سيوجد لا محالة فهو مالا يسع إنكاره ويلزم إثباته والاعتراف به لقيام الدليل والبرهان عليه، ويطلق الحق على أوجه:

الأول: الحق في الأسماء الحسنى معناه الموجود الواجب الوجود بالبقاء الدائم الجامع للخير والمجد والمحامد كلها والثناء الحسن بالأسماء الحسنى والصفات العلى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

الثاني: لما وجد بمقتضى الحكمة ولهذا يقال فعل الله تعالى كله حق قال تعالى: ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

الثالث: الاعتقاد المطابق لما عليه الشيء نفسه، كما قال تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

الرابع: الفعل والقول الواقع بحسب ما يجب وبقدر ما يجب وفي الوقت الذي يجب، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يونس: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّي لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

الخامس: وصف دين الله تعالى وشرعه وأمره، كما قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة: ١٤٩].

والإيمان الكامل بالله تعالى يتضمن أنواع التوحيد الثلاثة، فإنه يتضمن:

أ – الإقرار بوجود الله جلَّ وعلا واعتقاد تفرده في ملكه وتدبيره بأفعاله.

ب – وكماله في ذاته وأسمائه وأوصافه، وتنزهه عن كل عيب ونقص ومماثلة الخلق فيما هو من خصائصهم. وتصديق أخباره والإذعان لأحكامه.

ت – وعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة من سواه، والبراءة من كل معبود سوى الله، وهذا التوحيد هو الحكمة من خلق الجن والإنس وهو الذي خلقت الجنة والنار من أجله وهو خلاصة الرسالات الإلهية وزبدة الكتب السماوية. والغاية من فرض التعليم، والدعوة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال سبحانه: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ① أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ②﴾ [هود: ١-٢].

وأخبر سبحانه أن الأمر بعبادة الله وحده مفتتح دعوة كل رسول لقومه، كما قال نوح لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ [هود: ٥٠]،

ولما بعث الله تعالى خاتم أنبيائه ورسله محمداً ﷺ قال لقومه: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١)، وقال ﷺ: «اُعْبُدُوا اَللهَ وَاتْرُكُوا مَا يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ»(٢)، ولما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال ﷺ له: «فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، وفي رواية: «أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ»(٣).

وهذا يبين عظمة شأن هذا التوحيد الذي هو إفراد الله تعالى بالإلهية والعبادة وترك الشرك به، وضرورة معرفته وصرف الهمة إليه والعمل به والتمييز بينه وبين ضده الذي هو الشرك، وأن هذا التوحيد أصل الدين، وأساس الملة، وقاعدة الشريعة، وأول فرائض الدين وأعظم واجب على المكلفين، ومن شروط قبول العمل من المكلفين فلا يدعى إلى شيء قبله ولا تصح العبادة إلا به، والموحد أسعد الناس بالشفاعة، ولا يخلد في النار ولو دخلها، ومنتهاه الجنة ولو تأخر عنها.

ومما يبين أهميته وفضله - زيادة على ذلك - أمور:

أولاً: أن النبي ﷺ أقام بمكة عشر سنين يدعوا إليه؛ فلم تفرض عليه فريضة سواه والدعوة إليه.

ثانياً: ثم بعد فرض الفرائض كان جل اهتمامه ﷺ وأكثر بيانه وعنايته بالتوحيد بالأمر بالإخلاص لله تعالى والنهي عن الشرك والتحذير من: أنواعه، وذرائعه، ومواطنه، وأهله؛

---

(١) أخرجه أحمد (٢٣١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣)، بلفظ: «يأمُرُكم أنْ تعبُدوا اللهَ عزَّ وجلَّ وحدَه، لا تُشرِكوا به شيئًا، ويَنْهاكم عما كان يعبُدُ آباؤُكم».

(٣) رواه البخاري (١٣٩٥) ومسلم (١٩).

حتى ساعة وفاته كان ﷺ يقول: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»[1]، تقول عائشة رضي الله عنها: يحذر مثل الذي فعلوا. لأن الغلو في الصالحين، وبناء المساجد على قبورهم من أعظم وسائل الشرك المضاد للتوحيد والمحبط للعمل.

ثالثـاً: أنه لا يكف عن قتال الكفار والمشركين - مع القدرة - حتى يقولوا لا إله إلا الله - أي لا معبود بحق إلا الله ويخلصوا العبادة لله - فلا بد أن يقروا به إقراراً يقتضي العمل بمقتضاه، وحتى يعطي أهل الكتاب والمجوس الجزية عن يد وهم صاغرون.

رابعـاً: أن من اعتقد التوحيد وعمل به ومات متمسكـاً به دخل الجنة. ولو لم يصلي لله ركعة إذا كان لم يتمكن منها بين إسلامه وموته لكونه أسلم ثم مات قبل دخول وقتها كما في قصة صاحب الغنم في غزوة خيبر فإنه آمن بالنبي ﷺ ثم قاتل واستشهد في أول المعركة ولم يسجد لله سجدة لأنه قتل بعد إسلامه بوقت قصير قبل دخول وقت الصلاة وأخبر النبي ﷺ: «أنه من أهل الجنة»[2]. [**عبد الله القصير**].

(قال) الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس (الشافعي رحمه الله). عن هذه السورة: (لو ما أنزل الله) من القرآن (حجة) وبرهانـاً وإعذاراً وإنذاراً (على خلقه) المكلفين (إلا هذه السورة) العظيمة الجامعة (لكفتهم.[3]) في إلزامهم بالتمسك بالدين، والعمل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٨).

(٣) ذكر ابن كثير في تفسيره: (١/ ٦٣)، عن الشافعي نحوه بلفظ: «لو تدبر الناس هذه السورة لكفتهم». وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (ص: ٦٠) عن الشافعي أيضـاً بلفظ «لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم».

الصالح، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك، فتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني، قال ابن القيم رحمه الله: الكمال: أن يكون الشخص كاملاً في نفسه مكمِّلاً لغيره، فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره[1].

فهذه السورة من المبشرات المنذرات للعبد، فليقف العبد عندها وليزن بها نفسه، قال ابن رجب رحمه الله: هذه السورة ميزان للأعمال يزن المؤمن بها نفسه، فيبين له بها ربحه من خسرانه [2]. فهي سورة حقيقة بأن يقال فيها ما قاله الأئمة عنها لعظيم شأنها. **[عبد المحسن القاسم]**.

وقال الشافعي هذه المقالة؛ لأن الله بين في هذه السورة أسباب الشقاوة وأسباب السعادة.

فأسباب السعادة: أن يتصف الإنسان بهذه الصفات الأربع: العلم، والعمل، والدعوة، والصبر على الأذى في سبيل الله تعالى، فقامت الحجة من الله على خلقه بهذه السورة، إن الله سبحانه يقول لهم أني قد بينت لكم أسباب السعادة في هذه السورة القصيرة المختصرة.

والقرآن كله والسنة هما تفاصيل لهذه المسائل الأربع، لكن هذه السورة بينت أسباب السعادة مجملة، فقامت بها الحجة على الخلق، وبقية نصوص القرآن والسنة مفصِّلَة ومبينة لهذه المسائل الأربع، وليس معنى كلام الشافعي أن هذه السورة تكفي الناس، لو

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٥٨).

(٢) لطائف المعارف (ص:٣١٣).

ما أنزل الله غيرها؛ لكنها أقامت الحجة عليهم لأن الله بين فيها أسباب السعادة وأسباب الشقاوة. [**صالح الفوزان**].

وَقَالَ البُخَارِيُّ(١) رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: بَابُ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالْعَمَلِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد: ١٩]، فَبَدَأَ بِالْعِلْمِ، قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ.

قولـه: (بابٌ) يقرأ بالتنوين؛ لأنه مقطوع عن الإضافة، والعلم: مبتدأ، قبل القول: خبر المبتدأ، أفادت هذه الترجمة أن قول الإنسان وعمله لا اعتبار له في ميزان الشرع إلا إذا كان قائماً على العلم، فالعلم شرط لصحة القول والعمل.

وقوله: (والدليل) هذا ليس من كلام البخاري، والذي في الصحيح أن البخاري قال: (بابٌ: العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى)، ولكن الشيخ رحمه الله عبر بقوله (والدليل) ليكون أوضح. (قوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل)، وهذا من كلام البخاري، لكن ليس في صحيحه كلمة (قبل القول والعمل) إنما الذي فيه (فبدأ بالعلم)، فإما أن يكون قوله: (قبل

---

(١) البخاري هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، ولد ببخارى في شوال سنة أربعة وتسعين ومائة ونشأ يتيماً في حجر والدته، إمام أهل الحديث وجبل الحفظ رحمه الله، صاحب الصحيح الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله. توفي رحمه الله في خرتنك بلدة على فرسخين من سمر قند ليلة عيد الفطر سنة ست وخمسين ومائتين.

القول والعمل) من كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله للتوضيح، أو أنه في نسخة أخرى، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، وهو يشمل الأمة، وهذا هو العلم.

﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ هذا هو العمل، وقد استدل بعض السلف بهذه الآية على فضل العلم، فقد ذكر أبو نعيم رحمه الله في الحلية عن سفيان بن عينية رحمه الله أنه سئل عن فضل العم فقال: ألم تسمع قوله تعالى حين بدأ به فقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أمره بالعمل بعد ذلك فقال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[1]. ووجه الاستدلال على فضل العلم أن الله تعالى بدأ به فأمر نبيه ﷺ بالعلم. **[عبد الله الفوزان]**.

أستدل البخاري رحمه الله بهذه الآية على وجوب البداءة بالعلم قبل القول والعمل وهذا دليل أثري يدل على أن الإنسان يعلم أولاً ثم يعمل ثانيـًا، وهناك دليل عقلي نظري يدل على أن العلم قبل القول والعمل وذلك لأن القول أو العمل لا يكون صحيحـًا مقبولاً حتى يكون على وفق الشريعة، ولا يمكن أن يعلم الإنسان أن عمله على وفق الشريعة إلا بالعمل، ولكن هناك أشياء يعلمها الإنسان بفطرته كالعلم بأن الله إله واحد فإن هذا قد فطر عليه العبد ولهذا لا يحتاج إلى عناء كبير في التعلم، أما المسائل الجزئية المنتشرة فهي التي تحتاج إلى تعلم وتكريس جهود. **[محمد بن عثيمين]**.

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٥).

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّه يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، تَعَلُّمُ هَذِهِ المَسَائِلِ الثَّلاثِ، والْعَمَلُ بِهِنَّ:

هذه المسائل الثلاث مجملها: الأولى في توحيد الربوبية، والثانية في توحيد الألوهية، والثالثة في الولاء والبراء. [**عبد الله الفوزان**].

الأُولَى: أَنَّ اللهَ خَلَقَنَا، وَرَزَقَنَا، وَلَمْ يَتْرُكْنَا هَمَلًا، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا، فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۝١٥ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۝١٦﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

المسألة (الأولى) في توحيد الربوبية وهي من المسائل الثلاث الواجب علينا تعلمها وهي (أن الله) عز وجل (خلقنا) من عدم كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ثم صورنا أحسن صورة كما قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]،

ودليل ذلك أعني أن الله خلقنا سمعي وعقلي:

أما السمعي فكثير ومنه قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ٢]، وقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]، وقوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، إلى غير ذلك من الآيات. أما الدليل العقلي على أن الله خلقنا فقد جاءت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] فإن الإنسان لم يخلق نفسه لأنه قبل وجوده عدم والعدم ليس بشيء وما ليس بشيء لا يوجد شيئًا، ولم يخلقه أبوه ولا أمه ولا أحد من الخلق، ولم يكن ليأتي صدفة بدون موجد؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث؛ ولأن وجود هذه المخلوقات على هذا النظام والتناسق المتآلف يمنع منعًا باتًا أن يكون صدفة. إذا الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمًا حال بقائه وتطوره، فتعين بهذا أن يكون الخالق هو الله وحده فلا خالق ولا آمر إلا الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه وتعالى إلا على وجه المكابرة كما حصل من فرعون، وعندما سمع جبير بن مطعم رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦﴾ [الطور: ٣٥-٣٦]، وكان جبير بن مطعم رضي الله عنه يومئذ مشركًا، فقال: كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي[1]. [**محمد بن عثيمين**].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٥٤).

(ورزقنا) النعم فلم يتركنا سبحانه عراة أو جياعـاً بل جعل رزقه موصولاً بخلقه وتكفل به قال عز وجل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فسبحانه أوجدنا من العدم ورزقنا النعم لنعبده وحده، قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، (ولم يتركنا هملاً) سدى مهملين لا نؤمر ولا ننهى قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال تعالى ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، ولم يتركنا سبحانه حيارى لا نعلم ما هو الحق ؟ وأين هو؟ وكيف نصل إليه؟ وكيف نتحصل عليه؟. [**عبد المحسن القاسم**].

الله خلقنا ورزقنا لحكمة، ما خلقنا عبثا ولا سدى قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

الله إنما خلقنا وخلق لنا هذه الأرزاق والإمكانيات لحكمة عظيمة وغاية جليلة وهي أن نعبده سبحانه وتعالى، ولم يخلقنا كالبهائم التي خلقت لمصالح العباد ثم تموت وتذهب؛ لأنها ليست مكلفة ولا مأمورة ولا منهية، إنما خلقنا لعبادته، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذريات: ٥٦]، ولم يخلقنا لهذه الحياة الدنيا فقط نعيش فيها، ونسرح ونمرح ونأكل ونشرب ونتوسع فيها، وليس بعدها شيء، وإنما الحياة مزرعة وسوق للدار الآخرة نتزود فيها بالأعمال الصالحة، ثم نموت وننتقل منها ثم نبعث ثم نحاسب ونجازى بأعمالنا.

هذه هي الغاية من خلق الجن والإنس، والدليل على ذلك آيات كثيرة تدل على البعث والنشور والجزاء والحساب، والعقل يدل على هذا، فإنه لا يليق بحكمة الله سبحانه وتعالى أن يخلق هذا الخلق العجيب، وأن يسخر هذا الكون لبني آدم ثم يتركهم يموتون ويذهبون بدون نتيجة، هذا عبث، فلا بد أن تظهر نتائج هذه الأعمال في الدار الآخرة.

ولهذا قد يكون من الناس من يفني عمره في عبادة الله وفي طاعته، وهو في فقر وفي حاجة، وقد يكون مظلومًا مضغوطًا عليه ومضيقًا عليه ولا ينال شيئًا من جزاء عمله في هذه الدنيا، وعلى العكس يكون من الناس كافر ملحد شرير يسرح ويمرح في هذه الحياة، ويتنعم ويعطى ما يشتهي ويرتكب ما حرم الله، ويظلم العباد ويعتدي عليهم ويأكل أموالهم، ويقتل بغير حق، ويتسلط ويتجبر ثم يموت على حاله، ما أصابه شيء من العقوبة، هل يليق بعدل الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يترك هذا المطيع بدون جزاء، وأن يترك هذا الكافر بدون مجازاة، هذا لا يليق بعدله سبحانه وتعالى، ولذلك جعل دارًا أخرى يجازى فيها المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، فتظهر فيها ثمرات الأعمال.

فالدنيا دار عمل، وأما الآخرة فهي دار جزاء إما جنة وإما نار، ولم يتركنا هملًا كما يظن الملاحدة والدهريون، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤] هذه مقالة الملاحدة الذين لا يؤمنون بالبعث والنشور.

وقد أنكر الله عز وجل عليهم فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ٣٥ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٦﴾ [القلم: ٣٥-٣٦] وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ

ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

وقال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]. فهذا لا يمكن ولا يكون أبدًا. **[صالح الفوزان]**.

والهمل هو الذي لا يؤمر ولا ينهى ولا يوجه، ولهذا تسمى الإبل التي تنفلت من أصحابها: (همل)؛ لأنها ليس لها أحد يوجهها ويقوم على مصلحتها بل تسلك الطريق، إما أن تهلك وتعطب وإما أن تجد من يقوم عليها من غير أهلها، فالهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى، والله عز وجل نفى ذلك، يقول الله تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ٣٦﴾ يعني لا يؤمر ولا ينهى ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ٤٠﴾ [القيامة: ٣٦-٤٠]، يقول جل وعلا أن كثيراً من الناس أو أكثرهم يتصورون فيما هم فيه من حياتهم أنهم لم يكلفوا بالأمر والنهي، وأنهم خلقوا لهذه الحياة، يتصرفون فيها حسب مراداتهم وأهوائهم، وهذا هو الأمل، يتصرف على ما يروق له، مثل ما يقول كثير من الناس أنا حر أفعل ما أريد، هذا كذب لست حراً أنت عبد الله جل وعلا يجب عليك أن تمتثل أمره تجتنب نهيه، فالذي يقول كذا شبه البهيمة. **[عبد الله الغنيمان]**.

(بل أرسل إلينا رسولاً) معه الحق سهلاً ميسراً يهدي إليه لنستقيم على ما فيه من الهدى ونعمل بما فيه من الأوامر (فمن أطاعه دخل الجنة) لأن طاعته طاعة لله، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

وأفضل الخلق وأعلاهم وأقربهم إلى الله أتمهم لله عبودية، قال شيخ الإسلام رحمه الله: فالكمال في كمال طاعة الله ورسوله ﷺ باطنـاً وظاهراً[1]. فالغاية من إرسال الرسل طاعتهم واتباعهم فيما جاؤوا به من عند الله تعالى.

وشقاء المخلوق في عصيان الرسول ﷺ لأن (من عصاه دخل النار) قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]. قال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» فقيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2]. (والدليل) على التحذير من عصيانه (قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾) يا أمة محمد (﴿رَسُولًا﴾) وهو خاتم المرسلين محمد ﷺ (﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾) بأعمالكم (﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ﴾) موسى عليه السلام كليم الرحمن (﴿إِلَىٰ﴾) الطاغية (﴿فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾) وجيهـاً عندنا من أفضل الرسل (﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾) الذي أرسل إليه وإلى قومه وهو موسى عليه السلام (﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾) أي فرعون (﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾) أي: شديداً وذلك بإغراقه وجنوده في البحر فلم يفلت منهم أحد، ثم بعد ذلك في عذاب القبر إلى يوم القيامة ثم عذاب النار، قال تعالى: (﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾) أي: في القبر يعذبون بها (﴿غُدُوًّا﴾) أي: أول النهار، (﴿وَعَشِيًّا﴾) أي: آخره (﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾) فهذه عاقبة العاصين للرسل وجزاء المخالفين لأمرهم.

---

(١) الفتاوى (١٠/ ٥٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥١).

فلتحذر أمة محمد ﷺ من تكذيب رسولها فيصيبها ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيزٍ مقتدر. قال ابن كثير رحمه: وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران[١].

فالخير في طاعة الرسل والبؤس في عصيانهم قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧]، قال شيخ الإسلام رحمه الله: الإيمان بالله ورسوله هو جماع السعادة وأصلها[٢]. [**عبد المحسن القاسم**].

الثَّانِيَةُ: أَنَّ الله لا يَرْضَى أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ فِي عِبَادَتِهِ، لا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

وهذه المسألة هي مسألة توحيد العبادة، وهو: إخلاص الدين لله، وإفراد الله بالعبادة، وصرف جميع أنواع العبادة له سبحانه وتعالى، فلا يجوز أن يُشرك معه في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وما دونهما من باب أولى.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]).

فنهى عن دعاء غيره سبحانه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٥).

(٢) الفتاوى (٢٠/ ١٩٣).

فتضمنت المسألة الأولى توحيد الربوبية، وتضمنت المسألة الثانية توحيد العبادة، ولا يكون الإنسان مسلما حتى يقر بالتوحيدين جميعا، فلا يكفي الإقرار بتوحيد الربوبية، فقد أقر به المشركون ولم يدخلهم في الإسلام. [**عبد الرحمن البراك**].

والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى وقال الله عز وجل: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ [الزمر: ٧]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما، قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه، فيغضب لما يغضب الله ويرضى بما يرضاه الله عز وجل، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما. والشرك أمره خطير قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال النبي ﷺ: «مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشركُ بِهِ شيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشركُ بِهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ»[1]. [**محمد بن عثيمين**].

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:١٨]).

(١) أخرجه مسلم (٩٣).

المساجد جمع مسجد، وهو كل موضع بُني للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى، والدليل على هذا المعنى قول النبي ﷺ في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد: «إِنَّ هَذَا الْمَسْجِدَ لَا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنَ الْقَذَرِ وَالْبَوْلِ، إِنَّمَا هُوَ لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَذِكْرِ اللهِ»(١)، وهذه وظيفة المساجد، وهذه الإضافة في الآية إضافة تشريف وتخصيص، ويكون المعنى على التخصيص: أنكم إذا دخلتم المساجد للعبادة فلا تدعوا فيها مع الله أحدًا لأنها بيوت الله فكيف تدخل بيته وتدعو معه غيره؟ وقوله تعالى: ﴿أَحَدًا﴾ نكرة، والنكرة في سياق النهي تفيد العموم، أي: فلا تدعوا مع الله أحدًا كائنًا من كان، لا ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلاً، وما دون ذلك من باب أولى. [**عبد الله الفوزان**].

وتضمنت هذه المسألة أن العبادة حق لله تعالى لا يرضى أن يكون شيء منها لغيره فالعبادة والشرك ضدان لا يجتمعان فلا يجتمع شرك وعباده، فإن الشرك حدث في العبادة يبطلها، فكما أن الحدث يبطل الطهارة، فلا طهارة مع الحدث فكذلك لا عبادة مع الشرك؛ لأنه يحبطها ويذهب أجرها والثواب عليها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، وفي الحديث القدسي الصحيح قال تعالى: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ»(٢)، فمن أشرك بالله بدعاء غير الله معه أو الذبح أو النذر لغير الله فهو كمن ركع أو سجد لغير الله، فهو مشرك كافر مرتد عن الإسلام لا يقبل الله قوله وعمله ولا يغفر له إلا أن يتوب فإن مات على الشرك الأكبر فجزاؤه ما أخبر الله به بقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة بهذا اللفظ (٢٩٣)، وأصله في الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥).

فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وهذا دليل على خطر الشرك وشؤمه، وعظم تحريمه، وأنه أفسد شيء للعبادة، وأشأم شيء على العباد.

وينقسم الشرك بالله عز وجل إلى قسمين:

الأول: شرك يتعلق في الاعتقاد والقول، وهو نوعان:

أ- شرك التعطيل: وهو تعطيل الله تعالى من صفات كماله ونعوت عظمته وجلاله وذلك تشبيه له بالمعدومات وهو شرك المعطلة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، ولذا قال أهل السنة والجماعة عنهم: المعطل يعبد عدماً.

ب - شرك التمثيل: وهو تمثيل الله تعالى بخلقه في أسمائه وصفاته وهو شرك الممثلة من الرافضة ونحوهم، ولذا قال عنهم أهل السنة والجماعة: الممثل يعبد وثناً.

والكل من الطائفتين: معرض عن العلم والفهم، قائل على الله تعالى وفي دينه بغير علم.

الثاني: شرك يتعلق بالعمل، وهو أنواع:

أ - الشرك في الدعاء: بأن يدعو مع الله غيره، ودليله قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ب - الشرك في المحبة: بأن يحب غير الله تعالى من دونه، أو معه فيسويه بالله تعالى في المحبة فإن المحبة تحمل المحب على الذل والانقياد للمحبوب في تحقيق مراده من محبه، ودليله قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ١٦٥] الآية. وأخبر تعالى عن المشركين أنهم يقولون لشركائهم نادمين متحسرين وهم في الجحيم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]، أي: في المحبة والعبادة.

الشرك في الطاعة والتشريع: ودليله قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقوله ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه: «أَلَيْسُوا يُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ الله، فَتُحِلُّونَهُ، وَيُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ الله فَتُحَرِّمُونَهُ؟ قال: بلى، قال: فَتِلْكَ عِبَادَتهمْ...»[1] الحديث.

ت - شرك الإرادة والقصد: وهو أن يبتغي بشيء من حق الله تعالى الذي يجب أن يخلص له منزلة أو محمدة عند الخلق أو عرضـًا من أعراض الدنيا، ودليله قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] الآية، والمعنى: يريدون الحياة الدنيا وزينتها بعمل الآخرة.

ومن وجوه استحقاقه سبحانه وتعالى للعبادة ووجوب الإخلاص له وحده لا شريك له:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

أولاً: أن الله تعالى هو الذي خلق المكلفين للعبادة، وأمرٌ خلقهم الله تعالى من أجله لابد أن يحققوه وإلا لكانوا أهلاً للعذاب، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ثانياً: أن الله تعالى أعلم بما يصلح العباد وأرحم بهم من كل أحد فما أمرهم إلا بما ينفعهم ولا نهاهم إلا عما يضرهم فعبادته تصلحهم ومعصيته تفسدهم.

ثالثاً: أن الله تعالى لم يأمر العباد ولم ينههم لحاجة منه إليهم بل هو غني عنهم وإنما أمرهم ونهاهم رحمة ورأفة بهم لتهيئتهم لسعادة الأبد.

رابعاً: أن عبادتهم له سبحانه محض فضل منه عليهم لأنه هو الذي خلقهم وهيأهم لما خلقهم له وهداهم له وأعان من أطاعه فثواب طاعتهم له فضل منه عليهم وهم يتحملون شؤم معصيتهم فمن أثابه الله فبفضله ومن عاقبه فبعدله.

خامساً: أنه سبحانه هو المنعم بإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرح الصدر للإسلام وهو المنعم بإيجاد الإرادة والقدرة والحواس وغير ذلك من القوى التي يتحقق بها العمل فهو تعالى الدال على الهدى والمرغب فيه والمعين عليه.

سادساً: أن نعم الله على العباد أعظم من أن تحصى فلو قدر أن العبادة جزاء النعمة لم يقوموا بشكر قليل منها فكيف والعبادة من نعمه على عباده.

سابعاً: أن العباد لا يزالون مقصرين في حقه محتاجين إلى عفوه ومغفرته، فلن يدخل الجنة أحد بعمله، وما من أحد إلا وله ذنوب يحتاج فيها إلى مغفرته: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر: ٤٥].

فمن ظن أنه قائم بما يجب لله تعالى عليه وأنه غير محتاج إلى مغفرة ربه وهدايته وتثبيته وتوفيقه فهو ضال. [**عبد الله القصير**].

الثَّالِثَةُ: أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ، وَوَحَّدَ اللهَ لا يَجُوزُ لَهُ مُوَالاةُ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

تضمنت هذه المسألة أنه لا بد للمؤمن الذي هداه الله للإسلام وعصمه من الشرك لكي يثبت على دينه ويبرهن على صدق حبه وتعظيمه لربه وخوفه وخشيته منه وحتى يأمن من الفتنة والزيغ أن يبرأ من الشرك وأهله بعد إقامة الحجة عليهم، ولا يرضى الله لعباده المؤمنين أن يوالوا المشركين بالمحبة والنصرة والرضا بما هم عليه من الباطل، فإن الله تعالى نهى المؤمنين أن يتخذوا عدوه وعدوهم أولياء ونهاهم عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء ونفى الإيمان عمن يوالي من حاد الله ورسوله، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]. [**عبد الله القصير**].

وهذا أصل عظيم جاءت فيه النصوص الكثيرة قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا﴾ [آل عمران: ١١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤]، وقال عز وجل: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. ولأن موالاة من حاد الله ومداراته تدل على أن ما في قلب الإنسان من الإيمان بالله ورسوله ضعيف؛ لأنه ليس من العقل أن يحب الإنسان شيئاً هو عدو لمحبوبه، وموالاة الكفار تكون بمناصرتهم ومعاونتهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وموادتهم تكون بفعل الأسباب التي تكون بها مودتهم فتجده يوادهم أي يطلب ودهم بكل طريق، وهذا لا شك ينافي الإيمان كله أو كماله، فالواجب على المؤمن معاداة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب إليه، وبغضه والبعد عنه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته للحق. [**محمد بن عثيمين**].

فلا يجوز له أن يوالي من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، لا يجوز له أن يوالي من حاد الله ورسوله ولو كان ذلك أباه أو أمه أو أخاه أو أخته أو قريبه، وذلك لقول الله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، إلى آخر الآية. وقال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]. وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [المائدة: ٥١]، لما ذكر اليهود والنصارى. فأصل الدين الذي هو من معنى كلمة التوحيد الولاء والبراء، الولاء للمؤمنين وللإيمان، والبراءة من المشركين والشرك. ولهذا يعرف علماؤنا الإسلام بأنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله. وهاهنا تنبيه أنها في بعض نسخ كتاب الشيخ أنه عرف الإسلام بهذا وقال في آخره: والخلوص من الشرك وأهله. والمعروف عنه في النسخ الصحيحة التي قرأت على العلماء البراءة من الشرك وأهله، لأن البراءة تشمل الخلوص وزيادة وهي الموافقة لقول الله جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]. هنا قال: لا يجوز لمن وحد الله وأطاع الرسول واتبع دين الإسلام أن يوالي أحداً من المشركين الموالاة معناها أن تتخذه ولياً، وأصلها من الولاية، والولاية هي المحبة، قال جل وعلا: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الكهف: ٤٤]، يعني هنالك المحبة والمودة والنصرة لله الحق. فأصل الموالاة المحبة والمودة ولهذا أستدل بقوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [المجادلة: ٢٢]، ففسر الموالاة بأنها المودة. وهذا معناه أن أصل الموالاة في القلب وهو محبة الشرك، أو محبة أهل الشرك والكفر.

فأصل الدين أن من دخل في (لا إله إلا الله) فإنه يحب هذه الكلمة وما دلت عليه من التوحيد، ويحب أهلها ويبغض الشرك المناقض لهذه الكلمة ويبغض أهله، فكلمة الولاء والبراء في الله. هو بمعنى الحب والبغض في الله، وهو بمعنى الموالاة والمعاداة في الله. ثلاثة بمعنى واحد، فأصله القلب إذا أحب القلب أهل الشرك صار موالياً لأهل الشرك، كذلك إذا أحب القلب الإيمان صار موالياً لأهل الإيمان، قال جل وعلا: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، يعني من يحب وينصر الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون.

وموالاة المشركين والكفار محرمة وكبيرة من الكبائر وقد تصل بصاحبها إلى الكفر والشرك. ولهذا ضبطها العلماء بأن قالوا تنقسم الموالاة إلى قسمين:

الأول: التولي، وهو الذي جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، التولي معناه محبة الشرك وأهل الشرك، محبة الكفر وأهل الكفر، أو نصرة الكفار على أهل الإيمان قاصداً ظهور الكفر على الإسلام. بهذا الضابط يتضح معنى التولي، وتولي الكفار والمشركين كفر أكبر، وإذا كان من مسلم فهي ردة.

الثاني: الموالاة، والموالاة محرمة وهي محبة المشركين والكفار لأجل دنياهم أو لأجل قراباتهم أو لنحو ذلك وضابطه أن تكون محبة أهل الشرك لأجل الدنيا، ولا يكون معها نصرة، لأنه إذا كان معها نصرة على المسلم بقصد ظهور الشرك على الإسلام صار تولياً من القسم المكفر، فإن أحب المشرك أو الكفار لدنياه وصار معه نوع موالاة معه لأجل الدنيا، فهذا محرم ومعصية وليس كفراً، دليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]، قال

علماؤنا رحمهم الله تعالى أثبت الله جل وعلا في هذه الآية أنه حصل ممن ناداهم باسم الإيمان باتخاذ المشركين والكفار أولياء بإلقاء المودة لهم. وذلك كما جاء في الصحيحين وفي التفسير في قصة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المعروفة، حيث إنه أرسل بخبر رسول الله ﷺ - هذه عظيمة من العظائم - للمشركين لكي يأخذوا حذرهم من رسول الله ﷺ، فلما كُشف الأمر قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق. قال النبي ﷺ لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اتركه يا عمر، يا حاطب ما حملك على هذا؟ فدل على اعتبار القصد؛ لأنه إن كان قصد ظهور الشرك على الإسلام، وظهور المشركين على المسلمين فهذا يكون نفاقـًا وكفراً، وإن كان له مقصداً آخر فله حكمه، قال ﷺ مستبينـًا الأمر: «مَا حَمَلَكَ يَا حَاطِبُ عَلَى مَا صَنَعْتَ»؟ قال: يا رسول الله والله ما حملني على هذا محبة الشرك وكراهة الإسلام، ولكن ما من أصحابك، ما من أحدٍ من أصحابك إلا وله يد يحمي بها ماله في مكة، وليس لي يدٌ أحمي بها مالي في مكة فأردت أن يكون لي بذلك يد أحمي بها مالي في مكة. فقال النبي ﷺ: «صَدَقَ». قال الله جل وعلا في بيان ما فعل حاطب: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]، يعني حاطبـًا.

ففعله ضلال وما منع النبي ﷺ من ترك عمر إلا أن حاطبـًا لم يخرج من الإسلام بما فعل. ولهذا جاء في رواية أخرى قال: «إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيك لَعَلَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْت لَكُمْ»(١)، قال العلماء: لعلمه جل وعلا بأنهم يموتون ويبقون على الإسلام. فدلت هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة: ١]،

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٠)، ومسلم (٢٤٩٤).

مع بيان سبب نزولها من قصة حاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن إلقاء المودة للكافر لا يسلب اسم الإيمان؛ لأن الله ناداهم باسم الإيمان فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، مع إثباته جل وعلا أنهم ألقوا المودة. ولهذا استفاد العلماء من هذه الآية ومن آية سورة المائدة ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾، ومن آية المجادلة التي ساقها الشيخ ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾، إلى أن الموالاة تنقسم إلى تولٍ وموالاة. الموالاة الاسم العام منه تولٍ وهو المكفر بالضابط الذي ذكرت لك، ومنه موالاة وهي نوع المودة لأجل الدنيا ونحو ذلك. والواجب أن يكون المؤمن محبًا لله جل وعلا ولرسوله وللمؤمنين، وألا يكون في قلبه مودة للكفار ولو كان لأمور الدنيا، إذا عامل المشركين أو عامل الكفار بأمور الدنيا إنما تكون معاملة ظاهرة بدون ميل القلب ولا محبة القلب، لم؟ لأن المشرك حمل قلبًا فيه مسبة الله جل وعلا، لأن المشرك سابٌ لله جل وعلا بفعله، إذ اتخذا مع الله جل وعلا إلهـًا آخر، والمؤمن متولٍ لله جل وعلا ولرسوله ﷺ وللذين آمنوا، فلا يمكن أن يكون في قلبه مودة لمشرك وحمل الشرك والعياذ بالله. هذه الثلاث مسائل من المهمات العظيمة:

الأولى أن يعلم المرء الغاية من خلقه، وإذا علم الغاية أن يعلم الطريق الموصلة لإنفاذ هذه الغاية.

الثانية أن يعلم أن الطريق واحد، وأن الله جل وعلا لا يرضى الشرك به حتى بالمقربين عنده والذين لهم المقامات العالية عنده جل وعلا لا يرضى أن يشرك معه أحد.

الثالثة ألا يكون في قلب الموحد الذي وحد الله وأطاع الرسول وخلص من الشرك محبة للمشركين هذه الثلاث هي أصول الإسلام بأحد الاعتبارات. نسأل الله جل وعلا أن يجعلنا ممن تحققوا بها قولاً وعملاً واعتقاداً وانقياداً. [**صالح آل الشيخ**].

والكافر يعامل معاملة ظاهرة بدون ميل ومحبة في القلب، فالإيمان الواجب يوجب محادة من حاد الله ورسوله، كما أنه يستلزم محبة من يحب الله ورسوله وموالاتهم، فمن والى الكافرين فقد ترك واجباً من واجبات الإيمان. قال شيخ الإسلام رحمه الله: لابد في الإيمان من محبة القلب لله ولرسوله، ومن بغض من يحاد الله ورسوله(١).

وللموالاة والتولي صور عديدة ذكرها الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: قد نهى الله سبحانه عن موالاة الكفار وشدد في ذلك وأخبر أن من تولاهم فهو منهم وكذلك جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ، قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ»(٢). وهناك أمور من فعلها دخل في تلك الآيات وتعرض للوعيد بمسيس النار نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه:

(أحدها) التولي العام.

(الثاني) المودة والمحبة الخاصة.

(الثالث) الركون القليل قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَـٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَـٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا

---

(١) الفتاوى (٧/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الحاكم (٤٢٩٤)، والبيهقي (١٨٦٤٢).

﴿٧٥﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥]، فإذا كان هذا الخطاب لأشرف مخلوق صلوات الله وسلامه عليه فكيف بغيره؟!

(الرابع) مداهنتهم ومداراتهم قال تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

(الخامس) طاعتهم فيما يتولون وفيما يشيرون كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف: ٢٨].

(السادس) تقريبهم في الجلوس والدخول على أمراء الإسلام.

(السابع) مشاورتهم في الأمور.

(الثامن) استعمالهم في أمر من أمور المسلمين: أيُّ أمر كان إمارة أو عمالة أو كتابة أو غير ذلك.

(التاسع) اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين.

(العاشر) مجالستهم ومزاورتهم والدخول عليهم.

(الحادي عشر) البشاشة لهم، والطلاقة.

(الثاني عشر) الإكرام العام.

(الثالث عشر) استئمانهم وقد خونهم الله.

(الرابع عشر) معاونتهم في أمورهم ولو بشيء قليل كبري القلم وتقريب الدواة ليكتبوا ظلمهم.

(الخامس عشر) مناصحتهم - أي: طلب نصيحتهم -.

(السادس عشر) اتباع أهوائهم.

(السابع عشر) مصاحبتهم ومعاشرتهم.

(الثامن عشر) الرضا بأعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم.

(التاسع عشر) ذكر ما فيه تعظيم لهم كتسميتهم سادات.

(العشرون) السكنى معهم في ديارهم كما قال ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَإِنَّهُ مِثْلُهُ»(١).

إذا تبين هذا فلا فرق في هذه الأمور بين أن يفعلها مع أقربائه منهم أو مع غيرهم(٢).

وكما أن الكفار يجب بغضهم فكذلك الفاسق يبغض لفسقه ولكن يُعطى من الموالاة بقدر إيمانه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: والواجب موالاة أولياء الله المتقين من جميع الأصناف وبغض الكفار والمنافقين من جميع الأصناف، والفاسق الملِّي يُعطى من الموالاة بقدر إيمانه ويعطى من المعاداة بقدر فسقه(٣).

فالواجب على المؤمن معاداة من حادَّ الله ورسوله وبُغْضُه ولكن هذا لا يمنع نصيحته ودعوته إلى الحق، فالمؤمن يحب أولياء الله ويتعاون معهم على الخير ويكره أعداء الله ويبغضهم ويعاديهم في الله حتى وهو يدعوهم إلى الله، ومن عادى في الله من يبغضه الله، عوضه الله مودة عظيمة لغيره، فإبراهيم عليه السلام لما اعتزل أباه وقومه لكفرهم أقر الله عينه بإسماعيل ومن ثم إسحاق، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام إلا من سلالته،

---

(١) أخرجه أبوداود (٢٧٨٧).

(٢) الدرر السنية (٨/ ١٥٤).

(٣) الفتاوى (٢٨/ ٥٧٨).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩]. [**عبد المحسن القاسم**].

فهذه المسألة تتعلق بعداوة الكفار وعدم موالاتهم، وهي لا تقتضي أننا نقاطع الكفار في الأمور والمنافع الدنيوية، بل يستثنى من ذلك أمور:

الأول: أنه مع بغضنا لهم وعداوتنا لهم يجب أن ندعوهم إلى الله سبحانه وتعالى، يجب أن ندعوهم إلى الله ولا نتركهم ونقول هؤلاء أعداء الله وأعداؤنا، يجب علينا أن ندعوهم إلى الله لعل الله أن يهديهم، فإن لم يستجيبوا فإنا نقاتلهم مع القدرة، فإما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يبذلوا الجزية إن كانوا من اليهود والنصارى أو المجوس وهم صاغرون، ويخضعون لحكم الإسلام، ويتركون على ما هم عليه، لكن بشرط دفع الجزية وخضوعهم لحكم الإسلام، أما إن كانوا غير كتابيين وغير مجوس ففي أخذ الجزية منهم خلاف بين العلماء.

الثاني: لا مانع من مهادنة الكفار عند الحاجة، إذا احتاج المسلمون لمهادنتهم لكون المسلمين لا يقدرون على قتالهم ويخشى على المسلمين من شرهم، لا بأس بالمهادنة إلى أن يقوى المسلمون على قتالهم أو إذا طلبوا هم المهادنة ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] فيهادنون، لكن ليس هدنة دائمة، إنما هدنة مؤقتة مؤجلة إلى أجل حسب رأي إمام المسلمين، لما فيه من المصلحة.

الثالث: لا مانع من مكافأتهم على الإحسان إذا أحسنوا للمسلمين، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

رابعًا: الوالد الكافر يجب على ولده المسلم أن يبر به، لكنه لا يطيعه في الكفر لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ﴾ [لقمان: ١٤- ١٥] الوالد له حق وإن كان كافرًا، لكن لا تحبه المحبة القلبية، بل تكافئه على تربيته لك.

خامسًا: تبادل التجارة معهم والشراء منهم، واستيراد البضائع والأسلحة منهم بالثمن لا بأس بذلك، وقد كان النبي ﷺ يتعامل مع الكفار، وكذلك عامل ﷺ أهل خيبر وهم يهود على أن يزرعوا الأرض بجزء مما يخرج منها، ليس هذا من الموالاة والمحبة، وإنما هو تبادل مصالح. يجب أن نعرف هذه الأمور، وأنها لا تدخل في الموالاة، وليس منهيا عنها.

كذلك الاستدانة منهم، فالنبي ﷺ استدان من اليهودي طعامًا، ورهن درعه عنده، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بطعام اشتراه لأهله، لا مانع من هذا؛ لأن هذه أمور دنيوية ومصالح، ولا تدل على المحبة والمودة في القلوب، فلا بد أن نفرق بين هذا وهذا، لأن بعض الناس إذا سمع نصوص العداوة للكفار وعدم محبتهم قد يفهم أنه لا يتعامل معهم، ولا يتصل بهم نهائيًا، وأن تكون مقاطعة نهائية. لا! هذا محدد بأحكام وبحدود وبشروط معروفة عند أهل العلم، مأخوذة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

سادسًا: أباح الله التزوج من نساء أهل الكتاب بشرط أن يكن عفيفات في أعراضهن، وأباح الله لنا أكل ذبائحهم.

سابعًا: لا بأس بإجابة دعوتهم، وأكل طعامهم المباح كما فعل النبي ﷺ.

ثامنًا: الإحسان إلى الجيران من الكفار؛ لأن لهم حق الجوار.

تاسعًا: لا يجوز ظلمهم قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ [المائدة: ٨]. **[صالح الفوزان]**.

ومما ينبه إليه أن هاتين المقدمتين المستفتحتين بقول المصنف: (أعلم رحمك الله)؛ هما رسالتان له خارجتان عن رسالة «ثلاثة الأصول وأدلتها»، ثم ضمَّها بعض تلاميذه إليها، وتتابع النقلة على إثباتها بين يديها لحسن المناسبة بين معانيها ومقاصدها، ثم أشتهر مجموع تلك الرسائل الثلاث باسم «ثلاثة الأصول وأدلتها»، وإلا فمبتدأ (ثلاثة الأصول) قوله فيما يستقبل: (أعلم أرشدك الله لطاعته). أفاده ابن قاسم العاصمي في «حاشية ثلاثة الأصول»، وهو أمر معلوم لمن تسلسل أخذه العلم إلى مصنفها بالتلقي عن الشيوخ المشتهرين بالعناية بتصانيفه رحمهم الله. **[صالح العصيمي]**.

اِعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ، أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ. وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وَمَعْنَى يَعْبُدُونِ: يُوَحِّدُونِ، وَأَعْظَمُ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ التَّوْحِيدُ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ. وَأَعْظَمُ مَا نَهَى عَنْهُ الشِّرْكُ، وَهُوَ: دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦].

الدعاء بالرشاد إلى الطاعة هو من خير الأدعية وأجمعها، وقد قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «قُلْ: اللهُمَّ اهْدِنِي، وَسَدِّدْنِي، وَاذْكُرْ بِالْهُدَى هِدَايَتَكَ الطَّرِيقَ، وَاذْكُرْ بِالسَّدَادِ تَسْدِيدَ السَّهْمِ»[1]. [**عبد المحسن القاسم**].

الحنيفية: مشتق من الحنف، وهو الميل.

والحنيف: المائل عن الشرك قصداً إلى التوحيد.

وقيل: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه.

والتعريفان حق لا منافاة؛ فالمقبل على الله معرض عن الشرك، فمعناها واحد، والإنسان الحنيف هو: المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه.

فالحنيفية هي من هذا المعنى: ملة الإقبال على الله والإعراض عن كل ما سواه. [**محمد بن إبراهيم**].

والحنيفية أيضـًا في الشرع لها معنيان:

أحدهما: عام؛ وهو: الإسـلام. والآخر: خاص؛ وهو: الإقبال على الله بالتوحيد، ولازمة الميل عما سواه بالبراءة من الشرك.

فأصل الحنيفية وضعـًا هو: الإقبال، والميل لازمها، والكلمة لا تفسر باللازم ابتداء، فتفسر بالوضع له في كلام العرب، ثم يكون اللازم تابعا له، فأصل الحنيفية هي: الإقبال، وإذا أقبل العبد على شيء مال عن غيره. والمذكور في قول المصنف: (أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين)؛ هو مقصود الحنيفية، ولبها المحقق ووصفها الجامع للمعنيين معا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٥).

وهي دين الأنبياء جميعا، فلا تختص بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأضيفت إليه في كلام المصنف تبعا لإضافتها له في القرآن الكريم، فإن الملة المذكورة في القرآن الكريم من التوحيد والإقبال على الله سبحانه وتعالى وقع في مواضع منه إضافتها إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام دون غيره من الأنبياء، فاقتفاه المصنف وغيره ممن يخبر عن الحقائق الشرعية مقدما ما جاء في خطاب الشرع. [**صالح العصيمي**].

والطاعة: هي موافقة أمر الشرع بفعل المأمور واجتناب المحظور.

والحنيفية: هي ملة إبراهيم، ولهذا جمع المصنف رحمه الله بينهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٠]، والقانت: هو الخاشع المطيع[1].

أما الملة: فهي بمعنى الدين، وهي اسم لكل ما شرعه الله سبحانه وتعالى لعباده على ألسنة أنبيائه.

قوله: (أن تعبد الله مخلصًا له الدين) هذا بيان لحقيقة ملة إبراهيم فهو خبر (أن) في قوله (أنَّ الحنيفية ملة إبراهيم)، فـ (أنْ) وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر (أنَّ)، والتقدير: اعلم أن الحنيفيةَ ملةَ إبراهيم عبادةُ الله تعالى وحده بإخلاص. [**عبد الله الفوزان**].

والحَنَفُ شرعـًا: هو الميل عن قصد على طريق الاستقامة بلزوم التوحيد وترك الشرك والبراءة منه ومن أهله، ولما كان أكثر الناس على الضلال صار الذي على التوحيد كأنه مائل عنهم فصار حنيفـًا لاستقامته على التوحيد، والحق أنهم هم الذين مالوا عن فطرة الله التي فطر الناس عليها والشريعة التي هداهم إليها.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣٠).

فالحنيفية ملة إبراهيم يجمعها أمران:

الأول: أن تعبد الله مخلصاً له الدين. الثاني: أن تبرأ من الشرك والمشركين. [**عبد الله القصير**].

فالحنيف من أوصاف إبراهيم عليه السلام بمعنى أنه معرض عن الشرك ومائل عنه بالكلية إلى التوحيد، متوجه بكل وجهته إلى التوحيد والإخلاص لله عز وجل قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣] وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]. هذه أوصاف إبراهيم عليه السلام العظيمة، منها أنه كان حنيفا، وأن ملته الحنيفية هي الملة الخالصة لله عز وجل التي ليس فيها شرك، وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يتبع هذه الملة بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، وأمرنا نحن كذلك أن نتبع ملة إبراهيم عليه السلام قال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]، وهي دين جميع الرسل. ولكن لكون إبراهيم ﷺ أفضل الأنبياء بعد نبينا محمد ﷺ لاقى في سبيل الدعوة إلى التوحيد من التعذيب ومن الامتحان ما لم يلقه غيره، فصبر على ذلك، ولكونه أبا الأنبياء فإن الأنبياء الذين جاءوا من بعده كلهم من ذريته ﷺ فالحنيفية ملة جميع الأنبياء، وهي الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك، هذه ملة جميع الرسل، لكن لما كان لإبراهيم مواقف خاصة نحو هذه الملة نسبت إليه.

وملة إبراهيم تجمع بين الأمرين: العبادة والإخلاص، فمن عبد الله ولم يخلص له الدين لم تكن عبادته شيئا، فمن عبد الله، فصام وحج وصلى واعتمر وتصدق وزكى وفعل كثيرا من الطاعات؛ لكنه لم يخلص لله عز وجل في ذلك، إما لأنه فعل كل ذلك رياء أو سمعة، أو أنه خلط عمله بشيء من الشرك كالدعاء لغير الله، والاستغاثة بغير الله، والذبح لغير الله، فإن هذا لم يكن مخلصا في عبادته، بل هو مشرك، وليس على ملة إبراهيم ﷺ.

وكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام اليوم يقعون في الشرك الأكبر، من دعاء غير الله وعبادة القبور والأضرحة والذبح لها والنذر لها والطواف بها والتبرك بها، والاستغاثة بالأموات، وغير ذلك، وهم يقولون إنهم مسلمون، هؤلاء لم يعرفوا ملة إبراهيم ﷺ التي عليها نبيهم محمد ﷺ، أو عرفوها وخالفوها على بصيرة والعياذ بالله، وهذا أشد.

فملة إبراهيم لا تقبل الشرك بأي وجه من الوجوه، ومن خلط عمله بشرك فليس على ملة إبراهيم، وإن كان ينتسب إليها ويزعم أنه مسلم، فالواجب أن تعرف ملة إبراهيم، وأن تعمل بها، وأن تلتزمها بأن تعبد الله مخلصا له الدين، لا يكون في عبادتك شيء من الشرك الأصغر أو الأكبر.

هذه ملة إبراهيم عليه السلام: الحنيفية التي أعرضت عن الشرك بالكلية، وأقبلت على التوحيد بكليتها، أن تعبد الله مخلصا له الدين. [**صالح الفوزان**].

والعبادة لغة: هي الذل والانقياد والتطامن والخضوع.

والعبادة شرعـًا تعرف بأحد اعتبارين:

أ - باعتبار العابد: فهي كمال الذل مع كمال الحب الذي ينشأ عنهما الخضوع والانقياد الاختياري لامتثال أوامر الله تعالى حبـًا له ورغبة في ثوابه واجتناب نواهيه عز وجل هيبة وتعظيمـًا له سبحانه وحذراً من عقابه.

ب - باعتبار المتعبد به: فهي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

وإنما سميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنها تؤدى لله تعالى على وجه المحبة والانقياد والذل لله تعالى رغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه، فيخاف العبد ربه لما يعلم من عظمة شأنه، وعز سلطانه، ويحبه لما يعلم من غناه وكرمه وأفضاله وإحسانه. وبهذا يصير الإنسان عابداً لله تعالى، أي: منقاداً له اختياراً بامتثال أوامره رغبة في ثوابه واجتناب نواهيه رهبة من عقابه.

وتسمى العبادة توحيداً لأنه يقصد بها الله وحده ولا يتوجه بشيء منها إلى أحد سواه كائنـًا من كان.

أما العبادة الكونية فهي الخضوع القسري لأمر الله في الكون وهذه شاملة لجميع الخلق لا يخرج عنها أحد وحقيقتها: نفوذ مراد الله تعالى وأقداره فيهم وجريان أحكامه عليهم وصيرورتهم إلى ما حده لهم ووجههم كونـًا إليه، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]. [**عبد الله القصير**].

والله خلق الجن والإنس لتحصل منهم العبادة وأظهرهم من العدم إلى الوجود على هذه الصفة وأعطاهم ما يلزم لخلقهم وحياتهم وطلب أن تكون منهم العبادة، ووجه الأمر هنا للجن والإنس؛ لأنهم المكلفون العقلاء، وقدم الجن على الإنس لقدمهم في الوجود،

والله أعلم. وقيل: لأن الجن غير مرئيين فاقتضى ذلك الإيمان بهم من الإنس حتى لا يظن أنهم غير مكلفون، فهم مكلفين ومجازين كجزاء الإنس، ومنهم المؤمنون ومنهم الكافرون ومنهم الشياطين ومنهم البررة، وهم ذرية إبليس. المقصود أن هذه الآية أشكلت على كثير من المتكلمين إشكالاً عظيماً لم يتخلصوا منه حتى صار هذا الإشكال مربكاً مع أنها واضحة وظاهرة، ولكن إذا أراد الله جل وعلا أن يعمي قلب إنسان فإنه لا يملك له من دون الله شيء، ووجه الإشكال الذي استشكلوه أنهم يقولون في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أنه أخبر بخلقهم للعبادة والواقع أن أكثرهم لا يعبد فأين صدق الخبر؟ هل خبر الله يتخلف؟ والجواب عن هذا: أنه ليس المقصود الإخبار بعبادتهم كما أخبر بخلقهم وإنما المقصود أنه خلقهم وهيأهم للعبادة وأمرهم أن يعبدوه وأن تحصل العبادة منهم حتى يمكن أن يجزوا، أما لو كانوا مرغمين على العبادة كإرغامهم على الخلق فلا فائدة في جزائهم، ولهذا يقول علماء أهل السنة: أن هذه تدل على الحكمة من الخلق، أي أن الله خلق خلقه لحكمة وهي أمرهم بالعبادة. [**عبد الله الغنيمان**].

ولا صلاح للنفس في دنياها وآخرتها إلا بالتوحيد والإخلاص قال شيخ الإسلام رحمه الله: ولا أنفع للقلب من التوحيد وإخلاص الدين لله، ولا أضر عليه من الإشراك"[1]. وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، ومعنى يعبدون يوحدون. (وبذلك) أي: بالعبادة

(١) الفتاوى (١٠/ ٦٥٢).

الخالصة لله (أمر الله جميع الناس) من ذكر وأنثى (وخلقهم لها) أي: للحنيفية ملة إبراهيم وهي الأمر بإخلاص العبادة لله وحده.

والقلب لا يصلح ولا يفلح ولا يطيب ولا يطمئن إلا بالإخلاص في عبادة الله ولو حصل له كل ما تلتذ به المخلوقات وإذا قوي إخلاص دين العبد لله كملت عبوديته واستغناؤه عن الخلق، وعبادته سبحانه تكون بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ﷺ وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك، فسببه مخالفة الرسول ﷺ والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه، وفي غيره عموماً وخصوصاً[1]. ولن يستغني القلب عن الخلق إلا بأن يكون الله هو مولاه فلا يعبد إلا إياه ولا يستعين إلا به ولا يتوكل إلا عليه.

(وأعظم ما أمر الله به) في كتابه وأعظم ما أمر به رسله أممهم هو (التوحيد) بإفراد الله وحده بالعبادة مخلصاً له الدين، وهو أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً ولأجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وبه تكفر الذنوب وتستوجب الجنة وبه النجاة من النار، ومن لم يمتثل لهذا الأمر العظيم فجميع أعماله لا تقبل عند الله قال سبحانه: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ولأهمية التوحيد جاء القرآن كله متضمناً له قال ابن القيم رحمه الله: غالب سور القرآن بل كل سورة في القرآن، فهي متضمنة لنوعي التوحيد، بل نقول: قولاً كلياً أن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله

---

(١) الفتاوى (١٥/ ٢٥).

وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم [1].

والتوحيد هو الأصل الذي يبنى عليه الدين كله، وهو أعظم سبب لانشراح الصدر، وهو ملجأ الطالبين، ومفزع الهاربين، ونجاة المكروبين، وغياث الملهوفين، قال ابن القيم رحمه الله: ما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يلقي في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها[2].

والتوحيد الذي وقع فيه النزاع بين الرسل وأقوامهم هو توحيد الألوهية وتعريفه (هو إفراد الله بالعبادة) كالذبح والنذر والدعاء فلا تصرف أي نوع من أنواعها لغير الله.

والتوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - توحيد الربوبية وهو إفراد الله بأفعاله.

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٤٤٩).

(٢) الفوائد (ص:٩٥).

٢- توحيد الألوهية وهو إفراد الله بأفعال العباد.

٣ - توحيد الأسماء والصفات وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

وأعظم ما نهى عنه الشرك.

ومن حقق التوحيد بأقسامه الثلاثة فهو الموحد حقـًا، وعلى العبد أن يعلم أن (أعظم ما نهى) الله (عنه) في كتابه، وأعظم ما نهت عنه الرسل (الشرك) وهو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله.

والشرك بالله أعظم من قتل النفس ومن قطع الطريق والسرقة وهو أعظم الفساد في الأرض، ولا نجاة للعباد إلا بتوحيد الله وإفراده بالعباد ة، قال شيخ الإسلام رحمه الله: وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره، أو مطاع متبع غير الرسول ﷺ هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسول الله ﷺ(١).

وأعظم ذنب عصي الله به الشرك، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]. وسئل النبي ﷺ: أي الذنب أعظم؟ قال: «أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ»(٢). وقال النبي ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» قلنا: بلى يا رسول الله قال: «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»(٣).

---

(١) الفتاوى (١٥/ ٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٧)، ومسلم (٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

والشرك هضم للربوبية، وتنقص للألوهية، وسوء ظن برب العالمين، وهو أقبح المعاصي لأنه تسوية للمخلوق الناقص بالخالق الكامل من جميع الوجوه. ومن أشرك في توحيد الألوهية فهو مشرك وإن أقر بتوحيد الربوبية، فلو فرض أن رجلاً يقر إقراراً كاملاً بتوحيد الربوبية ولكنه يذهب إلى القبر فيدعو صاحبه من دون الله أو ينذر له قرباناً يتقرب به إليه فإن هذا قد وقع في الشرك الأكبر.

وتعريف الشرك هو: دعوة غير الله معه سبحانه بأن يطلب مع الله غيره أو يسأل مع الله آخر أو يجعل أحداً واسطة بينه وبين الله من قبر أو ولي بالدعاء أو الاستعانة والتوجه إليه، وغير ذلك من أنواع العبادة، وإن شئت قلت: هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

ومن وقع في الشرك استحق دخول النار وحرم دخول الجنة، قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ»[١]، (والدليل) على أن أعظم ما أمر الله به التوحيد، وأنَّ أعظم ما نهى الله عنه هو الشرك (قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) أي: أفردوه جل وعلا بالعبادة (﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾) فلا تجعلوا معه أنداداً ولا نظراء ولا أشباه لا في قليل الشرك ولا في كثيره، واحذروا الشرك وغوائله وأسبابه.

فعلى العبد أن يحقق الإيمان به سبحانه، والكفر بضده من الأنداد والشركاء، فأول أمر أُمر به العباد الأمر بعبادته وتوحيده، وأول نهي هو النهي عن ضده ثم أعقب تعالى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٩٧).

ببقية الواجبات فقال: (﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾....) وتصدير الآية بالتوحيد والنهي عن الشرك يدل على عظمة التوحيد وقبح الشرك. [**عبد المحسن القاسم**].

والشرك الأكبر أربعة أنواع:

١- شرك الدعاء: وهو أن يضرع إلى غير الله تعالى من نبي أو ملك أو ولي بقربة من القرب صلاة أو استغاثة أو استعانة أو يدعو ميتًا أو غائبًا أو نحو ذلك مما هو من اختصاص الله تعالى. والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].

٢- شرك النية والإرادة والقصد: بأن يأتي بأصل العبادة رياءً أو لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها. والدليل قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].

قال ابن القيم رحمه الله: أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقلَّ من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله، ونوى شيئًا غير التقرب إليه، وطلب الجزاء منه فقد أشرك في نيته وإرادته(١).

واعتبار شرك النية والقصد من الشرك الأكبر محمول على ما ذكرنا، وهو أن يأتي بأصل العمل رياء أو لأجل الدنيا، ولم يكن مريدًا وجه الله تعالى والدار الآخرة. وهذا العمل على هذا الوصف لا يصدر من مؤمن. فإن المؤمن وإن كان ضعيف الإيمان لابد أن يريد الله والدار الآخرة. لكن إن تساوى القصدان أو تقاربا فهذا نقص في الإيمان

---

(١) الجواب الكافي (ص:١١٥).

والتوحيد. وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص. وإن عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًّا وأخذ عليه جُعْلاً معلومًا يستعين به على العمل والدين فهذا لا يضر؛ لأن الله تعالى جعل في الأموال الشرعية كالزكوات وأموال الفيء وغيرها جزءًا كبيراً يصرف في مصالح المسلمين[1].

٣- شرك الطاعة: وهو أن يتخذ له مُشرعًا سوى الله تعالى، أو يتخذ شريكًا لله في التشريع، فيرضى بحكمه ويدين به في التحليل والتحريم عبادة وتقربًا وقضاءً وفصلاً في الخصومات. والدليل قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، ولما سمع عدي بن حاتم رضي الله عنه النبيَّ ﷺ يقرأ هذه الآية قال: إنا لسنا نعبدهم، قال: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتُحِلُّونَهُ؟» قال: بلى. قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»[2].

٤- شرك المحبة: وهو اتخاذ الأنداد من الخلق يحبهم كحب الله تعالى؛ فيقدم طاعتهم على طاعته ويلهج بذكرهم ودعائهم. والدليل قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن القيم رحمه الله: وهاهنا أربعة أنواع من المحبة يجب التفريق بينها، وإنما ضلَّ من ضلَّ بعدم التمييز بينها:

---

(١) القول السديد (ص:١٢٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

أحدها: محبة الله. ولا تكفي وحدها في النجاة من عذاب الله والفوز بثوابه، فإن المشركين وعباد الصليب واليهود وغيرهم يحبون الله.

الثاني: محبة ما يحبه الله. وهذه هي التي تدخله في الإسلام وتخرجه من الكفر، وأحب الناس إلى الله أقومهم بهذه المحبة وأشدهم فيها.

الثالث: الحب لله وفيه. وهي من لوازم محبة ما يحبه الله. ولا يستقيم محبة ما يحبه الله إلا بالحب فيه وله.

الرابع: المحبة مع الله. وهي المحبة الشركية، وكل من أحب شيئًا مع الله، لا لله ولا من أجله، ولا فيه، فقد اتخذه ندًّا من دون الله، وهذه محبة المشركين[١].

وأما الشرك الأصغر فهو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا: كالحلف بغير الله تعالى والرياء اليسير في أفعال العبادات وأقوالها وبعض العبارات مثل: (ما شاء الله وشئت)، ونحوها مما فيه تشريك بين الله وخلقه مثل: (لولا الله وفلان)، و (ما لي إلا الله وأنت)، (وأنا متوكل على الله وعليك)، (ولولا أنت لم يكن كذا)، وقد يكون هذا شركًا أكبر بحسب قائله ومقصده.

قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [النساء: ٣٦]، هذه الآية جمعت بين الأمرين: الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك، مما يدل على أن العبادة لا تتم إلا باجتناب الشرك قليلة وكثيرة؛ لأن (شيئًا) نكرة في سياق النهي فتفيد العموم، أي: لا شركًا أصغر

---

(١) الجواب الكافي (ص: ١٦٤).

ولا أكبر لا ملكًا ولا نبيًّا ولا وليًّا ولا غيرهم من المخلوقين. كما أنه تعالى لم يخص نوعًا من أنواع العبادة لا دعاء ولا صلاة ولا توكلاً ولا غيرها ليعم جميع أنواع العبادة.

وأما حكم الشرك فالأكبر مخرج من الملة. وقد حرم الله الجنة على صاحبه؛ إذ ليس معه شيء من التوحيد. وأما الأصغر فلا يخرج من الملة، لكنه وسيلة إلى الأكبر، وصاحبه على خطر عظيم، فعلى العبد أن يحذر الشرك مطلقًا، فإن بعض العلماء يرى أن الآية المذكورة عامة في الشرك الأصغر والأكبر وأن قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨] أي: ما هو أقل من الشرك(١)، والله أعلم. **[عبد الله الفوزان]**.

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَا الأُصُولُ الثَّلَاثَةُ التِي يَجِبُ عَلَى الإِنْسَانِ مَعْرِفَتُهَا؟

فَقُلْ: مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ، وَدِينَهُ، وَنَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ.

هذه بداية رسالة ثلاثة الأصول وما سبقها هي: رسائل متفرقة للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وضعها بعض تلامذته قبل ثلاثة الأصول كالتقدمة لها كما حدثني بذلك الوالد والشيخ صالح بن غصون رحمهما الله. **[عبد المحسن القاسم]**.

وطريقة السؤال والجواب طريقة سلكها الشيخ رحمه الله في كثير من رسائله وهي نافعة في تقرير المعلومات وسرعة فهمها، والطالب يدرك المعاني ويفهمها إذا ألقيت عليه

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٦٦٣)، وجامع الرسائل (٢/ ٢٥٤)، والقول المفيد (١/ ١١٠).

بطريقة السؤال والجواب؛ لأن المخاطب إذا طُرِحَ عليه السؤال استعد وتهيأ لفهم الجواب وهذه تسمى عند علماء التربية وطرق التدريس بالطريقة الحوارية، وهم ينسبونها إلى من ألف في ذلك من الغربيين وغيرهم، ونسوا أن الطريقة الحوارية كان يسلكها النبي ﷺ أحيانًا مع أصحابه فكان يطرح عليهم السؤال لأجل أن تتهيأ أذهانهم للجواب ولهذا نقول: إن وسائل الإيضاح التي تستعمل في طرق التدريس وإن جاءت عن طريق الغربيين لكنها بضاعتنا ردت إلينا. وهي طريقة نافعة في التعليم لاسيما في المراحل الأول من التعليم ليستفيد الطلاب وتتهيأ أذهانهم؛ لأن المدرس إذا ألقى عليهم السؤال استعدوا لتلقي الجواب فتمكن من الأذهان، وحتى في الدروس العامة والمحاضرات ينبغي أن تسلك هذه الطريقة؛ لأن الإلقاء المستمر قد يكون مملاً لا سيما إذا طال الوقت.

فالشيخ رحمه الله ذكر هذه المسألة بصيغة السؤال والجواب لأجل أن ينتبه لها الإنسان لأنها مسألة عظيمة فإن هذه الأصول الثلاثة هي التي يسأل عنها العبد في قبره، وهذا يدلك على أهميتها وقيمتها وأن الإنسان يعرف معناها أولاً ويعمل بمقتضاها ثانيًا، لعل الله تعالى أن يوفقه للجواب الصحيح في القبر إذا ما قال له الملكان من ربك؟ فيقول: ربي الله، ما دينك؟ ديني الإسلام، ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ هو محمد عبد الله ورسوله... الخ. فمن عرف هذه الأصول الثلاثة وعمل بمقتضاها فهو أهل لأن يوفقه الله. [**عبد الله الفوزان**].

وهذه الرسالة من هذا الموضع إلى آخرها جواب على هذه الأسئلة الثلاثة فمن كان عالمـاً بما في هذه الرسالة من بيان تلك الأصول العظام، كان حريـاً أن يثبت عند السؤال، ذلك لأنها قرنت بأدلتها وقد جاء في الحديث الذي في الصحيح أن من المسؤولين في القبر

من يقول: «هَاهْ، هَاهْ، لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»[1]، استدل العلماء بقول هذا المفتون في قبره، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته على أن التقليد لا يصلح في جواب هذه المسائل الثلاث، جواب من ربك؟ جواب ما دينك؟ جواب من نبيك؟ ولهذا يذكر الشيخ الإمام رحمه الله تعالى بعد كل مسألة مما سيأتي الدليل من القرآن، والمؤمن يخرج من التقليد ويكون مستدلاً لما يعلمه ويعتقده من هذه المسائل بالحق إذا علم الدليل عليها مرة في عمره، ثم اعتقد ما دل عليه الدليل، فإن استقام على ذلك حتى موته فإنه يكون مؤمناً، يعني مات على الإيمان لأن استمرار استحضار الدليل والاستدلال لا يشترط، لكن الذي هو واجب أن يكون العبد في معرفته للحق في جواب هذه المسائل الثلاث، أن يكون عن دليلٍ واستدلال ولو مرةٌ في عمره. [**صالح آل الشيخ**].

وقوله: (معرفة العبد ربه): ربه منصوب، لأنه مفعول لمعرفة، لأن المصدر (معرفة) أضيف إلى اسم الفاعل (العبد) والمصدر إذا أضيف يعمل عمل فعله عند النحويين، فالمصدر هنا أضيف فيعمل عمل الفعل.

قوله: (ودينه ونبيه): معطوف عليه أي على المنصوب، هذه أصول الدين إجمالا. وسيأتي تفصيلها في كلام الشيخ رحمه الله إن شاء الله.

ولماذا خص هذه الأصول الثلاثة؟ لأنها هي الأساسات لدين الإسلام، ولأنها هي المسائل التي يسأل عنها العبد حين يوضع في قبره، لأن «العبد إذا وضع في قبره وسوي عليه التراب وانصرف عنه الناس راجعين إلى أهلهم جاءه ملكان في القبر، فتعاد روحه في جسده، ويحيا حياة برزخية، ليست حياة مثل حياة الدنيا، حياة الله أعلم بها، فيجلسانه في

---

(1) أخرجه البخاري (87).

قبره فيقولان له: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فالمؤمن يقول: ربي الله، وديني الإسلام، ومحمد ﷺ نبيي، فيقال له: كيف عرفت؟ يقول: قرأت كتاب الله فدريت وعرفت، فينادي مناد: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وافتحوا له بابا من الجنة، ويوسع له في قبره مد البصر، فيأتيه من ريح الجنة وروحها، فينظر إلى مسكنه في الجنة، فيقول: يا رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

وأما المرتاب الذي عاش على الريبة والشك وعدم اليقين، وإن كان يدعي الإسلام، إذا كان عنده شكوك وعنده ريب في دين الله كالمنافق فإنه يتلجلج، فإذا قالوا له: من ربك؟ يقول: لا أدري، وإذا قالوا: ما دينك؟ يقول: لا أدري، وإذا قيل: من نبيك؟ يقول: لا أدري، هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته.

يعني أنه في الدنيا يقول ما يقوله الناس من غير إيمان، هذا المنافق والعياذ بالله الذي أظهر الإسلام وهو لا يعتقده في قلبه، وإنما أظهره من أجل مصالحه الدنيوية، فيقول في الدنيا: ربي الله، وهو غير مؤمن بها، قلبه منكر والعياذ بالله!! يقول: ديني الإسلام وهو لا يؤمن بالإسلام، يقول: نبيي محمد ﷺ وهو لا يؤمن برسالة محمد في قلبه!! إنما يقول بلسانه فقط، هذا هو المنافق، فيقال له: لا دريت ولا تليت، فيضرب بمرزبة من حديد يصيح بها صيحة لو سمعه الثقلان لصعقوا، يسمعها كل شيء إلا الإنسان، لو سمعه لصعق، أي لمات من الهول، ويضيق عليه في قبره حتى تختلف أضلاعه، ويفتح له باب إلى النار، فيأتيه من سمومها وحرها، فيقول: يا رب لا تقم الساعة، هذه عيشته وحالته في القبر، والعياذ بالله، لأنه ما أجاب بالجواب السديد. ولذلك ينادي مناد: أن كذب عبدي،

فأفرشوه من النار، وافتحوا له بابا من النار، والعياذ بالله[1]. فإذا كانت هذه المسائل بهذه الأهمية وجب علينا أن نتعلمها وأن نعتقدها، ولا يكفي التعلم فقط، بل نتعلمها ونعتقدها، ونؤمن بها، ونعمل بها ما دمنا على قيد الحياة، لعل الله أن يثبتنا عند السؤال في القبر، يقول الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. فهذه الأصول الثلاثة لها أهمية عظيمة، ولهذا ركز عليها الشيخ في هذه الرسالة ووضحها من أجل أن ندرسها، ونتمعن فيها ونعتقدها ونعمل بها، لعل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. [**صالح الفوزان**].

الأَصْلُ الأَوَّلُ مَعْرِفَةُ الرَّبِّ

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟

فَقُلْ: رَبِّيَ اللهُ الَّذِي رَبَّانِي، وَرَبَّى جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ، وَهُوَ مَعْبُودِي لَيْسَ لِي مَعْبُودٌ سِوَاهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ.

الأصول جمع أصل، وهو ما يبنى عليه غيره، ومن ذلك أصل الجدار وهو أساسه، وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا

---

(١) الشيخ روى الحديث بالمعنى، والحديث أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٣٤).

كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]. **[محمد بن عثيمين]**.

وهذه الأصول ينبني عليها الدين كله لأنها الأساس، فمخالفتها هلاك وخسران ووجوب هذه الأصول معلوم بالنصوص من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فمن أدلة وجوب معرفة هذه الأصول الثلاثة:

الأول: أن العمل الذي يتدين به لله تعالى طلباً للثواب عليه في الدنيا والآخرة لابد فيه من أمور:

أ - أن يكون مقصوداً؛ فإن غير المقصود لا يسمى أعمالاً، ولا قيمة له ولا ثواب عليه.

ب - أن يبتغى به وجه الله تعالى فإن قصد به غير وجه الله تعالى فهو شرك.

ت - أن يكون في أصله على وفق ما شرعه الله تعالى في كتابه وعلى لسان نبيه ﷺ فإنه إذا لم يكن على وفق الشريعة فهو بدعة في أصله.

ث - أن يكون في كيفيته على سنة النبي ﷺ فإنه إذا لم يتحقق فيه الإتباع للنبي ﷺ فهو بدعة في كيفيته.

الثاني: أن الإخلاص لله تعالى، والاستقامة على الشرع في كل ما يتعبد لله تعالى به ولإتباع النبي ﷺ في الكيفية من تحقيق الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

الثالث: أن الميت يمتحن في قبره فيسأل عن هذه الثلاثة الأصول:

أحدها: من ربك؟ وهو سؤال عن الإخلاص لله تعالى في القصد والنية.

ثانيها: ما دينك؟ وهو سؤال عن الاستقامة على شريعة الله في أصول العبادة.

ثالثها: من نبيك؟ وهو سؤال عن متابعته للنبي ﷺ في كيفيته ولزوم سنته.

الرابع: أن الأولين والآخرين يسألون يوم القيامة ثلاثة أسئلة، هي معنى هذه الثلاثة الأصول فيسألون:

أ - ماذا كنتم تعبدون؟ وهو سؤال عن الله تعالى وحقه.

ب - ماذا كنتم تعملون؟ وهو سؤال عن الاستقامة على الدين الذي شرعه الله تعالى لهم.

ت - ماذا أجبتم المرسلين؟ وهو سؤال عن إتباع النبي المرسل.

فأمرٌ يسأل عنه العاقل في قبره ويوم نشره وحشره لا يخفى وجوب العلم والعمل به وتحتمه.

فلا بد من الجواب عن السؤال، ولا بد أن يكون الجواب صواباً، ولا يكون ذلك إلا بمعرفة الله تعالى وعبادته بما شرع والبراءة من الشرك والبدع في أصل العبادة وكيفيتها، وسبيل ذلك توفيق الله تعالى للعبد ومن معالمه وآياته العلم والعمل بهذه الأصول.

فالعلم هو الدال على العمل والباعث على إخلاصه لله عز وجل والدوام عليه، والداعي إلى حسن الإتباع للنبي محمد ﷺ. [**عبد الله القصير**].

ثم شرع المصنف رحمه الله في تفصيل هذه الأصول الثلاثة أصلاً أصلاً وبدأ بالأصل الأول وهو معرفة العبد ربه فقال لك: (إذا) سئلت و (قيل لك): (من ربك؟) أي: من هو

معبودك وخالقك ورازقك الذي ليس لك معبود سواه؟ (فقل) له معتزاً ومفتخراً (ربي) ومعبودي هو (الله) وأنا لا أعبد إلا إياه ولا أصرف شيئًا من أنواع العبادة لغيره فلا أركع ولا أنحر ولا أنذر ولا أطوف إلا لله كيف لا أعبده وحده وهو (الذي) أوجدني من العدم؟ و (رباني) بالنعم الظاهرة والباطنة؟ وفرج كروبي؟ وأغدق عليَّ النعم؟ وأسبغ عليَّ الخيرات؟ قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨]، بل (وربىَّ جميع العالمين بنعمه) وأغدق عليهم جزيل آلائه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: والرب هو: المربي الخالق الرازق الناصر الهادي وهذا الاسم أحق باسم الاستعانة والمسألة[1].

وقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، أي: مضى عليه زمن طويل من العصور والدهور لم يكن فيها شيئًا مذكوراً، أي: موجوداً بل معدومـًا وإنما أوجده الله من العدم ورزقه النعم ليعبده وحده، (وهو معبودي) الذي أصرف إليه جميع أنواع العبادة، (وليس لي معبود سواه) أتذلل له أو أصرف له شيئـًا من العبادات فكفى بربي معبوداً فهو المستحق للعبادة، (والدليل) على أن الله أغدق عليَّ وعلى جميع الخلق بالنعم (قوله تعالى:) في أول آية في كتابه العظيم ﴿ٱلۡحَمۡدُ﴾ وهو الثناء على المحمود مع حبه وإجلاله وتعظيمه، والألف واللام في الحمد للاستغراق، أي: جميع المحامد ﴿لِلَّهِ﴾ المألوه المعبود بحق فجميع المحامد له لا لغيره ﴿رَبِّ﴾ وخالق ورازق ومالك ومدبر جميع ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ من إنس وجن وملائكة وغيرهم (وكل ما سوى الله) مما في الكون من الجن والإنس والجبال والأشجار فهو (عالَم)، والله هو

---

(١) الفتاوى (١٤/ ١٣).

الخالق، وسمي العالَم عالَماً لأنه علامة على خالقه وموجده ومالكه[1]، (وأنا) وأنت وجميع الخلق (واحد من) جملة (ذلك العالم) وتلك المخلوقات العظيمة، وكلنا محتاجون إلى الله في قضاء حاجاتنا وتفريج كرباتنا، فهو المتفرد بالخلق والرزق والتدبير،

---

(١) قوله: (وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللهِ عَالَمٌ). هي مقالة تبع فيها غيره من المتأخرين رحمه الله، وحقيقتها: اصطلاح جرى به لسان علماء الكلام فشاع وذاع، ولا أصل له في كلام العرب، فلا يوجد في كلام العرب إطلاق (العالَمين) على مجموع ما سوى الله عز وجل، ومنشؤه أن علماء الكلام رتبوا مقدمتين: إحداهما: الله قديم. والأخرى: العالم حادث. فأنتجت المقدمتان، أن كل ما سوى الله عالم، فهي نتيجة عقلية لقاعدة منطقية لا مدخل لها في اللسان العربي، فاسم (العالَم) في لسان العرب يستعمل للدلالة على الأفراد المتجانسة، فيقال عالم الإنس، وعالم الجن، وعالم الملائكة وهلم جرا ...، ومجموعها يسمى (العالَمين). وما لا جنس له لا يندرج في هذا؛ كالعرش والكرسي الإلاهيين، والجنة والنار، فالموجودات سوى الله نوعان: أحدهما الأفراد التي لا نظير لها من جنسها، فلا يشاركها غيرها في حقيقتها؛ كالكرسي والعرش والجنة والنار. والآخر: الأفراد المتجانسة أي: المشتركة في جنس واحد، ويسمى مجموعها بـ(العالَمين)؛ كعالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الملائكة، فلا يصح تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، بأن كل من سوى الله عالم؛ لأنه اصطلاح حادث، والقرآن لا يفسر بالمصطلح الحادث. وأحسن من عبر بعبارة وافية من متأخري المفسرين أحد علماء الحنابلة في تفسير طبع بأخرة، فإنه لما جاء إلى ذكر العالَمين قال: (أصناف الخلائق)، أي: الخلائق ذوات الأصناف مما له جنس يجمعه، كالذي مثلنا من الملائكة والإنس والجن، وما لا صنف له فلا يدخل في (العالَمين)؛ لأنه مستقل بنفسه كالأعيان المذكورة آنفاً من العرش والكرسي، والجنة والنار، فهي أفراد فذة من المخلوقات. [**صالح العصيمي**].

وهو المستحق بأن يعبد وحده دون من سواه وهذا مدلول كلمة الإخلاص. [**عبد المحسن القاسم**].

وأصل الرب في اللغة بمعنى: المربي، ومن هذه الكلمة تشعبت معان أخرى لكلمة الرب من المالك والمدبر والمتصرف والمتعهد. والمصنف يريد المعنى الأول؛ لأنه قال: (الذي رباني)، فانتقل إلى المعنى الأساسي للكلمة الذي هو التربية، ومعنى رباني، أي: خلقني وأوجدني ثم رباني بنعمه الظاهرة والباطنة. وقوله: (وربى جميع العالمين) هذا تعميم، أي: رباني أنا وربى جميع العالمين، وقوله: (بنعمته) أي: ابتداء من الغذاء الذي يصل إلى وأنا في بطن أمي إلى أن يجري علي الأرزاق بعد خروجي منه. كما ورد في الحديث الصحيح في الملَك الذي يؤمر بأربع بالنسبة للجنين ومنها: «بِكَتْبِ رِزْقِهِ»[1] فالله جل وعلا ينعم على العبد منذ أن يخلقه الإنعام الذي يصل إليه في بطن أمه بدون حول منه ولا قوة، والإنعام الذي يحصل له بعد خروجه إلى الدنيا عندما يكبر ويكدح ويعيش فيجري الله سبحانه وتعالى له من الأرزاق بالأسباب ما قضاه وقدره له.

وإذا كان هو الذي رباني لا غيره وربى جميع العالمين لا غيره فيترتب على هذا أن يكون هو المستحق للعبادة؛ لأن الذي يستحق أن يكون معبوداً هو القادر على الخلق، ومن لا يقدر على الخلق لا يستحق أن يكون معبوداً، ولهذا ذكر الله تعالى أوصاف الآلهة التي لا تصلح للعبادة في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، فذكر الله سبحانه سبعة أوصاف كلها نقص تدل على أن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

هذه الأوصاف التي وجدت في الآلهة لا تصلح أن تكون الآلهة معها معبودة؛ لأن المعبود هو الذي يخلق ويرزق ويحيي ويميت، ولهذا قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [الأعراف: ١٩١]. [**عبد الله الفوزان**].

وليس المراد مجرد المعرفة، التي هي العلم والقول، وإنما المراد المعرفة القلبية التي هي الخشية والتي تثمر الاعتقاد الصحيح والقول السديد والعمل الصالح والخلق الحميد. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨].

ولمعرفة الله تعالى وقوة الإيمان به أسباب منها:

١ - النظر في مخلوقات الله العلوية والسفلية فإن ذلك يدل على معرفة عظمة الله تعالى وتمام قوته وقدرته وعلمه وحكمته.

٢ - النظر في آيات الله الشرعية التي أوحاها الله تعالى إلى نبيه ﷺ فإنها مشتملة على المصالح العظيمة والغايات الكريمة وهي في غاية الحكمة والإحكام ومنظمة لمصالح العباد في معاشهم ومعادهم.

٣ - ومنها ما يلقيه الله تعالى في قلب المؤمن من معرفة الله تعالى، فيتدبر معاني أسماء الله الحسنى وأوصافه العلى وأفعاله الحكيمة المحكمة.

٤ - ومنها تذكر ألوان نعم الله تعالى على الإنسان وسابق ألطافه بالعبد.

ومعرفة الله حقًا تقتضي اعتقاد تفرد الله تعالى بالإلهية كما تفرد بالربوبية وكمال التعلق به وترك ما سواه وعبادته عبادةً خالصة له وحده، وإنما تكون معرفة الله تعالى

بالأدلة، وقد تعرف الله إلى عباده بآياته الكونية والشرعية ومخلوقاته، وما فيها من بديع الصنعة وإحكام الخلقة وبتدبيره الحكيم، ولطفه العميم.

ودلت على وجود الله تعالى ووجوب عبادته وحده لا شريك له جملة أدلة، منها:

أ - دلالة الفطرة: وهي أن كل مولود قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن هذا الإيمان إلا بصارف قد طرأ عليه لقوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠] الآية. وقال ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ...»(١) الحديث.

ب - دلالة العقل: وهي أن المخلوق لا يمكن أن يوجد نفسه لأنه كان معدوماً والمعدوم ليس بشيء حتى يوجد شيئاً، ولا يمكن أن يوجد صدفة لأن كل حادث لابد له من محدث ولأن وجود الموجودات المحدثات على نظام وتناسق وتآلف والارتباط التام بين المسببات وأسبابها يمنع يقيناً أن يكون وجودها صدفة إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقاءه وتطوره فإذا لم توجد هذه المخلوقات نفسها ولم توجد صدفة تعين أن يكون لها موجود هو الله رب العالمين.

ت - دلالة الشرع: فإن الكتب السماوية مملوءة بتقرير ذلك وما اشتملت عليه الكتب الإلهية من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

ث – دلالة الحس: وهي ما ثبت في الأخبار القاطعة والحوادث المشاهدة من إجابة الداعين وغوث المكروبين وآيات النبيين والمرسلين وكرامات الأولياء الصالحين من أظهر الأدلة على وجود رب العالمين. [**عبد الله القصير**].

فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ.

وَمِنْ آيَاتِهِ: اللَّيْلُ، وَالنَّهَارُ، وَالشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَمَا بَيْنَهُمَا.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الآيات جمع آية، والآية هي العلامة الدالة على الحق، وآيات الله تعالى هي دلائل علمه وحكمته وقوته وقدرته ووجوب توحيده سبحانه في أفعاله وأسمائه وصفاته وإلهيته ووجوب عبادته وحده بشريعته، وآياته تعالى شرعية وهي القرآن، وكونية وهي كثيرة، فالله تعالى قد نصب على توحيده نوعين من الأدلة هما:

الأول: الكتاب المسطور: «وهو القرآن العظيم»، أعظم ما أيد الله تعالى به النبي ﷺ؛ بل أعظم ما أيد الله به جميع الأنبياء والمرسلين وهو كله دعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة كما انفرد بالخلق والإنعام.

الثاني: الكتاب المنظور: «وهو هذا الكون»، بما فيه من بديع الصنعة وإحكام الخلق وحسن التدبير فإنها دلائل متكاثرة ظاهرة على وجوب توحيد الله تعالى في إلهيته وعبادته كما انفرد في خلقه وملكه وتدبيره.

والشيخ رحمه الله تعالى قد استدل على معرفة الله تعالى بنوعين من الآيات:

فإحداهما: آيات متحركة تذهب وتجئ وهما: الليل والنهار والشمس والقمر، ففي اختلافهما وتعاقبهما وانتظامهما أبلغ الدلالة على علم وحكمة وقدرة وقوة خالقهما ووجوب الإقرار بعبوديته وتحقيق عبادته.

ثانيهما: آيات ثابتة أمام الإنسان وهما السماوات والأرض وخلقهما أعظم من خلق الإنسان ففي ضخامة خلقهما وإحكامهما وما فيها من الجمال والمنافع أبلغ الدلائل على تفرد الله تعالى بالإلهية ووجوب إخلاص العبادة له والكفر بكل معبود سواه قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]. [**عبد الله القصير**].

والشيخ رحمه الله ها هنا فرق بين الآيات والمخلوقات، مع أن في القرآن ما يثبت أن السماوات والأرض من الآيات، فلم فرق؟ الجواب أن تفريق الشيخ رحمه الله تعالى بينهما دقيق جداً، وذلك أن الآيات جمع آية، والآية هي البينة الواضحة الدالة على المراد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٨]، يعني لدلالة بينة واضحة على المراد منها، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، يعني

لدلالات واضحات بينات على المراد منها. وهنا نظر إلى أنه بالنسبة لمن سئل السؤال، كون الليل والنهار والشمس والقمر آية أظهر منه عند هذا المسؤول أو المجيب من السماوات والأرض، لم؟ لأن تكلم الأشياء التي وصفت بأنها آيات متغيرة متقلبة، تذهب وتجيء، أما السماء فهو يصبح ويرى السماء ويصبح ويرى الأرض، فإلفه للسماء وللأرض يحجب عنه كون هذه آيات، لكن الأشياء المتغيرة التي تذهب وتجيء، هذه أظهر في كونها آية. ولهذا إبراهيم الخليل عليه السلام طلب الاستدلال بالمتغيرات، قال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦﴾ [الأنعام: ٧٥-٧٦]، لم؟ لأنه استدل بهذه الحركة على الحدوث، استدل بهذا التنقل على أنه آية لغيره ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا﴾، استدل بالقمر ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ﴾، استدل بالشمس، لأنها متغيرات. أما السماوات والأرض فهي آيات لكنها في الواقع عند الناظر ليست مما يدل دلالة ظاهرة واضحة على المراء عند مثل المسؤول هذا السؤال، مع كونها عند ذوي الفهم وذوي الألباب العالية أنها آيات كما وصفها الله جل وعلا في كتابه، فالشمس والقمر والليل والنهار متغيرات، تقبل وتذهب، فهي آيات ودلالات على الربوبية، وأن هذه الأشياء لا يمكن أن تأتي بنفسها لكن السماء ثابتة الأرض ثابتة ينظر إلى هذه وهذه، وتلك متغيرات والتغير يثير السؤال، لم ذهب؟ ولم جار؟ لم أتى الليل؟ ولم أتى النهار؟ لم زاد الليل؟ ولم نقص النهار؟ وهكذا، فهي في الدلالة أكثر من دلالة المخلوقات مع أن في الجميع دليلاً ودلالةً. لهذا قال: فإذا قيل لك: بم عرفت ربك؟ قل بآياته ومخلوقاته. فلآيات تدل على معرفة الله والعلم بالله، وكذلك المخلوقات تدل على العلم بالله والمعرفة بالله، لكن ما سماه آيات أخص مما سماه مخلوقات، وهذا جواب

اعتراض قد اعترض به بعضهم على الشيخ رحمه الله تعالى في تفريقه بين الآيات والمخلوقات، وتفريقه رعايةً لحال من يعلم هذه الأصول تفريق دقيق مناسب رحمه الله تعالى. [**صالح آل الشيخ**].

(فإذا) سُئلت و (قيل لك) ما هي الأدلة التي (عرفت) بها (ربك) وخالقك الذي تعبده؟ (فقل) له عرفته (بآياته) أي علاماته ودلائله التي نصبها دلالة على وحدانيته وتفرده بالربوبية والألوهية وعرفته (بمخلوقاته) الباهرة التي أوجدها بعد العدم وجعلها دالة عليه فكل شيء في الكون وإن دق فهو دال على وحدانيته:

تأمل سطور الكائنات فإنها من الملك الأعلى إليك رسائل

وقد خط فيها لو تأملت خطًا ألا كل شيء ما خلا الله باطل

والتفكر في الكون يزيد الإيمان ويعلق القلب بالله قال ابن القيم رحمه الله: وأحسن ما أنفقت فيه الأنفاس التفكر في آيات الله وعجائب صنعه والانتقال منها إلى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته[1].

(ومن) أعظم (آياته) المشاهدة بالأبصار الدالة على وحدانيته إقبال (الليل) وإدبار (النهار) وعدم اجتماعهما في زمن واحد بل كل منهما يطلب الآخر هذا يقبل وذاك يدبر طلبًا سريعًا لا يفصل بينهما شيء وهما يتعاقبان علينا تسخيراً لنا.

ومن الآيات الباهرات الدالة على وحدانية الله وتدبيره (الشمس) المشرقة بسراجها الكون (والقمر) المضيء في الدهماء آيتان تجريان على مسار دقيق أبهر الخلق، هذه

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٢١).

تشرق و ذاك يغرب، ووقفوا أمام سيرها مندهشين، جري منظم، وسير متقن، لا يتقدم ولا يتأخر ولا يدرك أحدهما الآخر قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ﴾ [يس: ٤٠]، ولا يتغير مسار أحدهما إلى غير ما قدر الله ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]، وهذه الشمس على كبر حجمها إذا غربت تسجد تحت العرش، يقول أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، أَتَدْرِي أَيْنَ تَغْرُبُ الشَّمْسُ؟» قلت الله ورسوله أعلم قال: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»[1]. وفي الآخرة تكور وتجمع قال ابن جرير الطبري رحمه الله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] أي: جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمي بها وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها[2]. (ومن مخلوقاته) العظيمة (السماوات السبع) وسعتها وارتفاعها (والأرضون السبع) وامتدادها وسعة أرجائها وتقدير أقواتها (وما فيهن) أي: ما في السموات السبع من الكواكب الزاهرات والآيات الباهرات وما في الأرضين السبع من الجبال والبحار وأصناف المخلوقات من الحيوانات والنباتات وسائر الموجودات (وما بينهما) أي ما بين السموات والأرض من الهواء وما بدا لهم من سيرهم من موطن إلى موطن في جو السماء وما ظهر لهم من منافع من نقل الحديث من بلد إلى بلد فسبحان الله رب العرش العظيم فحري بكل مسلم التفكر في آيات الله والتدبر في مخلوقاته. قال ابن جُزِي المالكي رحمه الله: التفكر هو ينبوع كل حال ومقام، فمن

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٢٧).

(٢) تفسير الطبري (٣٠/ ٦٥).

تفكر في عظمة الله اكتسب التعظيم، ومن تفكر في قدرته استفاد التوكل، ومن تفكر في عذابه استفاد الخوف، ومن تفكر في رحمته استفاد الرجاء، ومن تفكر في الموت وما بعده استفاد قصر الأمل، ومن تفكر في ذنوبه اشتد خوفه وصغرت عنده نفسه[1].

(و الدليل) على أن الليل والنهار والشمس والقمر من آيات الله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ﴾ الدالة على كمال قدرته ووحدانيته ونفوذ مشيئته وسعة سلطانه ورحمته بعباده ﴿ٱلَّيْلُ﴾ بمنفعة ظلمته وسكون الخلق فيه ﴿وَٱلنَّهَارُ﴾ بمنفعة ضيائه وتصرف العباد فيه ﴿وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ اللذان لا تستقيم معايش العباد إلا بهما ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ فإنهما مدبَّران مسخَّران مخلوقان لا يستحقان أن يسجد لهما ﴿وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ﴾ لا لغيره ووحدوه فهو ﴿ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ فإنهما وإن كبر حجمهما فإن ذلك ليس منهما وإنما هو من خالقها ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ وحده جل وعلا فخصوه بالعبادة وإخلاص الدين، والدليل على أن السموات السبع والأرضين السبع من مخلوقات الله الدالة عليه جل وعلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وما فيهما وأتقن خلقهما وأحكم بنيانهما ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة ﴿ثُمَّ﴾ لما قضاها وأودع فيها من أمره ما أودع ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ جل وعلا ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ العظيم الذي وسع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما استواءً يليق بجلاله وعظمته، وهو سبحانه ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ﴾ المظلم بـ ﴿ٱلنَّهَارَ﴾ المضيء فيظلم ما على وجه الأرض و يسكن الآدميون وتأوي المخلوقات إلى مساكنها ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ كلما جاء

(١) القوانين الفقهية (ص: ٢٨٤).

الليل ذهب النهار وكلما جاء النهار ذهب الليل حتى يطوي الله هذا العالم وينتقل العباد إلى دار القرار.

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ﴾ الثابتة والسائرة ﴿مُسَخَّرَٰتٍ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ وتدبيره وعلمه وحكمته ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾؟ بلى إن له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات ويتضمن أحكامه الكونية القدرية وله ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ المتضمن للشرائع والنبوات وهذا يتضمن جميع أحكامه الدينية الشرعية ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ﴾ أي: بلغ في البركة النهاية وهي صيغة لا تصلح إلا لله فهو سبحانه عظم وتعالى وكثر خيره فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير وهو سبحانه ﴿رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ المنعم عليهم بخيراته وسابغ فضله. [**عبد المحسن القاسم**].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ﴾، يعني إن ربكم أيها العباد من الجن والإنس هو الله. وربكم يعني خالقكم، وهو معبودكم الحق وحده لا شريك له: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: ثم ارتفع على العرش، وعلا فوقه سبحانه وتعالى، فعلمه في كل مكان وهو فوق العرش، فوق جميع المخلوقات، والعرش سقف المخلوقات وهو أعلى المخلوقات، والله فوقه جل وعلا، استوى عليه استواء يليق بجلاله لا يشابه خلقه في شيء من صفاته. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]. وقوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾، فالخلق له والأمر له هو الخلاق الذي لا يخالف أمره الكوني الذي هو نافذ في الناس كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. وقوله: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ

بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]، فأمر الله الكوني القدري لا راد له، ولهذا قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. فـ ﴿تَبَارَكَ﴾: يعني بلغ في البركة النهاية، وهي صيغة لا تصلح إلا لله، فلا يقال للعبد تباركت يا فلان، هذا لا يصلح، وإنما هو خاص بالله كما قال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾، وإنما يقال للمخلوق بارك الله في فلان، أو فلان مبارك، أما تباركت؛ فإنها لا تصلح إلا لله وحده. [**عبد العزيز بن باز**].

وَالرَّبُ هُوَ الْمَعْبُودُ. وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢].

الرب الخالق لكل شيء المربي لعباده بنعمه هو المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

فأمر الله سبحانه وتعالى جميع الناس أن يعبدوه ويتركوا عبادة ما سواه، وهذا هو معنى (لا إله إلا الله)، وذكر سبحانه وتعالى المعاني المقتضية لعبادته وهي: أنه خالقهم وخالق آبائهم وخالق السماوات والأرض، وهو الذي ينزِّل الغيث ويخرج الأرزاق، ومن هذا شأنه فهو المستحق للعبادة، فقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ هذا يتضمن إثبات العبادة لله، وقوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة:٢٢] يتضمن نفي إلهية من سوى الله؛ لأنه تعالى لا ند له. [**عبد الرحمن البراك**].

فمقصود المصنف هنا: بيان استحقاق الله للعبادة، وأن موجب الاستحقاق كونه ربا، ومن كان ربا وجب أن يكون معبودا، وليس كلامه تفسيرا لـ(الرب)، فلا يريد بقوله: (والرب هو المعبود)؛ أي: أن معنى (الرب) هو: المعبود، فليس المعبود من معاني (الرب) في الوضع اللغوي في أصح قولي أهل اللغة. [**صالح العصيمي**].

وهاتان الآيتان بينتا: أن جميع عقلاء الثقلين مكلفون بعبادة الله تعالى فـ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ يدخل فيه جميع الناس، الرجال والنساء، وكذلك الجن، لأن الناسي من يأنس بغيره. فكأنه قال: يا أيها الجن والإنس اعبدوا ربكم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فالأمر بعبادة الله تعالى هو أول أمر في القرآن، فهو أول أمر بأعظم مأمور به وهو التوحيد من أعظم آمر وهو الله جل وعلا، وإنما كان أول أمر لان ما قبله أخبار، وأعظم مأمور، لأنه أعظم واجب على المكلفين والآمر هو الله تعالى، والمعنى: ﴿ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾، أي: أفردوه بأفعالكم التي شرعها لكم وتعبدكم بها من الدعاء والخوف وغيرها من أنواع العبادة، ومن هذه الأفعال والأعمال التي يتعبد بها أنواع: فمنها:

أ - عبادات قوليه: كالشهادتين وتلاوة القرآن وتعليم العلم. والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

ب - عبادات قلبية: كالخوف والرجاء، والرغبة، والرهبة، والإنابة، والمحبة، والتوكل، ونحوها.

ت - عبادات بدنية: ذات أقوال وأفعال: كالحج والصلاة.

ث - عبادات مالية: كالزكاة والذبح.

ج – عبادات تركية: يتقرب بتركها إلى الله عز وجل تعبداً له، بأن يترك ما حرم الله عليه مؤقتاً كالمفطرات في الصوم، أو أبداً كسائر المحرمات التي أمر الله بتركها واجتناب وسائلها.

فكل هذه العبادات وغيرها مما تعبد الله تعالى به الناس يجب قصد الله تعالى وابتغاء وجهه بها، ولهذا قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

فالمقصود اعبدوا الله بأعمال الجوارح والقلوب والألسن، وإنفاق الأموال ابتغاء مثوبته ومرضاته، وحذراً من غضبه وعقوباته لأنه تعالى المنفرد بالخلق والملك والتدبير والكمال والتنزه عن العيوب والنقائص والمثال، وهو ذو الغنى والجود والكرم المبتدئ والمحسن بأنواع النعم ودفع النقم، والذي إليه المرجع والمآب، وعليه الحساب والثواب والعقاب: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. [**عبد الله القصير**].

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الخَالِقُ لِهَذِهِ الأَشْيَاءَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ[١].

(قال) الإمام أبو الفداء إسماعيل بن عمر (بن كثير) صاحب التفسير (رحمه الله) وأسكنه جناته (الخالق) الذي أوجد (هذه الأشياء) من العدم من خلق الإنسان والأرض والسماء وما فيهما من الخيرات والثمار (هو المستحق للعبادة). وغيره مخلوق ضعيف لا يستحقها قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ۝١٤﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

قال ابن القيم رحمه الله: كل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقـًا، والمعبود لابد وأن يكون مالكـًا للنفع والضر، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً ولا نفعـًا[٢]. [**عبد المحسن القاسم**].

فالعبادة في اللغة معناها: التذلل والخضوع، ومنه طريق معبد: يعني مذلل مخضع بالمشي عليه.

والعبادة قسمان: القسم الأول: عبادة عامة لجميع الخلق، كلهم عباد الله، المؤمن والكافر، والفاسق والمنافق، كلهم عباد الله، بمعنى أنهم تحت تصرفه وقهره، وأنهم تجب

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ٨٨) ونصه: أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنيها ورازقهم، فبهذا يستحق أن يعبد وحده ولا يشرك به غيره.

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١).

عليهم عبادته سبحانه وتعالى، هذه عبادة عامة لجميع الخلق، مؤمنهم وكافرهم، كلهم يقال لهم عباد الله، بمعنى أنهم مخلوقون له، مذللون، لا يخرج أحد منهم عن قبضته وسلطانه، كما قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾ [مريم: ٩٣]. هذا يشمل كل من في السماوات والأرض، المؤمن والكافر، كلهم يأتون يوم القيامة منقادين لله سبحانه وتعالى، ليس لأحد منهم شركة مع الله سبحانه وتعالى في ملكه.

القسم الثاني: عبودية خاصة بالمؤمنين، كما قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا﴾ [الفرقان: ٦٣]، قال الشيطان: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]. هذه عبودية خاصة، وهي عبودية الطاعة والتقرب إلى الله بالتوحيد.

والعبادة في الشرع اختلف العلماء في تعريفها، يعني اختلفت عباراتهم في تعريفها، والمعنى واحد، فمنهم من يقول: العبادة غاية الذل مع غاية الحب، كما قال ابن القيم في النونية:

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابده هما قطبان

فعرفها بأنها غاية الحب مع غاية الذل.

ومنهم من يقول: العبادة هي: ما أمر به شرعا من غير اطراد عرفي ولا اقتضاء عقلي.

لأن العبادة توقيفية لا تثبت بالعقل ولا بالعرف، وإنما تثبت بالشرع، وهذا تعريف صحيح.

ولكن التعريف الجامع المانع هو ما عرفه بها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث قال: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

هذا التعريف الجامع المانع، وهو أن العبادة اسم لجميع ما أمر الله به، ففعل ما أمر الله به طاعة لله، وترك ما نهى الله عنه طاعة لله، هذه هي العبادة، ولا تحصر أنواعها، أنواعها كثيرة، سواء كان ذلك ظاهرا على الجوارح أو كان باطنا في القلوب، لأن العبادة تكون على اللسان وتكون على القلب وتكون على الجوارح.

تكون على اللسان مثل التسبيح والذكر والتهليل والنطق بالشهادتين، كل أقوال اللسان المشروعة من ذكر الله عز وجل فإنها عبادة.

وكذلك كل ما في القلب من التقرب إلى الله عز وجل فإنه عبادة كالخوف والرجاء والخشية والرغبة والرهبة والتوكل والإنابة والاستعانة، كل هذه أعمال قلب، اللجوء إلى الله بالقلب وخشية الله وخوفه ورغبته والرغبة إليه ومحبته سبحانه والإخلاص له والنية الصادقة لله عز وجل، كل ما في القلوب من هذه الأنواع فهو عبادة؛ وكذلك تكون العبادة على الجوارح مثل الركوع والسجود والجهاد في سبيل الله والجهاد بالنفس والهجرة، كل هذه عبادات بدنية، والصيام عبادة بدنية تظهر على الجوارح.

فإذن العبادة تكون على اللسان، وعلى القلب، وتكون على الجوارح، ثم هذه العبادة تنقسم إلى عبادة بدنية وإلى عبادة مالية.

العبادة البدنية: هي الثلاثة الأنواع التي قلنا، تكون على اللسان وعلى الجوارح وعلى القلب.

وتكون مالية: مثل إخراج الزكاة، مثل الإنفاق في سبيل الله، وهو الإنفاق في الجهاد قال الله تعالى: ﴿وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [التوبة: ٢٠]. قدم الأموال على الأنفس، فالجهاد بالمال عبادة مالية، الحج يتكون من عبادة بدنية وعبادة مالية، فأداء المناسك: الطواف والسعي ورمي الجمار والوقوف بعرفة والمبيت بمزدلفة عبادة بدنية، أما الإنفاق فيه فهو عبادة مالية؛ لأن الحج يحتاج إلى نفقة. **[صالح الفوزان]**.

وَأَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا مِثْلُ: «الإِسْلامِ، وَالإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ».

وَمِنْهُ: الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالإِنَابَةُ، وَالاسْتِعَانَةُ، وَالاسْتِعَاذَةُ، وَالاسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلَكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ الَّتِي أَمَرَ اللهُ بِهَا. كُلُّهَا للهِ تَعَالَى.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا شَيْئًا لِغَيْرِ اللهِ؛ فَهُوَ مُشْرِكٌ كَافِرٌ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

وَفِي الْحَدِيثِ: «الدُّعَاءُ مُخُّ العِبَادَةِ»(١).

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧١)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣١٩٦).

لما تقرر أن الرب هو المعبود كان من المناسب أن تذكر أنواع العبادة التي يعبد الله جل وعلا بها، والتي يجب إفراد الله جل وعلا بها، والعبادة عرفت بعدة تعريفات، فمنها أنها عرفت بأن العبادة هي: كل ما أمر به من غير اقتضاء عقلي ولا اطراد عرفي. وهذا هو تعريف الأصوليين في كتبهم، ومعنى ذلك أن الشيء الذي أمر به من غير أن يقتضي العقل المجرد الأمر به، ومن غير أن يطرد به عرف. هذا يسمي عبادة، يفسر ذلك تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للعبادة في أول كتابه أو رسالته (العبودية) حيث قال: إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهذا التعريف مناسب لأنه أيسر في الفهم أولا، والثاني أنه قريب المأخذ من النصوص، فقال: (اسم جامع) يعني يجمع أشياء كثيرة، جامع لأي شيء؟ (لكل ما يحبه الله ويرضاه)، كيف نصل إلى أن هذا العمل أو القول يحبه الله ويرضاه؟ لابد أن يكون مأموراً به، أو مخبراً عنه، بأن الله جل وعلا يحبه ويرضاه. أنواعها قال: (من الأقوال والأعمال). فهناك قول وعمل فإذا العبادات تنقسم إلى عبادات قوليه وعبادات عملية، ليس ثم قسم ثالث، إما أن تكون العبادة قولية، وإما أن تكون عملية. قال: (الظاهرة والباطنة). قد يكون باطنـًا، فتحصل أن أنواع العبادات هي: الأقوال والأعمال التي يحبها الله ويرضاها. والقول قد يكون باللسان وقد يكون بالجنان، قول اللسان أنواع كثيرة مما أمر الله جل وعلا به، مثل الذكر والتلاوة كلمة المعروف، ونحو ذلك، هذه كلها من أنواع العبادات اللسانية قول القلب هو نيته، قصده. وقد التبست النية على قوم، فكانوا يتلفظون بها، نعم النية قول، لكنها قول القلب، إذا قصد القلب وتوجه إلي شيء كان قائلاً به، ليس متكلمـًا لأن الكلام من صفات اللسان، أما القول قد يكون ظاهراً وقد يكون باطنـًا، العمل عمل

القلب وعمل الجوارح، وهذه الأنواع التي ذكرها الشيخ رحمه الله تعالي بعضها من الأقوال وبعضها من الأعمال، بعضها ظاهر وبعضها باطن، بعضها لساني وبعضها عملي قلبي وبعضها من عمل الجوارح، فمثلاً الإخلاص هذا عمل القلب، التوكل عمل القلب، لا يصلح الإخلاص إلا لله جل وعلا إخلاص العبادة إخلاص الدين إلا لله جل وعلا، كما قال تعالي: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤]. التوكل كذلك من أعمال القلب التي ليست إلا لله، يعني خوف العبادة خوف السر، الرغبة الرهبة الإنابة الخضوع الذل، ... إلى آخره، هذه كلها من أعمال القلب، هي داخلة في أنواع العبادة. الأعمال الظاهرة، مثل الاستغاثة، الاستعانة، هذه من الأعمال الظاهرة الذبح واضح أنه عمل جوارح النذر واضح أنه قول اللسان وعمل الجوارح، ونحو ذلك.

فإذاً هذه العبادات التي مثل بها أراد أن يشمل تمثيله أقسام العبادات القولية والعملية، الظاهرة والباطنة، يجمعها جميعاً أنها عبادات، والعبادة لا تصلح إلا لله جل وعلا، فمن صرف شيئاً لغير الله فقد توجه بالعبادة لغير الله منافياً لما قال الله جل وعلا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، ومنافياً لإقراره بأن معبوده هو الله جل وعلا، فإنه إذا توجه بشيءٍ في هذه الأنواع لغير الله جل وعلا كان متوجهاً بالعبادة لغير الله وذلك هو الشرك، والدليل قوله تعالي: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾، فلا تدعو، الدعاء هو العبادة كما جاء في الحديث الذي استدل به الشيخ، و«مُخُّ العِبَادَةِ» بمنزلة قول

النبي ﷺ: «الْحَجُّ عَرَفَةُ»(١)، وهذا نهي أن يدعو الناس أحداً مع الله جل وعلا، يعني أن يعبدوا أحداً مع الله، وإذا كان الدعاء هنا دعاء مسألة فيكون معني الآية وأن المساجد لله فلا تسألوا سؤال عبادة مع الله أحداً، لا تطلبوا طلب عبادة مع الله أحداً، واللفظ تدعو يشمل دعاء العبادة ودعاء المسألة.

فهذه الآية دليل علي وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة، فإن قال قائل لك حين الاستدلال بها: إن الدعاء هنا دعاء المسألة، وغيره من أنواع العبادة التي تزعمون من الذبح والنذر ومن الاستعاذة ونحو ذلك، لا تدخل في النهي في هذه الآية؟ فيكون جوابك: أن الدعاء في القرآن جاء بمعنيين، جاء ويراد به العبادة وجاء ويراد به المسألة، فمثلاً في قوله تعالي: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ [غافر: ٦٠]، ظاهر الدعاء المراد به العبادة، لأنه قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، وكذلك في قوله تعالي مخبراً عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٨]، قال جل وعلا بعد ذلك: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٩]، ففي الآية الأولي أخبر عن إبراهيم أنه قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾، ثم قال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾، فدل على أن إبراهيم عليه السلام حين قال: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾، أي: وما تعبدون، لأن الله جل وعلا قال بعدها: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ﴾، وهذا من الأدلة الظاهرة أن الآية هذه تشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة. وقد أُورد على أئمتنا رحمهم الله تعالي حين قرروا التوحيد في

---

(١) أخرجه أبو داود (١٩٤٩)، والنسائي (٣٠١٦)، الترمذي (٨٨٩).

مقالهم وفي كتبهم أن هذه الآية إنما هي دليل للمسألة، وأما غيرها مما تدَّعون أنه عبادة وأن هذه الآية فيها نهي عنه، كالذبح والنذر ونحو ذلك، أنه لا يدخل في الآية، فكان الجواب أن الدعاء نوعان، دعاء عبادة ودعاء مسألة، وهذا يأتي في القرآن وذلك يأتي في القرآن والآية تشمل النوعين، لأن الدعاء إذا كان في القرآن يأتي تارات لهذا وتارات لهذا، فتحديده في هذه الآية بأحد النوعين ونفي النوع الآخر، هذا نوع تحكم وهو ممتنع. **[صالح آل الشيخ]**.

والدعاء لغة: هو النداء والطلب، وشرعـًا: سؤال العبد ربه – عن رغبة ورهبة – جلب ما ينفعه، ودفع ما يضره في العاجل والآجل أو هو سؤال الحاجة من أمر الدنيا والآخرة. والدعاء نوعان:

الأول: دعاء ثناء وهو أن يثني العبد على الله تعالى بصفات كماله ونعوت عظمته وجلاله، كأن يقول: لا إله إلا الله أكبر كبيراً، الحمد لله كثيراً، سبحان الله العظيم فيثنى على الله تعالى بهذه الكلمات ونحوها مثل يا رب العالمين يا أرحم الراحمين تعبداً لله تعالى أي طلبـًا لثوابه أو توسلاً إلى الله تعالى في التماس حاجته.

الثاني: دعاء مسألة وهو طلب العبد الحاجات من الله تعالى وبهذا صار دعاء عبادة لأنه يتضمن الافتقار إلى الله تعالى، كأن يقول: ربي اغفر لي، وارحمني، وارزقني، وعافني، وهكذا واللجوء إليه واعتقاد أنه يقضي الحاجة لإحاطة سمعه وبصره وعظم غناه وسعة جوده وفضله وكمال قدرته.

وقد ذكر الشيخ رحمه الله الدعاء (أولاً)، لأن أكثر الشرك الواقع من الناس فيه فهو أكثر وأعظم ما يقع من أنواع الشرك، ودعاء الله وحده هو أعظم وأهم أنواع العبادة، وهو

من العبادات القلبية لتوجه القلب إلى الله تعالى وثقته به، ومن العبادات اللسانية لذكر الله تعالى والضراعة إليه بطلب الحاجة، فإن كانت الحاجة مما لا يقدر عليها إلا الله فطلبها من الله توحيد، لاعتقاد الطالب بأن الله هو الذي يتصرف ويعطي، وطلبها من غير الله شرك أكبر يجتمع فيه الشرك في الربوبية والشرك في العبادة، أما إن طلب من المخلوق شيئًا يقدر عليه فلا شيء في ذلك لكن يجب أن يتعلق القلب بالله تعالى ويعتقد أنه وحده هو الميسر لذلك الأمر وإنما المخلوق سبب ووسيلة، فإن التفت القلب إلى المخلوق بشيء من الاعتماد والثقة فقد أشرك شركًا أصغر. [**عبد الله القصير**].

وبدأ بالنوع الأول وهو الدعاء؛ لأنه أهم أنواع العبادة لما ورد في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ»[1]، فدل على أن الدعاء أهم أنواع العبادات من وجهين:

الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى بضمير الفصل «هو» وضمير الفصل يفيد التوكيد.

الثاني: أنه أتى باللام في قوله «العبادة» فكأنه قال: الدعاء هو العبادة لا غيرها.

أما الحديث الذي ذكره المصنف رحمه الله: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»[2] فمخ الشيء لبه وخلاصته وما يقوم به، ومعناه: أن العبادة لا تقوم إلا بالدعاء كما أن الإنسان لا يقوم إلا بالمخ؛ لدلاته على الإقبال على الله تعالى والإعراض عما سواه. وهذا الحديث يدل على منزلة الدعاء من بين أنواع العبادة وهو حديث ضعيف لكن معناه صحيح. ويشهد له الحديث الذي ذكرته آنفًا وهو حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه. [**عبد الله الفوزان**].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) سبق تخريجه.

وَدَلِيلُ الْخَوْفِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فأمر الله بالخوف منه، وخوف الله من أجل أحوال القلوب وأفضلها؛ لأنه يمنع صاحبه من الإقدام على معصية الله.

وفي معنى الخوف: الخشية والرهبة فمعانيها متقاربة، وكلها جاء ذكرها في القرآن، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨﴾ [المؤمنون:٥٧-٥٨]، وقال تعالى: ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [النحل:٥١]، والآيات في ذكر الخوف كثيرة.

والخوف من الخلق مذموم: ومنه ما هو معصية، ومنه ما هو شرك، فالخوف من الأوثان والأموات واعتقاد أنهم يعلمون الغيب، وأنهم يؤثرون بالنفع والضر هذا شرك.

وأما خوف الإنسان من الأسباب المؤذية، كخوفه من العدو أو من السبع أو من غير ذلك من الأمور التي تضره؛ فهذا اسمه: خوف طبيعي. [**عبد الرحمن البراك**].

ومنزلة الخوف فرض على كل أحد، وهو ركن العبادة الأعظم ولا يستقيم إخلاص الدين لله إلا به قال ابن القيم: وأما الوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة غير مترادفة، أي: معانيها مختلفة. وأما الوجل: فرجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف

سلطانه وعقوبته أو لرؤيته. والخوف: هو تألم القلب وحركته بسبب توقع مكروه في المستقبل[١]، والخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله.

والخوف منه سبحانه من أسباب صلاح القلب، قال شيخ الإسلام رحمه الله: فما حفظت حدود الله ومحارمه ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته، فمتى خلا القلب من هذه الثلاث فسد فساداً لا يُرجى صلاحه أبداً ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه[٢].

وقد كان الأنبياء أشد الخلق خوفاً من الله قال نوح عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، وقال النبي ﷺ: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، وقد كان النبي ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء[٣]، أي: كصوت الإناء إذا غلا فيه الماء. وكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار بالله جهلاً[٤]. ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد ربه، فأعرف الناس أخشاهم لله ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه وحبه له وكلما ازداد معرفةً ازداد حياءً وخوفاً وحباً، وعلى قدر العلم والمعرفة يكون الخوف والخشية، كما قال النبي ﷺ:

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٢).

(٢) الفتاوى (١٥/ ٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤)، وأحمد (١٦٣٦٠).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٤٥٣٢).

«إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[1]. وقال ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللهِ»[2]. قال شيخ الإسلام رحمه الله: الخوف من الله يستلزم العلم به والعلم به يستلزم خشيته وخشيته تستلزم طاعته[3]، وهو المانع من اتباع الشهوات. قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ما فارق الخوف قلباً إلا خرب[4].

والخائف من ربه يمنحه التبصر في آياته ونذره ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣]، وفي الآخرة تُفَتَّح له الجنان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، ومن عظم وقار الله في قلبه وقره الله في قلوب الخلق أن يذلوه. [**عبد المحسن القاسم**].

والخوف هو: انفعال يحصل بتوقع ما فيه ضرر أو هلاك.

والخوف أنواع:

الأول: الخوف الطبيعي، كالخوف من عدو أو سبع أو حية فهذا ليس بعبادة، ولا ينافي الإيمان؛ لأنه قد يوجد في المؤمن كما قال تعالى عن موسى عليه السلام ﴿فَأَصْبَحَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٥٥٥)، والترمذي (٢٣١٢).

(٣) الفتاوى (٧/ ٢٤).

(٤) مدارج السالكين (١/ ٥١٣).

فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨]، هذا الخوف لا يلام عليه الإنسان إذا انعقدت أسبابه، أما إذا كان وهمياً أوله سبب ضعيف فهو مذموم لأن صاحبه جبان.

النوع الثاني: خوف السر، وهو أن يخاف من غير الله من وثن أو ولي من الأولياء بعيداً عنه أن يصيب بمكروه وهذا الخوف هو الواقع بين عباد القبور والمتعلقين بالأولياء، قال تعالى عن قوم هود: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعۡتَرَىٰكَ بَعۡضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖۗ﴾ [هود: ٥٤]، فهم يتصورون أن الآلهة يخاف منها لأنها قد تعتري الإنسان بسوء، ومعنى هذا في نظرهم أنها إذا كانت تنفع فإنه يتصور أنها تضر فهذا يطلق عليه خوف السر.

النوع الثالث: أن يترك الإنسان ما يجب خوفاً من الناس كأن يترك الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوفاً من الناس فهذا خوف محرم ومذموم.

النوع الرابع: خوف تعبد وتعلق، هو أن يخاف أحداً يتعبد بالخوف له فيدعوه الخوف لطاعته، وهذا النوع هو خوف التعبد والتأله الذي يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية وهذا خاص بالله تعالى. وتعلقه به من أعظم واجبات الدين ومقتضيات الإيمان، وتعلقه بغير الله تعالى من الشرك الأكبر؛ لأن الخوف من أعظم واجبات القلب(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الإنسان إذا لم يخف من الله اتبع هواه ولاسيما إذا كان طالباً ما لم يحصل له، فإن نفسه تبقى طالبة لما تستريح به، وتدفع به الغم والحزن عنها، وليس عندها من ذكر الله وعبادته ما تستريح إليه وبه، فيستريح إلى المحرمات من فعل الفواحش وشرب المحرمات وقول الزور... "(٢).

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (ص:٤٨٤).

(٢) الفتاوى: (١/ ٥٤- ٥٥).

والآية التي ساقها المؤلف دليل على أن الخوف عبادة لله تعالى بدليل أن الله جعل الخوف شرطـًا لصحة الإيمان فقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وهذه الآية أولها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ومعنى ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، أي: يخوفكم أولياءه ويعظمهم في صدوركم؛ لأجل أن تموت معنوياتكم فتخافوهم فتحصل الهزيمة. قال الأنباري: والذي نختاره في الآية: يخوفكم أولياءه. تقول العرب: أعطيت الأموال، أي: أعطيت القوم الأموال. فيحذفون المفعول الأول[(١)]. وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ فيه بيان أنه لا يجوز للمؤمن أن يخاف أولياء الشيطان، ولا يخاف الناس كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، فخوف الله أمر به. وخوف أولياء الشيطان نهى عنه[(٢)]. والشاهد في الآية أن الإنسان إذا خاف غير الله سبحانه خوف تعبد وتأله مستقر بالقلب يحمل على الطاعة والبعد عن المعصية فإن هذا الخوف من أنواع الشرك؛ لأن الله جل وعلا جعله من مقتضيات الإيمان، فمن صرف هذا لغير الله تعالى فليس بمؤمن. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله معنى بديعـًا من معاني الخوف كما نقله عنه ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين يقول شيخ الإسلام: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله[(٣)]. وقال بعض السلف: لا يعد خائفـًا من لم يكن للذنوب تاركـًا[(٤)].

---

(١) الفتاوى (١/ ٥٦).

(٢) الفتاوى (١/ ٥٧).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥١٤).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص:١٦٢).

والخشية بمعنى الخوف، لكن الخشية أخص من الخوف؛ لأن الخشية مقرونة بمعرفة الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، فالخشية خوف مقرون بمعرفة الله، ولهذا قال النبي ﷺ: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»[1]. **[عبد الله الفوزان]**.

وخوف السر هو: أن يخاف غير الله جل وعلا فيما لا يقدر عليه إلا الله جل وعلا.

فيخاف أن يصيبه هذا المخوف منه بشيء في نفسه - يعني في نفس ذلك الخائف- كما يصيبه الله جل وعلا بأنواع المصائب من غير أسباب ظاهرة ولا شيء يمكن الاحتراز منه.

فإن الله جل وعلا له الملكوت كله وله الملك وهو على كل شيءٍ قدير بيده تصريف الأمر، يرسل ما يشاء من الخير ويمسك ما يشاء من الخير، يرسل المصائب، وكل ذلك بدون أسباب يعلمها العبد، وقد يكون لبعضها أسباب لكن هو في الجملة من دون أسباب يمكن للعبد أن يعلمها، يموت هذا ينقضي عمر ذاك هذا يموت صغيراً، ذاك يموت كبيراً، هذا يأتيه مرض وذاك يأتيه بلاء في ماله، ونحو ذلك الذي يفعل هذه الأشياء هو الله جل وعلا فيخاف من الله جل وعلا خوف السر أن يصيب العبد بشيء من العذاب في الدنيا أو في الآخرة، المشركون يخافون آلهتهم خوف السر أن يصيبهم ذلك الإله ذلك السيد ذلك الولي، أن يصيبهم بشيء كما يصيبهم الله جل وعلا بالأشياء فيقع في قلوبهم الخوف من تلك الآلهة من جنس الخوف الذي يكون من الله جل وعلا، فعباد القبور وعباد الأضرحة وعباد الأولياء يخافون أشد الخوف من الولي أن يصيبهم بشيء إذا تنقص الولي أو إذا لم

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٢)، والحديث أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١١٠٨).

يقم بحقه. هذا هو خوف السر وهذا هو الذي جاء في مثل قول الله جل وعلا: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]، قال: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾، لأنهم يخافون آلهتهم هذا النوع من الخوف. ولهذا تجد القلب معلق، تجد قلوبهم معلق بآلهتهم لأنهم يخافونهم خوف السر. [**صالح آل الشيخ**].

وَدَلِيلُ الرَّجَاءِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

الرجاء طمع الإنسان في أمر قريب المنال، وقد يكون في بعيد المنال تنزيلاً له منزلة القريب.

والرجاء المتضمن للذل والخضوع لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله تعالى شرك إما أصغر، وإما أكبر بحسب ما يقوم بقلب الراجي. [**محمد بن عثيمين**].

قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾: يعني من كان يطمع في أن يرى الله عيانًا يوم القيامة فليعمل عملًا صالحًا، يأتي بالسبب الذي يؤهله لحصول هذا المطلوب، وهو الثواب بدخول الجنة والنجاة من النار، والنظر إلى وجه الله؛ لأن هذا متلازم، لأن من دخل الجنة فإنه يرى الله عز وجل. ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ هذا يدل على أن الرجاء وحده لا يكفي، لا بد من العمل، أما أنك ترجو الله ولكنك لا تعمل فهذا

تعطيل للسبب، فالرجاء المحمود هو الذي يكون معه عمل صالح، أما الرجاء غير المحمود فهو الرجاء الذي ليس معه عمل صالح، والعمل الصالح ما توفر فيه شرطان:

الأول: الإخلاص له عز وجل.

الثاني: المتابعة للرسول ﷺ.

فالعمل لا يكون صالحًا إلا إذا توفر فيه هذان الشرطان: أن يكون خالصًا لوجه الله ليس فيه شرك، وأن يكون صوابًا على سنة رسول الله ﷺ، ليس فيه بدعة، فإذا توفر فيه الشرطان فهو صالح، وإن اختل فيه شرط فإنه يكون عملًا فاسدًا لا ينفع صاحبه.

فالعمل الذي فيه شرك يرد على صاحبه، كذلك العمل الذي فيه بدعة يرد على صاحبه، قال ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»[1] فهذه الآية فيها الرجاء وأنه عبادة الله عز وجل، وفيها أن الرجاء لا يصح إلا مع العمل الصالح. **[صالح الفوزان]**.

وأصل الرجاء هو الطمع أو انتظار الشيء المحبوب، والرجاء يتضمن التذلل والخضوع، فلا يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وتعليق الرجاء بغير الله شرك، وإن كان الله تعالى قد جعل لها أسبابـًا، فالسبب لا يستقل بنفسه بل لابد له من معاون، ولابد من انتفاء الموانع، وهو لا يحصل ولا يبقى إلا بمشيئة الله تعالى[2].

والرجاء نوعان:

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) الفتاوى (١٠/ ٢٥٦).

١- رجاء محمود: وهو رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راج لمغفرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

٢- رجاء مذموم: وهو رجاء رجل متمادٍ في التفريط والخطايا يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب.

والفرق بين الرجاء والتمني: أن الرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. والتمني يكون مع الكسل. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب بالمحبة والعبودية بالطاعة وأنواع القربات[١].

ومعنى قول تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ﴾، أي: يعمل ويطلب وينتظر. وقوله: ﴿لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ المراد باللقاء هنا المعاينة، والمراد بها الملاقاة الخاصة؛ لأن اللقاء يوم القيامة نوعان:

١- نوع خاص: وهذا للمؤمنين، وهو لقاء الرضا والنعيم من الله سبحانه وتعالى.

٢- لقاء عام: لجميع الناس، وقد دل على اللقاء العام قوله تعالى في سورة الانشقاق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ۝١١﴾ [الانشقاق: ٦-١١]، فمعناها: فمن كان ينتظر ويطلب ويترقب لقاء الله سبحانه وتعالى الذي هو لقاء رضا ونعيم، فليعمل عملاً صالحاً

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢/ ٣٥-٣٦).

ولا يشرك بربه أحدا؛ لأن الذي يرجو ثواب الله ويخاف من عقابه يعمل ﴿عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، والعمل الصالح كما فسره أهل العلم هو الخالص من الرياء الموافق لشرع الله من واجب أو مستحب. وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾، يعني: لا يشرك في العبادة مع الله غيره كائناً من كان، لا ملكاً مقرباً ولا نبياً ولا ولياً ولا أحداً من الصالحين.

فالواجب على العبد أن يتحقق رجاءه فلا يعلقه إلا بالله تعالى، لا يعلقه بقوته ولا بعمله ولا يعلقه بمخلوق. ومن المأثور عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لا يرجو عبد إلا ربه، ولا يخاف إلا ذنبه[1].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قال: أرجو الله يا رسول الله، وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»[2].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام نفيس في هذا الموضوع أنقله ليستفيد منه القارئ، يقول رحمه الله: اعلم أن محركات القلوب إلى الله عز وجل ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء. وأقواها المحبة، وهي مقصودة تراد لذاتها؛ لأنها تراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة. قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق. فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها

---

(١) حلية الأولياء (١/ ٧٥-٧٦).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٨٣)، وابن ماجه (٤٢٦١).

يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده. فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن ينتبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه، وكل أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره.

فإن قيل: فالعبد في بعض الأحيان قد لا يكون عنده محبة تبعثه على طلب محبوبه. فأي شيء يحرك القلوب. قلنا: يحركها شيئان:

أحدهما: كثرة الذكر للمحبوب؛ لأن كثرة ذكره تعلق القلوب به.

الثاني: مطالعة آلائه ونعمائه... فإذا ذكر العبد ما أنعم الله به عليه من تسخير السماء والأرض وما فيها من الأشجار والحيوان وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان وغيره فلا بد أن يثير عنده باعثاً. وكذلك الخوف تحركه مطالعة آيات الوعيد والزجر والعرض والحساب ونحوه.

وكذلك الرجاء يحركه مطالعة الكرم والحلم والعفو[1]. [**عبد الله الفوزان**].

وَدَلِيلُ التَّوَكُلِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]. وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق: ٣].

التوكل من الأعمال القلبية والعبادات الجليلة، وهو لغة: التفويض، وشرعـًا: هو تفويض الأمر إلى الله تعالى اعتماداً عليه وثقة به وتسليمـاً لقضائه وقدره مع مباشرة ما

---

(١) الفتاوى (١/ ٩٥-٩٦).

شرعه الله وأباحه من الأسباب التي تنال بها المطالب وتدرأ بها الموانع. ومن توكل على الله كفاه، ومن توكل على المخلوقين أشرك وفاته كل مطلوبه أو بعضه. إذ لا يأتيه إلا ما كتب له، وقد أمر الله تعالى بالتوكل عليه وجعله شرط الإيمان، ووعد المتوكلين عليه بحسبه وكفايته، ونبه على حسن عاقبته عليهم في الدنيا وعظيم المثوبة لهم في الأخرى. **[عبد الله القصير]**.

وإخلاص التوكل على الله شرط في صحة الإيمان ينتفي عند انتفائه فإن تقديم المعمول وهو قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ﴾ على العامل وهو كلمة ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾ يفيد الحصر، أي: عليه وحده ﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ لا على غيره وهذه قاعدة العربية.

والحسب معناه: الكافي وهذه الآية دليل ثان ذكره المصنف رحمه الله على أن التوكل عبادة من أجل أنواع العبادة فمعنى الآية: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أي: يعتمد على الله في أموره فهو كافيه ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحدٍ فيه، ولم يذكر الله تعالى للتوكل جزاء غير تولي كفايته العبد فقال: ﴿فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ ولم يأتي في غيره من العبادات فدل على عظم شأن التوكل وفضيلته وأنه أجل أنواع العبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر. **[عبد الرحمن بن قاسم]**.

والتوكل على الله تعالى نوعان:

أحدهما: توكل عليه في تحصيل حظ العبد من الرزق والعافية وغيرهما.

وثانيهما: توكل عليه في تحصيل مرضاته.

فأما النوع الأول فغايته المطلوبة وإن لم تكن عبادة؛ لأنها محض حظ العبد، فالتوكل على الله في حصوله عبادة، فهو منشأ لمصلحة دينه ودنياه.

وأما النوع الثاني: فغايته عبادة، وهو في نفسه عبادة، فلا علة فيه بوجه فإنه استعانة بالله على ما يرضيه. فصاحبه متحقق بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥][1].

وأما التوكل على غير الله تعالى فأنواع:

النوع الأول: التوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من جلب المنافع ودفع المضار، وهذا شرك أكبر لأنه إذا كان التوكل على الله من تمام الإيمان، فالتوكل على غير الله فيما لا يقدر عليه غير الله من الشرك الأكبر، وهذا النوع هو المراد بقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ [الأنفال: ٢-٤].

النوع الثاني: أن يتوكل على حي حاضر من ملك أو وزير أو مسؤول فيما أقدره الله عليه من زرق أو دفع أذى، وهذا شرك أصغر، بسبب قوة تعلق القلب بهذا الإنسان واعتماده عليه. أما إذا اعتقد أن هذا الإنسان سبب، وأن الله تعالى هو الذي أقدره على هذا الشيء وأجراه على يديه فهذا لا بأس به إذا كان لهذا الإنسان أثر صحيح في حصول المراد. لكن كثيراً من الناس قد لا يمر على باله هذا المعنى، ويكاد يعتمد على هذا الإنسان في حصول مراده.

---

(١) طريق الهجرتين (ص: ٣٣٦).

النوع الثالث: الاعتماد على الغير في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه فهذا جائز دل عليه الكتاب والسنة والإجماع. لكن لا يعتمد عليه في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله سبحانه وتعالى في تيسير أمره الذي يطلبه إما بنفسه أو بنائبه ولهذا لا تقول: توكلت على فلان، إنما تقول: وكلت فلانـًا، وقد وكل النبي ﷺ عليـًا رضي الله عنه في ذبح بقية بدنه في حجة الوداع(١)، ووكل أبا هريرة رضي الله عنه على الصدقة(٢). **[عبد الله الفوزان]**.

والتوكل هو صدق التفويض والاعتماد على الله في جميع الأمور وإظهار العجز والاستسلام له وهو عبادة من العبادات بل هو من أجل أنواع العبادة وأعلى مقامات التوحيد، قال سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب رحمه الله: التوكل فريضة يجب إخلاصه لله تعالى، لأنه من أفضل العبادات وأعلى مقامات التوحيد بل لا يقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين كما في صفة السبعين ألفـًا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب، ولذلك أمر الله به في غير آية من القرآن أعظم مما أمر بالوضوء والغسل من الجنابة، بل جعله شرطـًا في الإيمان والإسلام، ومفهوم ذلك انتفاء الإيمان والإسلام عند انتفائه (٣). وقال ابن القيم رحمه الله: التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، ومنزلته أوسع المنازل وأجمعها(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (ص:٤١٧).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١١٣).

ومنزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، قال ابن القيم: منزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، لأنه يتوكل في حصولها، فالتوكل وسيلة والإنابة غاية [1]. وقد جعل الله التوكل سبباً لنيل محبته قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وهو دليل على صحة إسلام المتوكل: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]. وحقيقته تعلق القلب بالله والأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها. قال: ابن القيم رحمه الله: وسر التوكل وحقيقته: هو اعتماد القلب على الله وحده فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها كما لا ينفعه قوله توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء آخر [2]. والتوكل محله السبب، وكماله بالتوكل قال ابن القيم رحمه الله: التوكل محله الأسباب وكماله بالتوكل على الله وهذا كتوكل الحرَّاث الذي شق الأرض وألقى فيها البذر، فتوكل على الله في زرعه وإنباته، فهذا قد أعطى التوكل حقه [3].

ويجب فعل الأسباب مع التوكل ولكن مع عدم الركون إليها، قال ابن القيم رحمه الله: من أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها[4]. [**عبد المحسن القاسم**].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٣٤).

(٢) الفوائد (ص: ١٦٤).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٦٤).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٢٠).

وَدَلِيلُ الرَّغْبَةِ، وَالرَّهْبَةِ، وَالْخُشُوعِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

الرغبة: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب.

الرهبة: الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل.

الخشوع: الذل والتطامن لعظمة الله بحيث يستسلم لقضائه الكوني والشرعي.

وفي هذه الآية الكريمة وصف الله تعالى الخلص من عباده بأنهم يدعون الله تعالى رغباً ورهباً مع الخشوع له، والدعاء هنا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، فهم يدعون الله رغبة فيما عنده وطمعاً في ثوابه مع خوفهم من عقابه وآثار ذنوبهم، والمؤمن ينبغي أن يسعى إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء، ويغلب الرجاء في جانب الطاعة لينشط عليها ويؤمل قبولها، ويغلب الخوف إذا هم بالمعصية ليهرب منها وينجو من عقابها.

وقال بعض العلماء: يغلب جانب الرجاء في حال المرض وجانب الخوف في حال الصحة؛ لأن المريض منكسر ضعيف النفس وعسى أن يكون قد اقترب أجله فيموت وهو يحسن الظن بالله عز وجل، وفي حال الصحة يكون نشيطاً مؤملاً طول البقاء فيحمله ذلك على الأشر والبطر فيغلب جانب الخوف ليسلم من ذلك.

وقيل يكون رجاؤه وخوفه واحداً سواء لئلا يحمله الرجاء على الأمن من مكر الله، والخوف على اليأس من رحمة الله وكلاهما قبيح مهلك لصاحبه. [**محمد بن عثيمين**].

وهذه الآية فيها المسارعة في الخيرات، الدعاء، رغباً ورهباً، ووصفهم بأن حالهم أنهم كانوا خاشعين لله. ففيها أنواع من العبادات، خص الشيخ منها بالاستدلال الرغبة والرهبة والخشوع، ووجه الاستدلال من الآية أن الله جل وعلا أثنى على الأنبياء والمرسلين الذين ذكرهم في سورة الأنبياء التي هذه الآية في آواخرها بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًاۖ﴾، يعني ويدعوننا ذوي رغبة وذوي رهبةٍ وذوي خشوع، وهذا في مقام الثناء على الأنبياء والمرسلين وما دام أنه أثنى عليهم فإن هذه العبادات من العبادات المرضية له، فتدخل في حد العبادة. الرغبة رجاء خاص والرهبة خوف خاص، وجلٌ خاص، والخشوع هو التكامن والذل، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾، يعني ليس فيها حياة، متكامنة ذليلة ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْۚ﴾ [فصلت: ٣٩]، فالخشوع سكون فيه ذلٌ وخضوع.

هذا الخشوع هو نوعٌ من أنواع العبادة وتلك الرغبة وتلك الرهبة، هذه من العبادات القلبية التي يظهر أثرها على الجوارح، لو تأملت أو رأيت حال المشركين عند ألهتهم، حال عباد القبور مثلاً عند أوثانهم عند المشاهد، لوجدت أنهم في خشوعٍ ليسوا عليه في مساجدٍ لله ليس فيها قبر ولا قبة، وهذا مشاهد فإنه يكون عنده وجل خاص، رهبة ومزيد رجاءٍ هو الرغبة وخشوع وتكامن وعدم حركة وسكونٌ في الجوارح والأنفاس، وحتى في الألحاظ في الرؤية، وهذا كله مما لا يسوغ أن يكون إلا لله، لأن المسلم في صلاته إذ صلى فإنه يقوم به الرغبة، يقوم به الرهبة المستفادة من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٣-٤]، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تفتح له باب الرغبات وباب الرجاء، و ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يفتح عليه باب الرهبة وباب الخوف من الله جل وعلا. فتأتي عبادته حال كونه راغباً راهباً، والخشوع سكونه وخضوعه وعدم حراكه في صوته وفي عمله هذا

لله جل وعلا في عبادة الصلاة، والخشوع يكون بالصوت ويكون بالأعمال كما قال جل وعلا: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، فالهمس لا ينافي الخشوع في الصوت، وهذه حال المصلي حين يناجي ربه جل وعلا، فهو في حال رغبةٍ ورجاء وفي حال خوفٍ ورهبة وفي حال خشوعٍ لربه جل وعلا، يزيد هذا في القلب وربما غلب عليه حتى نال المقامات العالية في تلك العبادة، وربما قل وضعف حتى لم يكتب له من صلاته إلا عشرها أو إلا تسعها.

هذا لأنه من أنواع العبادات التي يحبها الله جل وعلا ويرضاها، فإذاً وجه الاستدلال أن الله جل وعلا أثنى على أولئك الأنبياء وعلى أولئك المرسلين بأنهم ذووا رغبٍ وذووا خشوعٍ لله جل وعلا، هذا بالدليل العام، وبالدليل الخاص في الخشوع وحده قال هنا: ﴿وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾، وكما قدمت أن الجار والمجرور هنا قدِّم على ما يتعلق به وهو اسم الفاعل خاشع، لأن الجار والمجرور كما أسلفت لك يتعلق بالفعل أو ما فيه معنى فهو اسم الفاعل أو اسم المفعول أو ما أشبهه من مصدر ونحو ذلك. وأصل سبك الكلام كانوا خاشعين لنا، فلما قدم ما حقه التأخير كان ذلك مفيداً للاختصاص وللحصر وللقصر كما هو معلوم في علم المعاني. [**صالح آل الشيخ**].

والرغبة هي: محبة الوصول إلى الشيء المحبوب. قال ابن القيم رحمه الله: والفرق بين الرغبة والرجاء: أن الرجاء طمع، والرغبة طلب، فهي ثمرة الرجاء، فإنه إذا رجا الشيء طلبه والرغبة من الرجاء كالهرب من الخوف[1].

(١) مدارج السالكين (٢/ ٥٥).

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يرغب إليه وحده جل وعلا فقال: ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٨].

والرهبة: هي الخوف والفزع المثمر للهرب من المخوف، فهي خوف مقرون بعمل قال ابن القيم رحمه الله: وأما الرهبة فهي الإمعان في الهرب من المكروه، وهي ضد الرغبة التي هي سفر القلب في طلب المرغوب فيه[1].

والرغبة والرهبة لا تقوم إلا على ساق الصبر، فرهبته تحمله على الصبر، ورغبته تقوده إلى الشكر، وعبادتا الرغبة والرهبة تنحسران عن العبد بقدر ذنوبه وتزيدان بزيادة إيمانه، والعبد يناله التوفيق بإذن الله بقدر تلك العبادة، قال ابن القيم رحمه الله: إذا أراد بعبده خيراً وفقه لاستفراغ وسعه وبذل جهده في الرغبة والرهبة إليه، فإنهما مادتا التوفيق، فبقدر قيام الرغبة والرهبة في القلب يحصل التوفيق[2].

والخشوع هو: الذل لعظمة الله ويكون في القلب والجوارح وهو قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: والخشوع: الخضوع لله تعالى والسكون والطمأنينة إليه بالقلب والجوارح[3].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٢).

(٢) شفاء العليل (ص: ٢٢٦).

(٣) الفتاوى (٢٨/ ٣١).

وقال ابن القيم رحمه الله: الخشوع محله القلب وثمرته على الجوارح وهي تظهره. وكلما خشع القلب لله كان أكمل له عبودية، ... وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لله وانقياداً وطاعة[1].

ومن فضل الله على عباده أنَّ من رغب وطمع فيما عند الله أُجر، ومن رهب من عذاب الله أمَّنه الله، ومن خشع قلبه وجوارحه لله عاش حميداً عزيزاً في الحياة ولم يخضع لأحد من الخلق. [**عبد المحسن القاسم**].

وفيه رد على الصوفية الذين يقولون: نحن لا نعبد الله رغبة في ثوابه ولا خوفًا من عقابه، وإنما نعبده محبة له فقط، هذا كلام باطل؛ لأن الأنبياء يدعون الله رغبًا ورهبًا وهم أكمل الخلق. [**صالح الفوزان**].

وَدَلِيلُ الْخَشْيَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ الآية [البقرة: ١٥٠].

الخشية هي: الخوف المبني على العلم بعظمة من يخشاه وكمال سلطانه لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي: العلماء بعظمته وكمال سلطانه فهي أخص من الخوف، ويتضح الفرق بينهما بالمثال فإذا خفت من شخص لا تدري هل هو قادر عليك أم لا فهذا خوف، وإذا خفت من شخص تعلم أنه قادر عليك فهذه خشية. [**محمد بن عثيمين**].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٢١).

قال الراغب: الخشية: خوف يشوبه تعظيم. وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه[1].

ووجه الدلالة من الآية على أن الخشية من أجل العبادات أن الله تعالى نهي المسلمين عن خشية الكفار وأمر بخشية وحده لا شريك له. ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠]. يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: الخوف والخشية والخشوع والإخبات والوجل معانيها متقاربة، فالخوف يمنع العبد عن محارم الله، وتشاركه الخشية في ذلك، وتزيد أن الخوف مقرون بمعرفة الله. وأما الخشوع والإخبات والوجل فإنها تنشأ عن الخوف والخشية لله، فيخضع العبد لله ويخبت إلى ربه منيباً إليه بقلبه ويحدث له الوجل. وأما الخشوع فهو حضور القلب وقت تلبسه بطاعة الله وسكون ظاهرة وباطنة فهذا خشوع خاص. وأما الخشوع الدائم الذي هو وصف خواص المؤمنين فينشأ من كمال معرفة العبد بربه ومراقبته فيستولي ذلك على القلب كما تستولي المحبة[2]. [**عبد الله الفوزان**].

وهذه الخشية تكون في جميع الأشياء وليست في شيء معين ويجب أن يكون المخشي هو الله جل وعلا ولا يخشى مخلوق من المخلوقات؛ لأن المخلوق ناصيته بيد الله جل وعلا يتصرف الله جل وعلا فيه كيف يشاء ولن يستطيع أن يستقل بشيء إلا بإذن الله، فلا يستطيع أن يضر أو ينفع إلا بإذن الله جل وعلا، فإذا أخلص الإنسان خشيته لربه جل وعلا فإنه يكفيه ما أهمه. [**عبد الله الغنيمان**].

---

(١) المفردات (ص:١٤٩).

(٢) فوائد قرآنية (ص:٩٦).

وَدَلِيلُ الإِنَابَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ الآية [الزمر: ٥٤].

الإنابة: الرجوع إلى الله بالقيام بطاعته واجتناب معصيته.

وهي قريبة من معنى التوبة إلا أنها أرق منها لما تشعر به من الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا تكون إلا لله تعالى.

والمراد بقوله تعالى: ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ الإسلام الشرعي وهو: الاستسلام لأحكام الله الشرعية. وذلك أن الإسلام لله تعالى نوعان:

الأول: إسلام كوني وهو الاستسلام لحكمه الكوني وهذا عام لكل من في السماوات والأرض من مؤمن وكافر، وبر وفاجر لا يمكن لأحد أن يستكبر عنه ودليله قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

الثاني: إسلام شرعي وهو الاستسلام لحكمه الشرعي وهذا خاص بمن قام بطاعته من الرسل ومن اتبعهم بإحسان، ودليله في القرآن كثير ومنه هذه الآية التي ذكرها المؤلف رحمه الله. [**محمد بن عثيمين**].

والفرق بين الإنابة والتوبة:

١ - التوبة تكون من المذنب، والإنابة من المطيع المستقيم.

٢ - الإنابة أخص من التوبة لما تشعر به من الاعتماد على الله وكمال اللجوء إليه.

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤] الآية، وقال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١] الآية، وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ عَبۡدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ: ٩]. **[عبد الله القصير]**.

والإنابة إذ كان معناها الرجوع فإن القلب إذا توجه لغير الله جل وعلا، قد يتعلق به تعلقـًا بحيث يكون ذلك القلب في تعقله تاركـًا غير ذلك الشيء، وراجعـًا ومنيبـًا إلى ذلك الشيء، كما يحصل عند الذين يتعلقون بغير الله، تتعلق قلوبهم بالأموات والأولياء أو الأنبياء والرسل بالجن ونحو ذلك، فتجد أن قلوبهم قد فرغت إما على وجه التمام أو على وجهٍ كبير، فرغت من التعلق إلا بذلك الشيء، وهذا الذي يسمي الإنابة. أناب، رجع ترك غيره ورجع إليه، وهذا الرجوع ليس رجوعـًا مجرداً ولكن رجوعٌ للقلب مع تعلق ورجائه فحقيقة الإنابة أنها لا تقوم وحدها، القلب إلى الله جل وعلا إذا أناب إليه فإنه يرجع وقد قام به أنواع من العبودية، منها الرجاء والخوف والمحبة ونحو ذلك، فالمنيب إلى الله جل وعلا هو الذي رجع إلى الله جل وعلا عما سواه، ولا يكون رجوعه هذا إلا بعد أن يقوم بقلبه أنواع من العبودية، أعظمها المحبة والخوف والرجاء، محبة الله الخوف من الله الرجاء في الله. فإذاً الإنابة صارت عبادة بهذا الدليل، وأيضـًا لأنها شيءٌ متعلق بالقلب، ولأنها لا تقوم بالقلب إلا مع أنواع أُخر من العبودية.

ولهذا استدل له بقوله تعالي: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، ووجه الاستدلال أن الله جل وعلا قال: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾، فأمر بالإنابة وإذ أمر بها فمعني ذلك يحبها ويرضاها ممن أتى بها، فهي إذاً داخلةٌ في تعريف العبادة عند الأصوليين وهذا دليل عام على كونها من العبادة، وهناك دليلٌ خاص في الإنابة أنه يجب إفراد الله جل وعلا

بالإنابة وذلك في قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، قالها شعيب عليه السلام. وأخبر الله جل وعلا بها عن شعيب في معرض الثناء عليه قال: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾، يعني عليه وحده لا غير توكلت، فوضت أمري وأخليت قلبي من الاعتماد على غيره، ومجيء الجار والمجرور متقدم على ما يتعلق به وهو الفعل، دل على وجوب حصرها وقصرها واختصاصها بالله جل وعلا، ثم قال: ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾، فقال: إليه وحده فلما قدم الجار والمجرور على ما يتعلق به وهو الفعل دل على أن هذه العبادة وهي الإنابة مختصةٌ بالله جل وعلا، وهذا أتى في معرض الثناء على شعيب، وهناك أدلة أخرى.

والحمد لله ما من مسألة من مسائل العبادة القلبية أو العملية –عمل الجوارح أو عمل القلب أو عمل اللسان– إلا وثَم دليل عام على أنها من العبادة، وثَم دليل خاص على أن من صرفها لغير الله جل وعلا فقد أشرك. وهذا والحمد لله بين ظاهر وهذا التوحيد في بيانه ووضوحه وظهور براهينه وأدلته وآياته مما هو بمكانٍ واضحٍ ظاهر لا يكون معه بعد ذلك حجة للمخالفين الذين تنكبوا هذا الطريق ولم يسلموا وجوههم لله جل وعلا ويخلصوا دينهم لله جل وعلا وحده. [**صالح آل الشيخ**].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الإنابة إنابتان:

١– إنابة لربوبيته: وهي إنابة المخلوقات كلها، يشترك فيها المؤمن والكافر والبر والفاجر، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، فهذا عام في حق كل داع أصابه ضر كما هو الواقع. وهذه الإنابة لا تستلزم الإسلام بل تجامع الشرك والكفر، كما قال تعالى في حق هؤلاء: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

٢- إنابة لإلهيته: وهي إنابة أوليائه، إنابة عبودية ومحبة، وتتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه، والإعراض عما سواه.

فالمنيب إلى الله: المسرع إلى مرضاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه؛ لأن لفظ: (الإنابة) فيه معنى الإسراع والرجوع والتقدم(١).

وفي الآية الكريمة ما يدل على أن الإنابة من العبادات، وأن الله جل وعلا أمر بها. ولهذا لم يذكر المصنف التوبة من أنواع العبادة، إنما اقتصر على ذكر الإنابة؛ لأن صورة العبادة بالنسبة للإنابة أوضح من صورتها بالنسبة إلى التوبة بسبب زيادة الإقبال على العبادة. [**عبد الله الفوزان**].

قال ابن القيم رحمه الله: الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله ﷺ(٢).

والإنابة إلى الله دأب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قال سبحانه عن داود عليه السلام: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]. وقال عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص: ٣٤]، وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وقال نبينا محمد ﷺ: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠]، وأثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام لاتصافه بالإنابة إليه

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٣٤).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٤٢).

والرجوع إليه في كل أمر قال سبحانه: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود: ٧٥]، والبشارة لأهل الإنابة قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧]، ولا يعتبر بالآيات ولا يتعظ بالعبر إلا المنيب إلى ربه قال عز وجل: ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [ق: ٨].قال ابن القيم رحمه الله: العبد إذا أناب إلى الله أبصر مواقع الآيات والعبر، فاستدل بها على ما هي آيات له [1]. والإنابة إلى الله مانعة من عذاب الله قال عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، والجنة أعدت نزلاً للقلب الخاشع المنيب قال جل وعلا: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾ [ق: ٣١-٣٣]، وأمر الله جميع الخلق بالإنابة إليه والرجوع إليه قال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الروم: ٣١]، ومنزلة التوكل قبل منزلة الإنابة، لأنه يتوكل في حصولها، فالتوكل وسيلة والإنابة غاية.

والإنابة من أسباب سعادة العبد في الدارين قال شيخ الإسلام رحمه الله: العبد إنما خُلق لعبادة ربه فصلاحه وكماله ولذته وفرحه وسروره في أن يعبد ربه وينيب إليه [2]. ولكون الإنابة منزلة عالية عند الله فإن الشيطان يسعى لصد العبد عنها، قال شيخ الإسلام

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٤٢).

(٢) الفتاوى (١٤/ ٣٢).

رحمه الله: الشيطان يكثر تعرضه للعبد إذا أراد الإنابة إلى ربه والتقرب إليه والاتصال به[١].

والإنابة عبادة يتفاوت العباد فيها، قال ابن القيم رحمه الله: والناس في إنابتهم على درجات متفاوتة، فمنهم المنيب إلى الله بالرجوع إليه من المخالفات والمعاصي، ومنهم المنيب إليه بالدخول في أنواع العبادات والقربات، ومنهم المنيب إلى الله بالتضرع والدعاء والافتقار إليه والرغبة وسؤال الحاجات كلها منه[٢]. [**عبد المحسن القاسم**].

وَدَلِيلُ الاسْتِعَانَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. وَفِي الْحَدِيثِ: «وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»[٣].

الاستعانة: طلب العون. وهي أنواع:

الأول: الاستعانة بالله وهي: الاستعانة المتضمنة لكمال الذل من العبد لربه، وتفويض الأمر إليه، واعتقاد كفايته وهذه لا تكون إلا لله تعالى، ودليلها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، ووجه الاختصاص أن الله تعالى قدم المعمول ﴿إِيَّاكَ﴾ وقاعدة اللغة التي نزل بها القرآن أن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص وعلى هذا يكون صرف هذا النوع لغير الله تعالى شركـًا مخرجـًا عن الملة.

---

(١) الفتاوى (٧/ ٢٨١).

(٢) طريق الهجرتين (ص:٢٩٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٧٦٣).

الثاني: الاستعانة بالمخلوق على أمر يقدر عليه فهذه على حسب المستعان عليه فإن كانت على بِر فهي جائزة للمستعين مشروعة للمعين لقوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. وإن كانت على إثم فهي حرام على المستعين والمعين لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]، وإن كانت على مباح فهي جائزة للمستعين والمعين لكن المعين قد يثاب على ذلك ثواب الإحسان إلى الغير ومن ثم تكون في حقه مشروعة لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

الثالث: الاستعانة بمخلوق حي حاضر غير قادر فهذه لغو لا طائل تحتها مثل أن يستعين بشخص ضعيف على حمل شيء ثقيل.

الرابع: الاستعانة بالأموات مطلقاً أو بالأحياء على أمر غائب لا يقدرون على مباشرته فهذا شرك لأنه لا يقع إلا من شخص يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفيا في الكون.

الخامس: الاستعانة بالأعمال والأحوال المحبوبة إلى الله تعالى وهذه مشروعة بأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. [**محمد بن عثيمين**].

والاستعانة بالمخلوقين فيما يقدرون عليه هذا من ضروريات الاجتماع والحياة؛ ليعيش الناس بعضهم مع بعض، وفي الحديث: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(١)، فينبغي أن يكون في عون أخيه، فالاستعانة بالمحسوس القوي في القوة والرأي؛ ليس من العبادة في شيء. [**محمد بن إبراهيم**].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

قال شيخ الإسلام: تأملت أنفع الدعاء فإذا هو سؤال الله العون على مرضاته، ثم رأيته في الفاتحة في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[1].

والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين وسر الخلق والكتب والشرائع والثواب والعقاب يرجع إلى هاتين الكلمتين وعليهم مدار العبودية والتوحيد والأول: تبرؤ من الشرك. والثاني: تبرؤ من الحول والقوة وهذا المعنى في غير آية من كتاب الله وتقديم المعمول على العامل يفيد الحصر، أي: نستعين بك وحدك دون كل من سواك فهذا النوع أجل أنواع العبادة فصرفه لغير الله شرك أكبر، وكذا قوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ أي: لا نعبد أحدًا سواك، فالعبادة لله وحده والاستعانة به وحده جل وعلا وتقدس. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

وقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يقول العلماء: هذه الآية جمعت معاني كتاب الله كله؛ لأن المقصود بإنزال الكتاب هو الأمر بعبادة الله جل وعلا والعبادة تكون بالاستعانة والاستعانة تكون في الأمور العامة والخاصة كلها، يجب أن يكون ذلك بالله، فإن كان بغير الله ضاع الإنسان وضل ووكل إلى ذلك الذي استعان به، ومن وكل إلى مخلوق فقد وكل إلى عورة وضيعة وإن ظهر أنه في وقت من الأوقات يتحصل على مطلوبه فهو لا يدوم أبداً. [**عبد الله الغنيمان**].

قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وإياك كما هو معلوم ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم، أصل الكلام نعبد إياك، ومن المعلوم أن المفعول به يتأخر عن فعله، فإذا قُدم كان ثم فائدة في علم المعاني من علوم البلاغة ألا وهي أنه يفيد الاختصاص، فطائفة من

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ١٢٢).

البلاغيين يقولون: يفيد الحصر والقصر. وعلى العموم الخطب يسير، يفيد الاختصاص، أو يفيد الحصر والقصر، هنا أفاد أن العبادة من خصوصيات الله جل وعلا، خاصةٌ بالله جل وعلا، يعني لا نعبد إلا أنت. ثم قال بعدها -وهو مراد الشيخ بالاستدلال- ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وهذه الآية من سورة الفاتحة، السورة العظيمة التي هي أم القرآن، التي يرددها المسلمون في صلواتهم، فيها إفراد الله جل وعلا بالعبادة، وعقد العهد والإقرار على النفس بأن القائل لتلك الكلمات لا يعبد إلا الله جل وعلا وكذلك لا يستعين إلا بالله جل وعلا. وها هنا قال العلماء، شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم: إن عبادة غير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله. مع أن جنس الاستعانة قد يكون من الربوبية، يعني طلب الإعانة هو طلبٌ لمقتضيات الربوبية، لأن الله جل وعلا هو مدبر الأمر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، هذا فيه معنى الألوهية، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، طلب الإعانة من الله، استعانة المسلم بالله هذا فيها طلبٌ لمقتضى الربوبية. ومن حيث كون الاستعانة طلباً أصبحت عبادة. ولهذا قال: إن عبادة غير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله. وهذا لأجل أن العبادة، إذا صرفت لغير الله جل وعلا فإنها يكون معها تحول في القلب الذي هو المضغة، إذا صلحت صلح العمل كله صلح الجسد كله، إذا توجه بقلبه لغير الله في عبادته هذا صار قلبه فاسداً، ومقتضيات الربوبية أحياناً تطرأ. ولهذا الإشراك في الإلهية في بعض أوجهه أعظم من إنكار بعض أفراد الربوبية، ألم تر أن ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي قال في وصيته: «إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ»[1]. وغفر الله جل وعلا له، لأنه شك في بعض

(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٦).

أفراد القدرة والتي هي راجعةٌ إلى شيء من معنى الربوبية، كذلك قال جل وعلا عن حواري عيسى: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [المائدة: ١١٢]، وأُجيبوا ولم يؤاخذ وبكلمتهم تلك، لأنها شك في بعض أفراد القدرة، وهذا راجعٌ إلى شكٍ في بعض مقتضيات الربوبية.

أما العبادة لغير الله جل وعلا فهي التي لا يقبل من أحدٍ أن يصرف شيئاً منها لغير الله، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وعيسى عليه السلام قال لقومه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال جل وعلا لعيسى في آخر سورة المائدة: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧]،... إلى آخر الآيات. ولهذا قدمت في سورة الفاتحة العبادة على الاستعانة، لأنها أعظم شأناً وأجل خطراً، لأنها هي التي وقع فيها الابتلاء. فلهذا كان حرياً بأهل الإيمان أن يعتنوا بأمر إخلاص القلب لله جل وعلا وتوجه المرء في عبادته وعبودياته لله وحده دونما سواه.

ثم قال الشيخ رحمه الله تعالى: وفي الحديث «إِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ»، وجه الاستدلال: أن الأمر بالاستعانة بالله رُتب على إرادة الاستعانة. يعني: إذا كنت متوجهاً للاستعانة فلا تستعن بأحدٍ إلا بالله، لأن الأمر جاء في جواب الشرط، قال ﷺ: «إِذَا اسْتَعَنْتَ» (إذ) هذه شرطية غير جازمة، واستعنت على فعل الشرط، فإذا حصل منك

حاجة للاستعانة «فَاسْتَعِنْ -هذا أمر- بِاللهِ»، لمَّا أمر به علمنا أنه من العبادة، ثم لمَّا جاء في جواب الشرط صار مترتباً مع ما قبله بما يفيد الحصر والقصر. [**صالح آل الشيخ**].

يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: وتقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص. واهتماماً بقديم حقه الله تعالى على حق عبده... وذكر الاستعانة بعد العبادة مع دخولها فيه لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله، لم يحصل له ما يريد من فعل الأوامر واجتناب النواهي[١]. [**عبد الله الفوزان**].

والاستعانة تكون على أمور المستقبل قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإن الاستعانة والتوكل إنما يتعلق بالمستقبل، فأما ما وقع فإنما فيه الصبر والتسليم والرضا[٢]. والاستعانة عبادة عظيمة ومما يعين عليها قول: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: وقول لا حول ولا قوة إلا بالله يوجب الإعانة ولهذا سنَّها النبي ﷺ إذا قال المؤذن حي على الصلاة فيقول المجيب: لا حول ولا قوة إلا بالله[٣]. وقال أيضاً: إن هذه الكلمة: - لا حول ولا قوة إلا بالله - كلمة استعانة لا كلمة استرجاع، وكثير من الناس يقولها عند المصائب بمنزلة الاسترجاع ويقولها جزعاً لا صبراً[٤]. [**عبد المحسن القاسم**].

---

(١) تفسير ابن سعدي (١/ ٢٨-٢٩).

(٢) الفتاوى (١٣/ ٣٢١).

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٨)، ومسلم (٣٨٥).

(٤) الفتاوى (١٠/ ٦٨٦).

وَدَلِيلُ الاسْتِعَاذَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]. و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١].

الاستعاذة: طلب الإعاذة، والإعاذة الحماية من مكروه فالمستعيذ محتم بمن أستعاذ به ومعتصم به.

والاستعاذة أنواع:

الأول: الاستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الافتقار إليه والاعتصام به واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شيء حاضر أو مستقبل، صغير أو كبير، بشر أو غير بشر ودليلها قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ إلى آخر السورة. وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ٣ مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ٤﴾ إلى آخر السورة.

الثاني: الاستعاذة بصفة الله ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك قوله ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»[١]، وقوله ﷺ: «أَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[٢] وقوله ﷺ: في دعاء الألم «أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ»[٣]،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٤)، والنسائي (٥٥٣٠)، وابن ماجه (٣٨٧١)، وأحمد (٤٧٨٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٢).

وقوله: «أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ»[١]، وقوله ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»[٢].

الثالث: الاستعاذة بالأموات أو الأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ فهذا شرك ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

الرابع: الاستعاذة بما يمكن العوذ به من المخلوقين من البشر أو الأماكن أو غيرها فهذا جائز ودليله قوله ﷺ في ذكر الفتن: «مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفْهُ، فمَن وَجَدَ مَلْجَأً أَوْ مَعَاذًا، فَلْيَعُذْ بِهِ»[٣]، وقد بين ﷺ هذا الملجأ والمعاذ بقوله: «فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ».[٤] وعن أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ»[٥] الحديث.

ولكن إن استعاذ من شر ظالم وجب إيواؤه وإعاذته بقدر الإمكان، وإن استعاذ ليتوصل إلى فعل محظور أو الهرب من واجب حرم إيواؤه. [**محمد بن عثيمين**].

وقال كثير من أهل العلم: إن الاستعاذة عبادة قلبية. وطلب العوذ نعم يكون باللسان لقول أحد لآخر: أعوذ بك، أعذني. ونحو ذلك، ولكنها هي تقوم بالقلب يعني يقوم

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٨٢)، ومسلم (٢٨٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٨٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٨٨٢).

بالقلب الاعتصام بهذا المطلوب منه العوذ، يقوم بالقلب الالتجاء لهذا المطلوب منه العوذ، يقوم بالقلب التحرز بهذا المطلوب منه العوذ، فإذا قام بالقلب هذه الأشياء وهذه الأمور صار مستعيذاً، ولو لم يفصح لسانه بطلب العوذ، يعني أنها عبادة قلبية، لأن حقيقتها طلب العوذ، فإذا قام بالقلب اعتصامه بالله، وتحرزه بالله، والتجاؤه إلى الله من شر من فيه شر، صار ذلك استعاذة، قد يفصح باللسان عنها، اللهم أعذني من مضلات الفتن، ونحو ذلك، أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، يعني ألتجئ واعتصم واتحرز بكلمات الله الكونية التامة التي لا يلحقها نقصٌ من شر كل من فيه شر مما خلق الله جل وعلا ونحو ذلك. لأجل هذا المعنى قال جمعٌ من أهل العلم: إنه لا يجوز أن يقول قائل: أعوذ بالله ثم بك. وذلك لأن العوذ عبادة قلبية، وهذا هو الصحيح، فإن العوذ إذا قيل: أعوذ بالله ثم بك. الاستعاذة عمل قلبي بحت، لهذا لا يصلح أن يتعلق بغير الله جل وعلا. وقال آخرون من أهل العلم: الاستعاذة طلبٌ للجئ والاحتراز والاعتصام. فقد يكون المطلوب منه يملك أن يعطي هذا معتصماً وأن يقيه شراً، مثلاً يأتي واحد من الناس إلى قويٍ من الناس إلى كبيرٍ ملكٍ أو أميرٍ أو رئيس قبيلةٍ، أو نحو ذلك فيقول له: أعوذ بك من شر، أو أعوذ بك، أو أعوذ بالله ثم بك من شر هذا الذي أتاني. رجل مثلاً يأتي يطلبه في شيء، يمكن أن يكون ممن يقدر عليه من البشر. فإذا كان بهذا المعنى يجوز أن يقول: أعوذ بك بمخلوق، أعوذ بالله ثم بك، لمخلوقٍ ولكن قول: أعوذ بك. هذا أبعد في الإجازة، وأما قول أعوذ بالله ثم بك، فهذا من راعى المعنى الظاهر وإن كان المخلوق أن يعيذ صححه وقال لا بأس أن يقول: أعوذ بالله ثم بك. ولكن الأظهر أن العوذ عبادة قلبية، وأنها إنما تكون بالله جل وعلا. وهذا على نحو ما مرنا في قوله: توكلت على الله ثم عليك. ونحو ذلك. فمن أهل العلم من يجيز مثل هذه الألفاظ مع أن أصلها عمل قلبي، مراعياً

الظاهر، ومنهم من لم يجزها مراعياً أنها عبادة قلبية، وإنك إذا أجزتها في الظاهر فإنه قد يكون تبعاً لذلك إجازة تعلق القلب عند من لا يفهم المراء، وعلى العموم هما قولان مشهوران حتى عند مشايخنا المفتين في هذا الوقت وما قبله. يقابل الاستعاذة التي هي طلب العوذ من شيءٍ فيه شر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾ [الناس: ١-٤]، الاستعاذة مما فيه شر. وأما اللياذ واللوذ فإنه مما فيه خير، قال: ألوذ بك. يعني إذا كنت مؤملاً خيراً. [**صالح آل الشيخ**].

وَدَلِيلُ الاسْتِغَاثَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٩].

الاستغاثة: طلب الغوث، وهو الإنقاذ من الشدة، أي: طلب النجدة حال الشدة.

وهي أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل: وهي أخص أنواع العبادة وأفضلها وأكملها، وهو دأب النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين، كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وذكر الله

تعالى عن يونس عليه السلام قوله: «لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، ومنه قول رسول الله ﷺ يوم بدر: «اللَّهُمَّ انْجِزْ لِي مَا وَعَدْتنِي ...»[1] الخ.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء: فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، وهذا شرك أكبر مخرج من الملة لأن المستغيث بهؤلاء إنما يستغيث بهم لما يعتقده فيهم من التصرف الخفي في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

الثالث: الاستغاثة بالأحياء: الحاضرين العالمين القادرين فيما يقدرون عليه وهذا جائز وقد يجب، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ [القصص: ١٥]. **[عبد الله القصير]**.

والاستغاثة عبادة، ووجه كونها عبادة أن الله جل وعلا قال هنا: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ﴾، وجه الاستدلال أنه أتى بها في معرض الثناء عليهم، وأنه رتب عليها الإجابة وما دام أن الله جل وعلا رتب على استغاثتهم به إجابته جل وعلا دل على أنه يحبها، وقد رضيها منهم فنتج أنها من العبادة، وإذ هنا بمعنى: حين، ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ﴾ يعني: حين تستغيثون ربكم فاستجاب لكم. وحقيقتها من مقتضيات الربوبية، لأن من الذي يغيث؟ هو المالك، هو المدبر هو الذي يصرف الأمر وهو رب كل شيء جل وعلا. الاستغاثة عمل ظاهر، ولهذا يجوز أن يستغيث المرء بمخلوقٍ، لكن بشروطه،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وهي أن يكون هذا المطلوب منه الغوث، أن يكون حيًا، حاضراً قادراً، يسمع. فإذا لم يكن حيًا، صارت الاستغاثة بهذا الميت كفر ولو كان يسمع ولو كان قادر، مثل الملائكة أو الجن، فإذ كان ميتاً فإن الاستغاثة به شرك، الأموات جميعًا لا يقدرون على الاغاثة، لكن قد يقوم بقلوب المشركين بهم أنهم يسمعون وأنهم أحياء، مثل حال الشهداء، وأنهم يقدرون مثل ما يزعم في حال النبي ﷺ ونحو ذلك، فنقول: إذ كان ميتاً فإنه لا يجوز الطلب منه.

قالوا: فما يحصل يوم القيامة من استغاثة الناس بآدم ثم استغاثتهم بنوح... إلى آخر وانهم استغاثوا بنبينا محمد ﷺ نقول: هذا ليس استغاث بأموات، يوم القيامة هؤلاء أحياء، يبعث الناس ويحيون من جديد، كانوا في حياةٍ ثم ماتوا ثم أعيدوا إلى حياةٍ أخرى، فهي استعانة بمن؟ بحيٍ حاضرٍ قادرٍ يسمع. لهذا ليس فيما احتجوا به من حال أولئك الأنبياء يوم القامة حجة على جواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا، والمقصود أن العلماء اشترطوا لجواز الاستغاثة بغير الله جل وعلا أن يكون المستغاث به حيًا حاضراً قادراً يسمع. [**صالح آل الشيخ**].

والفرق بين الاستغاثة والاستعاذة: الاستعاذة تطلب منه أن يعصمك وأن يمنعك وأن يحصنك، والاستغاثة تطلب منه أن يزيل ما فيك من شدة، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء. [**عبد الله الفوزان**].

والاستغاثة تتضمن: كمال الافتقار إلى الله واعتقاد كفايته، وهي من أفضل الأعمال وأكملها والمرء في هذه الحياة عرضة للكروب والكوارث، فمن استغاث بربه في كشف ملماته فقد أدى عبادة عظيمة فزع إليها الأنبياء والصالحون عند الشدائد ففرج الله كروبهم.

وصرفها لغير الله كأن يستغاث بالأصنام أو الأموات أو الغائبين أو نحوهم شرك به تعالى، قال ابن القيم رحمه الله: ومن أنواعه- أي: الشرك - طلب الحوائج من الموتى والاستغاثة بهم والتوجه إليهم وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عمن استغاث به وسأله قضاء حاجته أو سأله أن يشفع له إلى الله [1]. وهذه الاستغاثة لا نفع منها سوى الحسرة والندامة وصاحبها يجري خلف سراب لن يتحقق له مُبتغاه، ففي الدنيا خاسر وفي الآخرة هالك قال شيخ الإسلام رحمه الله: يقول أبو يزيد رحمه الله: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق [2].

[عبد المحسن القاسم].

وَدَلِيلُ الذَّبْحِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٦١ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦١-١٦٣].
وَمِنَ السُّنَّةِ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ» [3].

الذبح: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص.

ويقع على وجوه:

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٤٦).

(٢) الفتاوى (١٤/ ٢٩).

(٣) أخرجه أحمد (٢٨١٦)، وابن حبان (٤٤١٧)، والطبراني (١١٥٤٦).

الأول: أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه فهذا لا يكون إلا لله تعالى على الوجه الذي شرعه الله تعالى، وصرفه لغير الله شرك أكبر ودليله ما ذكره الشيخ رحمه الله وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾، ومن أمثلة ذبح العبادة: الهدي والأضحية والعقيقة وهو أفضل الذبح.

الثاني: أن يقع إكراماً لضيف أو وليمة لعرس أو نحو ذلك فهذا مأمور به إما وجوباً أو استحبابا لقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ»(١). وقوله ﷺ لعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: «أَوْ لِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»(٢).

الثالث: أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الإتجار به ونحو ذلك فهذا من قسم المباح فالأصل فيه الإباحة لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۝٧١ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝٧٢﴾ [يس: ٧١-٧٢]، وقد يكون مطلوباً أو منهياً عنه حسبما يكون وسيلة له. [**محمد بن عثيمين**].

والذبح تعظيماً لغير الله نوعان:

أ- أن يتقرب به لغير الله من جبت أو جنٍ أو نحوهما لتحقيق مطلوب أو دفع مرهوب وهذا شرك أكبر ودليله قوله ﷺ: «لعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ» الحديث.

ب- ما يذبح عند طلعة الزعيم ونحو ذلك، فهذه من عقائر الجاهلية ونوع من الشرك الأصغر. [**عبد الله القصير**].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨٢)، ومسلم (١٤٢٧).

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ قد جمع تعالى بين هاتين العبادتين اللتين هما أفضل العبادات وأفضل القربات لله تعالى في هذه الآية كما جمع بينهما في الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢] أي: أخلص لربك الصلاة وانحر البدن ونحوها على اسمه وحده. فالصلاة أفضل العبادات البدنية والذبح أفضل العبادات المالية وإنما كان الذبح أفضلها لأنه يجتمع فيه أمران: الأول: أنه طاعة لله. والثاني: أنه بذل ماله وطابت به نفسه. والبذل مشترك في جنس المال لكن زاد الذبح على غيره من حيث أن الحيوانات محبوبة لأربابها يوجد لذبحها ألم في النفوس من شدة محبتها فإذا بذله لله وسمحت نفسه بإيذاق الحيوان الموت صار أفضل من مطلق العبادات المالية وكذلك ما يجمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن بالله أمر عجيب فصرفه لغير الله شرك أكبر.

وقوله ﷺ: «لعَنَ اللهُ» اللعن: الطرد والإبعاد، والملعون: من حقت عليه اللعنة أو دعي بها عليه. ودل الحديث على أن الذبح عبادة لأن الله لعن من صرفه لغيره والعبادة كلها مختصة بالله فإذا صرفها أحد لغير الله بأن ذبح للأصنام أو للقبور المعبودة من دون الله التماساً لشفاعة أربابها أو نحو ذلك فهو مشرك كافر. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمعت هذه الآية بين توحيدي الله جل وعلا في إلهيته وهو الأول، وفي ربوبيته وهو الثاني، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾ لله، هذا توحيد الله جل وعلا في إلهيته، ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ لله، هذا توحيد الله جل وعلا في ربوبيته، فكما أنه جل وعلا هو مالك محياي ومماتي، فكذلك هو المستحق لصلاتي ونسكي، فذكر الربوبية ثم ذكر الألوهية. ثم بين أن هذا من علامات الإسلام العظيمة فقال ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾، وهذا وجه استدلال آخر، إذ إن هذه مأمور بها قال: ﴿وَأَنَا۠

أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾. الذبح كما انه عمل ظاهر وهو إراقة الدم، والدم الذي بثه في أعضاء المذبوح، هو الله جل وعلا وهو علاقة الحياة فلا يزهق إلا لمن خلقه ولمن بثه في أعضاء من به الحياة. ولهذا قال العلماء: إن العبد حال الذبح يجتمع في قلبه أنواع من العبوديات، منها الذل لربه جل وعلا ومنها التعظيم له جل وعلا، ومنها الرجاء، رجاء ما عنده حال ذبحه، ومنها طلب البركة، لأنه ما ذبح إلا لله.

وهذه كلها عبادات قلبية، فكما أن الذبح على الظاهر فيه تحريك لليد وتحريك للسان ببعض القول، كذلك يقوم بالقلب حال الذبح أنواع من العبوديات، قد ما يقوم بالقلب شيء البتة مثل ما يذبح لضيافةٍ أو ما يذبح لنحو ذلك، فهذا يجب أن يكون ظاهراً لله جل وعلا وحده، وإذا اجتمع أن يكون في الذبيحة أن تكون اجتمعت فيها العبادة الظاهرة والعبادة الباطنة – العبادة القلبية – كانت أكمل لرجاء ثواب الذبح، ولهذا الذبح من العبادات العظيمة، لكن قد يغفل الناس عن تعلق القلب وفعل الجوارح حين الذبح وكيف تكون لله تعالى. ولهذا على طالب العلم أن يتعلم هذا إن لم يحسن، يتعلم كيف يكون حال الذبح، حال ذبحه لذبيحته، لأضحية وهي آكد أو لغيرها أن يكون موحداً تمامـًا، يرجو في ذبحه أن يكون على غايةٍ من العبودية في لسانه وقلبه وجوارحه، لأن فيه حركة لسان في التسمية والتكبير، وفيه قلب وفي عمل القلب بأنواع من العبوديات ذكرت بعضها، وفيه أيضـًا حركة اليد، وهذا كله مما يجب أن يكون لله جل وعلا وحده. **[صالح آل الشيخ]**.

وقوله: «لعَنَ اللهُ» هذا يحتمل أنه خبر، ويحتمل أنه إنشاء، فإن كان خبراً فمعناه: أن الرسول ﷺ يخبرنا أن الله جل وعلا لعن من ذبح لغير الله. وإن كان إنشاء فمعناه: الدعاء،

أي: الرسول ﷺ يدعو على من ذبح لغير الله أن يطرده من رحمته. والخبر أبلغ لأنه يفيد وقوع اللعن بخلاف الدعاء فقد يستجاب وقد لا يستجاب. [**عبد الله الفوزان**].

ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]

النذر في اللغة: الإيجاب. ومنه قولهم: نذرت دم فلان إذا أوجبته.

وشرعـًا: إيجاب المكلف على نفسه ما ليس واجبـًا عليه شرعـًا تعظيمـًا للمنذور له. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

وقد أمر الله تعالى بالوفاء بالنذر في قوله: ﴿وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ﴾ [الحج: ٢٩]، وأثنى على الموفين به بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾ الآية، فدل على أنه عبادة يحبها الله تعالى ويجب أن يخلص له ولا يشرك معه فيها أحد غيره.

والنذر الذي هذا شأنه نوعان:

الأول: ما يلزم بالشروع فيه، ومنه هدي التمتع والقران فإنهما يجبان بالشروع فيهما، وكذلك الأضحية فإنها تجب بتملكها وتعيينها، وكذلك العقيقة وهي نذر مستحب.

الثاني: ما يلزم بالالتزام به كأن يقول لله عليه كذا وهذا هو النذر عند الإطلاق، وهو لا يشرع ابتداؤه وإنما يستخرج به من البخيل ولكن يجب الالتزام به إذا كان طاعة وفيما

يملك ابن آدم، لقوله ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ»(١)، ولقوله ﷺ: «لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ»(٢).

فتبين مما سبق أن النذر عام فيدخل في كل عبادة لا خصوص النذر الذي يوجبه الإنسان على نفسه، وهو أنواع:

الأول: النذر الذي شرعه الله وأمر به: كالهدي، قال تعالى: ﴿وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ﴾، وكالضحايا، قال تعالى: ﴿أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية، وكذا العقيقة، لأنها تذبح على وجه التقرب إلى الله تعالى.

الثاني: نذر الطاعة: وهو الذي جنسه قد شرعه الله تعالى من صلاة أو صيام أو صدقة فإذا ألزم الإنسان نفسه بشيء منه لم يوجبه الله عليه فيجب عليه الوفاء به لأنه طاعة لله تعالى وهو وإن كان مرخصاً فيه إلا أن ابتداءه غير محبوب، لقوله ﷺ: «إِنَّه لَا يَأْتِ بِخَير، وَإِنَّمَا يُستخرج بِهِ من الْبَخِيل»(٣)، ولما فيه من إلزام النفس بشيء هي في عافية منه، ولأن مبناه على مقصوده فكأن الناذر لما استبعد حصول مقصوده شارط الله تعالى على النذر فكأن فيه سوء الظن بالله عز وجل.

الثالث: نذر المعصية: كما لو نذر أن يشرب خمراً أو أن يقطع رحمًا، فحكمه: أنه لا يجوز الوفاء به، لقوله ﷺ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»(٤)، وفي وجوب كفارة

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٣١٣)، والطبراني (١٣٤١)، والبيهقي (٢٠٦٣٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٦٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

اليمين عليه خلاف بين أهل العلم على قولين، والراجح أنه لا كفارة فيه لأنه على غير مراد الله ورسوله ﷺ.

الرابع: النذر المباح: إذا نذر أمراً مباحـاً، لكنه يشق عليه، كما لو نذر أن يمشي إلى مكة، أو لا يستظل أو أن يحمل والده على كتفه مسافة كذا فهو لا يوفي به، ولكن يكفر عنه كفارة يمين، لأن الله لم يرد منه تعذيب نفسه.

الخامس: نذر اللجاج والغضب: وهو ما يلزم الإنسان به نفسه بسبب اللجاج والغضب، وهذا فيه كفارة يمين ولا يلزم الوفاء به. [**عبد الله القصير**].

النذر: هو إيجاب المراء على نفسه شيئـاً لم يجب عليه، وتارةً يكون النذر مطلقـاً، وتارةً يكون بالمقابلة، مقيد. والنذر المطلق غير مكروه، والنذر المقيد مكروه، ولهذا استشكل جمع من أهل العلم كون النذر عبادة، مع أن النذر مكروه، والنبي ﷺ يقول: «إِنَّه لَا يَأْتِ بِخَير، وَإِنَّمَا يُستخرج بِهِ من الْبَخِيل»، فيقولون: إذا كان مكروهـاً كيف يكون عبادةً؟ ومعلوم أن العبادة يحبها الله جل وعلا، والنذر يكون مكروهـاً كما دل عليه هذا الحديث، فكيف إذا كان مكروهـاً يكون عبادة؟ وهذا الاستشكال منهم غير وارد أصلاً، لأن النذر ينقسم إلى قسمين، نذر مطلق، ونذر مقيد. النذر المطلق لا يكون عن مقابلة وهذا غير مكروه أن يوجب على نفسه عبادة لله جل وعلا بدون مقابلة، فيقول: (لله علي نذر)، مثلاً يقول قائل: لله علي نذرٌ أن أصلي الليلة عشر ركعات طويلات، بدون مقابلة فهذا إيجاب المرء على نفسه عبادة لم تجب عليه، دون أن يقابلها شيء، هذا النوع مطلق وهذا محمود، النوع الثاني المكروه، هو ما كان عن مقابلة، وهو أن يقول قائلاً مثلاً: إن شفى الله جل وعلا مريضي صمت يومـاً. إن نجحت في الاختبار صليت ركعتين. إن تزوجت هذه المرأة تصدقت بمائة ريال. هذا مشروط يوجب عبادة على نفسه مشروطة

بشيءٍ يحصل له قدراً، من الذي يحصل الشيء ويجعله كائنـاً؟ هو الله جل وعلا، فكأنه قال: إن أعطيتني هذه الزوجة، وإن يسرت لي الزواج بها صليت لك ركعتين، أو تصدقت بكذا. إن أنجحتني في الاختبار صمت يومـاً، ونحو ذلك. وهذا كما قال النبي ﷺ «إِنَّمَا يُستخرج بِهِ من الْبَخِيل»، لأن المؤمن المقبل على ربه ما يعبد الله جل وعلا بالمقايضة، يعبد الله جل وعلا ويتقرب إليه لأن الله يستحق ذلك منه، فهذا النوع مكروه.

النوع الأول محمود، وهذا النوع مكروه، والوفاء بالنذر في كلا الأمرين واجب كما قال النبي ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»[1]، فتحصل عندنا أن النذر فيه أربعة أشياء: نذر محمود، لاحظ أننا ما قلنا مشروع فيفهم أحد أنه واجب أو مستحب لا نقول محمود، غير مكروه في الشرع محمود وهو المطلق الذي ما فيه مقايضة ولا مقابلة. النوع الثاني مكروه وهو الذي يكون عن مقابلة، الوفاء بالأول بنذر التَبرر والطاعة واجب، الوفاء بالثاني حتى ولو كان مكروهـاً واجب، وهو الذي أثنى الله جل وعلا على أهله في الحالين بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، لأنه أوجب على نفسه فلما كان واجبـاً صار الوفاء به واجبـاً، فامتثل للوجوب الذي أوجبه على نفسه، لأنه يخشى عقابه صار الوفاء به واجبـاً، فلهذا صار النذر عبادةٌ من العبادات التي يرضاها الله جل وعلا ويحبها إلا في حالٍ واحدة وهي حال نذر المقابلة، اتضح لكم هذا المقام؟ لأن بهذا التحرير تخلصون من إشكالات عدة ربما أوردها عليكم الخرافيون في مسألة النذر، تأملوها، لأنه قد لا تجد هذا التحرير في كثيرٍ من الكتب.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٩٦).

قال: ودليل النذر قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾، وجه الاستدلال أن الله جل وعلا امتدحهم بذلك لأنهم يوفون بالنذر، وإذا امتدحهم بذلك دل على أن هذا العمل منهم وهو الوفاء بالنذر، أنه محبوب له جل وعلا فثبت أنه عبادة لله جل وعلا والنذر له شقان، الشق الأول النذر. والثاني الوفاء به.

وكلا الأمرين إذا صرفت لغير الله جل وعلا فهي شرك، من نذر لغير الله كأن ينذر لأصحاب المشاهد أو الأولياء أو القبور، هذا إيجاب على نفسه عبادة لمن؟ لغير الله فصار شركًا أكبراً. القسم الثاني أن يقول: إن شفى الله -لاحظ- مريضي فللولي الفلاني علي نذر بكذا أو كذا. فهذا على المقابلة ولو كان على هذا النحو فصرفه لغير الله جل وعلا شرك، لأن القول الأول منه وهو قوله: إن شفى الله مريضي. هذا ربوبية وقوله: فلله علي نذر للولي الفلاني. هذا شرك في العبودية، فهو أقر بالربوبية ولكنه أشرك في العبودية، هذا من جهة النذر. الوفاء لأصحاب القبور أو نحوهم أو للجن أو للملائكة هذا كله شرك، فلو حصل منه النذر لغير الله فلا يجوز أن يوفي به، فإن أوفى به، وفى به لغير الله فيكون ذلك شركًا بعد شركٍ، لهذا قال ﷺ: «وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ»، يدخل في ذلك إذا كان النذر لغير الله جل وعلا. [**صالح آل الشيخ**].

الأَصْلُ الثَّانِي

مَعْرِفَةُ دِينِ الإِسْلامِ بِالأَدِلَّةِ

وَهُوَ: الاسْتِسْلامُ للهِ بِالتَّوْحِيدِ، وَالانْقِيَادُ لَهُ بِالطَّاعَةِ، وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ، وَهُوَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ: الإِسْلامُ، وَالإِيمَانُ، وَالإِحْسَانُ. وَكُلُّ مَرْتَبَةٍ لَهَا أَرْكَانٌ.

لما فرغ المصنف رحمه الله من الكلام على الأصل الأول وهو معرفة العبد ربه وحققه تحقيقاً بديعاً، وساق عليه الأدلة الكافية انتقل إلى الأصل الثاني: وهو معرفة دين الإسلام.

والدين في اللغة: يطلق على معان عدة منها:

١- الطاعة والانقياد. يقال: دان ديناً وديانة، أي: خضع، وذل وأطاع.

٢- ما يتدين به الإنسان، يقال: دان بكذا، أي: اتخذه ديناً وتعبد به.

والمعنى الثاني يدخل في مفهومه المعنى الأول؛ لأن من دان بدين خضع لتعاليمه وانقاد لها[1].

والدين الإسلامي: هو الدين الذي بعث الله به محمداً ﷺ، جعله خاتمة الأديان، وأكمله لعباده، وأتم به عليهم النعمة.

---

(١) انظر: مادة (دين) من معاجم اللغة. وانظر: نبذة في العقيدة الإسلامية (ص:٥).

وقد أشار المصنف رحمه الله بقوله: (معرفة دين الإسلام بالأدلة) إلى أن معرفة الدين لابد أن تكون مقرونة بالدليل، إما من كتاب وإما من سنة.

فيجب على الإنسان أن يكون عالمـًا بالدليل على ما يقوم به من عبادة الله تعالى، ليكون على بصيرة من أمر دينه؛ لأن ذلك من أسباب الثبات عند السؤال في القبر بتوفيق الله تعالى.

ودين الإسلام، الذي بعث الله به نبيه ﷺ يقوم على ثلاثة أسس:

الأساس الأول: الاستسلام لله بالتوحيد.

الأساس الثاني: الانقياد لله تعالى بالطاعة.

الأساس الثالث: البراءة من الشرك ومن أهل الشرك.

فهذه الأمور الثلاثة هي التي ينتظمها دين الإسلام.

أما الأول: فهو (الاستسلام لله) بمعنى: الخضوع والذل له سبحانه؛ لأن من معاني مادة (أسلم) في اللغة: الطاعة والإذعان. وقد ورد هذا في قول الله تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، والمسلم سمي بذلك لخضوع جوارحه لطاعة ربه[١]. وقوله: (بالتوحيد) هذا شامل لتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والمعنى: أن يستسلم ويخضع لله عز وجل وأن يفرده بربوبيته وألوهيته.

الثاني: (الانقياد له بالطاعة) الطاعة تشتمل المأمور والمحظور. الطاعة في المأمور بالفعل، والطاعة في المحظور بالترك.

---

(١) انظر لسان العرب، مادة: (سلم).

الثالث: (والبراءة من الشرك)، أي: البراءة من الشرك وأهله، فلا يتم دين الإنسان إلا إذا تبرأ من المشركين وتبرأ من الشرك فلا يشاركهم في اعتقاد، ولا يشاركهم في مسكن، ولا يتشبه بهم أو يأخذ شيئاً من عادتهم أو من تقاليدهم.

وهو ثلاث مراتب: (الإسلام والإيمان والإحسان). المراتب: جمع مرتبة، والمرتبة والرتبة: هي المنزلة، والمكانة، ورتب الشيء ترتيباً: أثبته وجعلته في مرتبته، أي: منزلته[1].

والأركان جمع ركن، وهو جانب الشيء الأقوى الذي لا يقوم ولا يتم إلا به. [**عبدالله الفوزان**].

وتعريف دين الإسلام الذي تدين الله به (هو الاستسلام لله) بالذل والخضوع له تعالى بإفراده بالربوبية والخلق والتدبير وإفراده تعالى (بالتوحيد) بجميع أنواع العبادة.

وحقيقة دين الإسلام: هو أن يسلم العبد أفعاله لله لا لغيره، قال شيخ الإسلام رحمه الله: حقيقة الإسلام أن يستسلم لله لا لغيره، وهو معنى لا إله إلا الله[2].

والمسلم سمِّي مسلماً لخضوع جوارحه لطاعة ربه، قال شيخ الإسلام رحمه الله: الإسلام هو: الاستسلام، وهو يتضمن الخضوع لله وحده، والانقياد له، والعبودية لله وحده[3].

---

(١) انظر الوافي - معجم وسيط للغة العربية -: (ص:٢٢٢).

(٢) الفتاوى (٤/ ٢٤٥).

(٣) الفتاوى (٧/ ٢٤٧).

فالمستسلم لله ولغيره مشرك، والممتنع عن الاستسلام له مستكبر، ومن استكبر عن الحق ابتلاه الله باتباع الباطل، قال شيخ الإسلام رحمه الله: المستكبر عن الحق يبتلى بالانقياد للباطل، فيكون المستكبر مشركـًا كما ذكر الله[1].

والإسلام له رأس وهو الشهادتان، وله ضدان: الكِبر والشرك. قال شيخ الإسلام رحمه الله: الإسلام الذي هو دين الله الذي أنزل به كتبه وأرسل به رسله عليهم الصلاة والسلام وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين فيستسلم لله وحده لا شريك له، ويكون سالمـًا له بحيث يكون متألهـًا له غير متأله لما سواه، كما بينه أفضل الكلام ورأس الإسلام وهو (شهادة أن لا إله إلا الله)، وله ضدان الكبر والشرك، فإن المستكبر عن عبادة الله لا يعبده فلا يكون مستسلمـًا له، والذي يعبده ويعبد غيره يكون مشركـًا به، فلا يكون سالمـًا له، بل يكون له فيه شرك، ولفظ الإسلام يتضمن الاستسلام والسلامة التي هي الإخلاص[2].

ومع ذل العبد وخضوعه لله يجب عليه (الانقياد) والإذعان (له) جل وعلا (بالطاعة) بفعل المأمورات وترك المنهيات امتثالاً لأمر الله ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤]، وقوله ﷺ: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[3].

---

(١) الفتاوى (٧/ ٦٢٩).

(٢) الفتاوى (٧/ ٦٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

وأعلى المراتب كمال الانقياد، ومن لم ينقد لهذا الدين أذله الله، قال ابن القيم رحمه الله: من تواضع لله رفعه، فكذلك من تكبر على الانقياد للحق أذله الله ووضعه وصغره وحقره[1]. والكبر من أعظم أسباب منع الانقياد لهذا الدين، قال ابن القيم رحمه الله وهو يعدد موانع الانقياد: (قيام مانع) وهو إما حسد أو كبر، وذلك مانع إبليس من الانقياد للأمر، وهو داء الأولين والآخرين إلا من عصم الله، وبه تخلف الإيمان عن اليهود الذين شاهدوا رسول الله ﷺ وعرفوا صحة نبوته ومن جرى مجراهم[2].

ومن أركان التوحيد التي يجب على المسلم اعتقادها (البراءة) أي أن يتبرأ المسلم (من) أعمال وأقوال (الشرك) ويعتقد بطلانها (و) يتبرأ من (أهله) في الاعتقاد والعمل والمسكن بل من كل خصلة من خصالهم، ومن كل نسبة من النسب إليهم، معادياً لهم غير متشبه بهم في قول أو فعل.

فدين الإسلام يقوم على ثلاث أسس لا بد من اجتماعها:

الاستسلام لله بالتوحيد.

الانقياد له بالطاعة.

البراءة من الشرك وأهله.

والبراءة من الشرك وأهله أحد ركني التوحيد الذي ينبني عليه إذ التوحيد قائم على ركنين لا بد من اجتماعهما معاً ليكون العبد موحداً وهما النفي والإثبات ومن فقد أحدهما فقد التوحيد، فتنفي العبودية عن غير الله، وتثبت العبودية لله وحده قال سبحانه

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٣).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٩٩).

مخبراً عن إبراهيم عليه السلام آمراً بالتأسي به: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦]، فهذا هو الركن الأول وهو البراءة من الشرك وأهله وقوله تعالى بعدها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ هذا هو الإثبات وهو الركن الثاني، وكقوله تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، هذا هو البراء أي: النفي ﴿وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ هذا هو الإثبات.

فكلمة التوحيد معناها: لا معبود بحق إلا الله، فمن كان يصلي ويصوم ويحج ويتصدق ولكن يقر الشرك ويصحح معتقد المشركين فليس بمسلم، لأنه لم يتبرأ من الشرك وأهله، فيجب الجمع بين البراءة من المشركين، وبين الإيمان بالله بإفراد العبودية له وحده، فالذي يصلي وهو واقع في الشرك لا تنفعه صلاته لأنه لم يتطهر من الشرك.

ويجب على العبد مع معرفته لهذا الدين محبته للدين قال شيخ الإسلام رحمه الله: القلوب مفطورة على الإقرار بالله تصديقاً به، وديناً له، لكن يعرض لها ما يفسدها، ومعرفة الحق تقتضي محبته، ومعرفة الباطل تقتضي بغضه لما في الفطرة من حب الحق وبغض الباطل لكن قد يعرض لها ما يفسدها إما من الشبهات التي تصدها عن التصديق بالحق وإما من الشهوات التي تصدها عن اتباعه[1].

ويجب على كل مسلم أن يعتز بدينه، فدينه هو الحق وما سواه من الأديان فهو باطل، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعلن ذلك للناس في قوله: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]. فمن هداه لهذا الدين

(١) الفتاوى (٧/ ٥٢٨).

فليفرح بنعمة الله عليه بالهداية وليستمسك به، فقوة العبد وعزته بالدين وليدعو الناس إليه فهو طريق الخَلق إلى النعيم قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]. [**عبد المحسن القاسم**].

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وهذا هو الإسلام العام الذي دَعى إليه كل رسولٍ وكل نبيٍ من آدم -عليه السلام- إلى محمدٍ ﷺ الجميع يدعوا إلى الإسلام، وهذا الإسلام يسميه العلماء الإسلام العام الذي يشترك فيه جميع الرسل. أما الإسلام الخاص فهو القسم الثاني وهو المراد ها هنا، فمعرفة دين الإسلام لا يريد به دين الإسلام العام، وإنما بعد بعثه محمدٍ ﷺ، صار المقصود بالإسلام الذي طلب من الناس أن يدينوا به وأن يعتقدوه هو الإسلام الذي جاء به النبي ﷺ، وهو دين الإسلام الذي بعث به نبينا محمد ﷺ، الذي يشمل عقيدة الإسلام وشريعة الإسلام.

وثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ، قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(١)، لا يسمع بي، يعني ببعثتي برسالتي وبما أرسلت به، ثم لا يؤمن بي أحد من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، المراد هنا أمة الدعوة، «وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»، فمن كان على دين الإسلام العام وقد بُعث النبي ﷺ فإنه لا يقبل منه، لا يقبل بعد بعثة النبي ﷺ من أحد إلا أن يتبع دين الإسلام الخاص، يعني الذي بعث به النبي ﷺ، وهو المراد ها هنا، وهو الذي يحصل به الابتلاء في القبر والفتنة في القبر.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣).

قال: (هو الاستسلام لله بالتوحيد). الاستسلام أن يكون فاعل الاستسلام كهيئة المستسلم، والمستسلم لغيره تابعٌ له، لا يفعل إلا ما يريد، خلص قلبه إلا من رغبة من استسلم له، ولو قال: وهو الإسلام لله بالتوحيد. لصح أيضـًا، فالاستسلام هنا بمعنى الإسلام ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، كلها بمعنى الاستسلام والإسلام، الإسلام لله والاستسلام لله بمعنىً واحد. قيدها في هذا الموضع بقوله: بالتوحيد. والتوحيد اسم يشمل توحيد الله جل وعلا في ربوبيته وفي إلاهيته وفي أسمائه وصفاته، والمقصود الأخص من هذه الثلاثة توحيد العبادة، لأن الخصومة وقعت فيه، ومعلوم أن توحيد العبادة متضمنٌ لتوحيد الربوبية، ولتوحيد الأسماء والصفات.

ثم قال: (الانقياد له بالطاعة). يعني أن يكون منقاداً غير ممانعٍ ولا متولٍ عن طاعة الله جل وعلا، وإنما ينقاد ويذعن كما قال جل وعلا: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ﴾ [النور: ٥٤].

وقال: (البراءة من الشرك وأهله). فسرت البراءة بعدة تفسيرات أصلٌ وفروعه، أصل البراءة البغض في القلب، يعني بغض الشرك وأهله، ويتبع ذلك -يتبع بغضهم- معاداتهم وتكفير من كفره الله جل وعلا ورسوله، تكفير المشركين ومقاتلتهم عند مشروعية ذلك. فتلخص أن على العامة وهم من ليسوا علماء عليهم من البراءة أصلها وهو البغض، وأما فروعها فإنما هي بحسب درجات العلم.

والبغض لابد أن يوجد، فإن لم يبغض الشرك فإنه ليس بمسلم، إذا كان يحب الإسلام وأهله ويحب التوحيد وأهله ولكن لا يبغض الشرك وأهله فإنه ليس بمسلم، لكن قد يبغض الشرك وأهل الشرك باعتبار الأصل، لكنه يحب بعض المشركين، لغرضٍ

من أغراض الدنيا، فهذا ليس بمشرك وإنما ناقصٌ إسلامه، المقصود من هذا أن مسالة البراءة هذه من الشرك وأهله أصل البراءة البغض يتبعها أشياء المعادة، التكفير، المقاتلة وكلها تبع للعلم، ويتنوع ذلك بحسب الناس، وأسهل ما يكون في الموحدين، عند عامتهم معاداة المشركين، ولو لم يكن عندهم من الحجة أو من بيان تكفيرهم ومن إقامة الدلائل على مشروعية مقاتلة أهل الشرك، فإنه قائم في قلبه بغضهم ومعاداتهم. وهذا به يحصل الإسلام. فإذاً تعريف الإسلام شمل ثلاثة أشياء، أولاً الاستسلام لله بالتوحيد، ثانياً الانقياد لله بالطاعة، الثالث البراءة من الشرك وأهله. تلاحظ أنه بهذا شمل هذا التعريف معنى الشهادتين.

هذا الدين دين الإسلام الذي جاء به نبينا محمد ﷺ ثلاث مراتب، قال الشيخ رحمه الله: (هو ثلاث مراتب الإسلام، والإيمان، والإحسان) فالمحسن والمؤمن والمسلم الجميع من أهل دين الإسلام لكن لكلٍ مرتبته الخاصة به، ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ﴾.

فالإسلام هو إقامة الأعمال الظاهرة، الشهادتين مع الأركان الأربعة المعروفة، إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت مع بعض الإيمان الذي يصحح هذا العمل الظاهر.

والإيمان هو الإيمان بأركانه الستة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. مع بعض الإسلام الظاهر، بعض العمل الظاهر الذي به يصح هذا الإيمان الباطن.

والإحسان وهو مقام المراقبة لله جل وعلا. [**صالح آل الشيخ**].

والإسلام الشرعي له إطلاقان:

أحدهما: عام؛ وهو: الاستسلام الله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة والخلوص من الشرك وأهله.

وحقيقته هي: الاستسلام لله بالتوحيد؛ فالجملتان الأتيتان بعده من (الانقياد له بالطاعة، والبراءة والخلوص من الشرك وأهله)؛ هما من جملة الاستسلام لله، فإن العبد إذا أستسلم لله أنقاد له بالطاعة، وبرئ من الشرك وأهله، لكن صرح بها اعتناء بها. وله معنيان خاصان: الأول: الدين الذي بعث به محمد ﷺ، ومنه حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ...»[1]، فالمراد به: الدين الذي جاء به محمد ﷺ. وحقيقته شرعا: استسلام الباطن والظاهر لله؛ تعبدا لـه بالشـرع المنزل على محمد ﷺ، على مقام المشاهدة أو المراقبة.

والثاني: الأعمال الظاهرة، فإنها تسمى (إسلاما)، وهذا هو المقصود إذا قُرن الإسلام بالإيمان والإحسان.

والإسلام الذي بعث به محمد ﷺ له ثلاث مراتب كما ذكر المصنف:

الأولى: مرتبة الأعمال الظاهرة، وتسمى: الإسلام.

والثانية: مرتبة الاعتقادات الباطنة، وتسمى: الإيمان.

وثالثها: مرتبة اتقانها، وتسمى: الإحسان.

ومن أهم مهمات الديانة: معرفة الواجب عليك في هذه المراتب؛ في إيمانك، وإسلامك، وإحسانك، والواجب منها يرجع إلى ثلاثة أصول:

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

فالأصل الأول: الاعتقاد، والواجب فيه: كونه موافقا للحق في نفسه، وجِماعه: أركان الإيمان الستة التي ستأتي. والحق من الاعتقاد: ما جاء في الشرع.

والأصل الثاني: الفعل، والواجب فيه: موافقة حركات العبد الاختيارية باطنا وظاهرا للشرع أمرا وحلا. والحركات الاختيارية: ما صدر عن إرادة وقصد من العبد ظاهرا أو باطنا. والأمر: الفرض والنفل. والحل: الحلال المأذون فيه. فينبغي أن تكون أفعال العبد الظاهرة والباطنة دائرة بين الأمر والحل؛ فإما أن تكون من جنس المأمور به من فرض أو نفل، أو من جنس الحل المأذون فيه شرعا. وفعل العبد نوعان:

أحدهما: فعله مع ربه. وجِماعه: شرائع الإسلام اللازمة له؛ كالصلاة والزكاة والصيام والحج، وتوابعها من الشروط والأركان والواجبات والمبطلات.

والآخر: فعله مع الخلق. وجِماعه: أحكام المعاشرة والمعاملة معهم كافة.

والأصل الثالث: الترك، والواجب فيه موافقة ترك العبد واجتنابه مرضاة الله. وجِماعه: علم المحرمات الخمس التي اتفقت عليها الأنبياء؛ وهي: الفواحش، والإثم، والبغي، والشرك، والقول على الله بغير علم، وما يرجع إلى هذه ويتصل بها فهذه الأصول الثلاثة من الاعتقاد والفعل والترك تُبين ما يجب عليك من الإسلام، والإيمان، والإحسان. وتفصيل ما يجب من هذه الأصول الثلاثة؛ الاعتقاد، والفعل، والترك لا يمكن ضبطه؛ لاختلاف الناس في أسباب العلم الواجب. ذكره ابن القيم في «مفتاح دار السعادة». وأحسن ما قيل في بيان العلم الواجب هو: أن كل ما وجب عليك من العمل وجب عليك تعلمه قبل أدائه؛ ذكره الآجري في «طلب العلم»، وابن القيم في «مفتاح دار السّعادة»، والقرافي في «الفروق». وهذه المسألة التي ذكرناها مسألة جليلة، ومع جلالتها

لم يحققها كما ينبغي فيمن علمت سوى ابن القيم في «مفتاح دار السعادة»، وهي تفتح أبوابا مشرعة للبيب الفطن في فهم ما يراد من الخلق في إسلامهم وإيمانهم وإحسانهم، فتبين له مواقع الخطاب الشرعي خبراً وطلباً. [**صالح العصيمي**].

وأهل دين الإسلام لا يخلو حالهم من إحدى هذه المراتب، وقد ينتقل المسلم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها أو أدنى منها على قدر طاعته لله أو بُعدهِ عنه. وأول تلك المراتب الإسلام، وأوسطها الإيمان، وأعلاها الإحسان، ومن وصل إلى العليا فقد وصل إلى ما قبلها، فالمحسن مؤمن، والمؤمن مسلم، وأما المسلم فلا يلزم أن يكون مؤمناً قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله: فأكثر ما يغلط الناس في هذه المسألة (١). فالمرتبة الأولى: هي مرتبة الإسلام وهي أوسعها وأرحبها وهي أقل مراتب الدين، وهي المرتبة الأولى التي يدخل فيها الكافر أول ما يتكلم بالإسلام ويذعن له وينقاد قال سبحانه: ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، ولا يُخرج العبد عن مرتبة الإسلام إلا الكفر بالله والشرك المخرج من الملة. والمرتبة الثانية: هي مرتبة الإيمان وهي التي تلي مرتبة الإسلام في العلو وهي أضيق من مرتبة الإسلام. وكل خصلة من خصال الإيمان داخلة في الإسلام قال ابن أبي شيبة رحمه الله: لا يكون إسلام إلا بإيمان ولا إيمان إلا بإسلام(٢). فما كان من الأعمال الباطنة فوصف الإيمان عليه أغلب من وصف الإسلام، وما كان من الأعمال الدينية الظاهرة كالشهادتين والصلاة وأنواع العبادات التي تظهر ويطلع عليها

---

(١) شرح النووي على مسلم (١/ ١٤٤).

(٢) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٢٨)، وفتاوى شيخ الإسلام (٧/ ٣٢٩).

الناس فوصف الإسلام عليها أغلب من وصف الإيمان. فدائرة الإسلام أوسع من دائرة الإيمان كما أن دائرة الإيمان أوسع من دائرة الإحسان. والمرتبة الثالثة: هي مرتبة الإحسان وهي أعلى من مرتبة الإيمان وهي أضيق المراتب وأهلها قليلون وهي مرتبة عالية عزيزة لا يرتقي إليها إلا عباد الله المحسنون.

وهذا التفصيل الذي أخبر به النبي ﷺ جاء به القرآن فجعل الأمة على هذه الأوصاف الثلاث، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فالمسلم الذي لم يقم بواجب الإيمان هو ظالم لنفسه، والمقتصد هو المؤمن المطلق الذي أدى الواجب وترك المحرم، والسابق بالخيرات هو المحسن الذي عبد الله كأنه يراه. والناس يتفاضلون في التوحيد تفاضلاً عظيماً ويكونون فيه على درجات بعضها أعلى من بعض، فمنهم من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، ومنهم من يدخل النار وهم العصاة ويمكثون فيها على قدر ذنوبهم ثم يخرجون منها لأجل ما في قلوبهم من التوحيد والإيمان. [**عبد المحسن القاسم**].

قوله: (وكل مرتبة لها أركان): الأركان جمع ركن، وهو ما يقوم عليه الشيء.

فأركان الشيء جوانبه التي يقوم عليها ولا يقوم بدونها، وتكون بداخل الشيء، خلاف الشروط فهي تكون خارج الشيء، مثل شروط الصلاة فهي خارج الصلاة قبلها، وأما أركان الصلاة فإنها بداخلها، مثل تكبيرة الإحرام وقراءة الفاتحة، فإذا اختل شيء منها فإن الصلاة لا تصح، كما لو فقد شيء من أركان البنيان فإنه لا يقوم ولا يعتمد. [**صالح الفوزان**].

فَأَرْكَانُ الإِسْلامِ خَمْسَةٌ: شَهَادَةُ أَن لا إله إلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ، وَحَجُّ بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ.

(فأركان الإسلام خمسة) أركان لا يستقيم إلا بها ولا يثبت بدونها وهي ما ذكره النبي ﷺ في قوله: «بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحِجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ شَهْرِ رَمَضَانَ»[1]. قال ابن رجب رحمه الله: والمراد من هذا الحديث، أن الإسلام مبنى على هذه الخمس فهي كالأركان والدعائم لبنيانه، والمقصود تمثيل الإسلام ببنيان ودعائم البنيان هذه الخمس فلا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام كتتمة البنيان، فإذا فقد منها شيء نقص البنيان، وهو قائم لا ينقص بنقص ذلك، بخلاف نقص هذه الدعائم فإن الإسلام يزول بفقدها جميعاً بغير إشكال، وكذلك يزول بفقد الشهادتين[2]. [**عبد المحسن القاسم**].

---

(١) أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٣).

فَدَلِيلُ الشَّهَادَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وَمَعْنَاهَا: لا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إلا اللهُ، و(لا إله) نَافِيًا جَمِيعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، (إلا اللهُ) مُثْبِتًا الْعِبَادَةَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ فِي عِبَادَتِهِ، كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ فِي مُلْكِهِ.

وَتَفْسِيرُهَا: الَّذِي يُوَضِّحُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۝٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٢٨﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، وَدِلِيلُ شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

هذا شروع من المصنف في بيان أدلة أركان الإسلام الخمسة والشهادة: خبر قاطع وأطلق لفظ الشهادة على شهادة أن لا إله إلا الله لأنها أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به فلا ينصرف الإطلاق إلا إليها. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

قوله تعالى: ﴿شَهِدَ﴾، أي: حكم وقضى وأعلم وبين وألزم، فالشهادة من الله تدور على هذه المعاني الخمسة: الحكم والقضاء والإعلان والبيان والإلزام.

فمعنى شهد، أي: قضى سبحانه وأعلم وأخبر وألزم عباده بذلك.

﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا إله: لا نافية تنفي جميع ما عبد من دون الله.

إلا هو: مثبت العبادة لله وحده، ومعنى: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا الله سبحانه وتعالى، أما من عبد غير الله فإن عبادته باطلة لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

شهد لنفسه سبحانه وتعالى بالوحدانية وهو أصدق القائلين، وشهادته سبحانه وتعالى أصدق الشهادات؛ لأنها صادرة عن حكيم خبير عليم، يعلم كل شيء فهي شهادة صادقة.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: شهدوا أنه لا إله إلا هو، وهم عالم خلقهم الله لعبادته، ملائكة كرام عباد مكرمون خلقهم الله لعبادته، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأيضًا خلقهم الله لتنفيذ أوامره في الكون، وكل إليهم تنفيذ ما يأمر به سبحانه وتعالى من أمور الكون، فكل ملك منهم موكل بعمل، وشهادتهم شهادة صدق؛ لأنهم أهل علم وعبادة ومعرفة بالله عز وجل، وهم من أفضل الخلق على الخلاف، هل صالح البشر أفضل من الملائكة أو الملائكة أفضل من صالح البشر.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾: صنفان؛ الملائكة، والصنف الثاني أولو العلم من البشر، وأولو العلم لا يشهدون إلا بما هو حق، بخلاف الجهال لا اعتبار بشهادتهم، وكل عالم من خلق الله يشهد لله بالوحدانية وأنه لا إله إلا هو، وهذا فيه تشريف لأهل العلم حيث إن الله قرن شهادتهم مع شهادته سبحانه وتعالى وشهادة ملائكته، اعتبر شهادة أهل العلم من الخلق ودل على فضلهم وشرفهم ومكانتهم، على أعظم مشهود به وهو التوحيد.

والمراد بأولي العلم، أهل العلم الشرعي لا كما يقوله بعض الناس: إن أهل العلم المراد بهم أهل الصناعة والزراعة فهؤلاء لا يقال لهم أهل العلم على وجه الإطلاق؛ لأن علمهم محدود مقيد، بل يقال: هذا عالم بالحساب، عالم بالهندسة، عالم بالطب، ولا يقال لهم: أهل العلم مطلقًا؛ لأن هذا لا يطلق إلا على أهل العلم الشرعي، وأيضًا أكثر هؤلاء أهل علم دنيوي، وفيهم ملاحدة يزيدهم علمهم -غالبًا- جهلًا بالله عز وجل، وغرورًا وإلحادًا كما تشاهدون الآن في الأمم الكافرة، متقدمون في الصناعات وفي الزراعة لكنهم كفار، فكيف يقال: إنهم أهل العلم الذين ذكرهم الله في قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ هذا غير معقول أبدا.

وكذلك قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] المراد علماء الشرع الذين يعرفون الله حق معرفته ويعبدونه حق عبادته ويخشونه، أما هؤلاء فأغلبهم لا يخشون الله عز وجل بل يكفرون بالله ويجحدونه، ويدعون أن العالم ليس له رب، وإنما الطبيعة هي التي توجده وتتصرف فيه.

فالملائكة وأولو العلم شهدوا لله بالوحدانية، إذًا لا عبرة بقول غيرهم من الملاحدة والمشركين والصابئين الذين يكفرون بالله عز وجل، هؤلاء لا عبرة بهم ولا بقولهم؛ لأنه مخالف لشهادة الله وشهادة ملائكته وشهادة أولي العلم من خلقه.

وقوله ﴿قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ﴾: منصوب على الحال من شهد، أي: حالة كونه قائمًا سبحانه وتعالى، والقسط: العدل، أي أن الله سبحانه وتعالى قائم بالعدل في كل شيء والعدل ضد الجور، وهو سبحانه وتعالى حكم عدل لا يصدر عنه إلا العدل في كل شيء.

﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: تأكيد للجملة الأولى.

﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾: اسمان لله عز وجل يتضمنان صفتين من صفاته وهما العزة والحكمة.

وقوله: (ومعناها لا معبود بحق إلا الله)، أي: معنى لا إله إلا الله ليس كما يقول أهل الباطل: لا خالق ولا رازق إلا الله؛ لأن هذا توحيد الربوبية يقر به المشركون، وهم لا يقولون: لا إله إلا الله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦] آلهتنا، أي: معبوداتنا ﴿لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ٣٦﴾ يعنون الرسول ﷺ وصفوه بالشعر والجنون؛ لأنه قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، ونهاهم عن عبادة الأصنام.

ولما قال لهم: قولوا لا إله إلا الله، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص:٥] يحسبون الآلهة متعددة.

فدل على أن معناها لا معبود بحق إلا الله، ولو كان معناها لا خالق ولا رازق إلا الله، فإن هذا يقرون به ولا يمارون فيه، فلو كان هذا معناها، ما امتنعوا من قول لا إله إلا الله؛ لأنهم يقولون إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض يقولون: الله، إذا سئلوا من الذي يخلق؟ من الذي يرزق؟ من الذي يحيي ويميت؟ ويدبر الأرض؟ يقولون: الله. هم يعترفون بهذا فلو كان هذا معنى لا إله إلا الله لأقروا بهذا، لكن معناها لا معبود بحق إلا الله.

لو قلت: لا معبود إلا الله، هذا غلط كبير؛ لأن المعبودات كلها تكون هي الله -تعالى الله عن هذا- لكن إذا قيدتها وقلت: بحق، انتفت المعبودات كلها إلا الله سبحانه وتعالى، لا بد أن تقول لا معبود حق، أو لا معبود بحق إلا الله. ثم بين ذلك على لفظ الكلمة.

لا إله: النفي، نفي للعبودية عما سوى الله.

إلا الله: هذا إثبات للعبودية لله وحده لا شريك له.

فلا إله إلا الله تشتمل على نفي وإثبات، ولا بد في التوحيد من النفي والإثبات لا يكفي الإثبات وحده، ولا يكفي النفي وحده، بل لا بد من النفي والإثبات كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ [النساء: ٣٦].

فلو قلت: الله إله، هذا لا يكفي، اللات إله، والعزى إله، ومناة إله، كل الأصنام تسمى آلهة. فلا بد أن تقول: لا إله إلا الله، فلا بد من الجمع بين النفي والإثبات حتى يتحقق التوحيد وينتفي الشرك.

وخير ما يفسر القرآن القرآنُ، فلا إله إلا الله فسرها الله في القرآن، وذلك في قول الخليل ﷺ فيما ذكر الله عنه: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ هذا النفي لا إله، ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾: يعني إلا الله، هذا الإثبات. فهذه الآية تفسير معنى لا إله إلا الله تمامًا. [**صالح الفوزان**].

ولا إله إلا الله، أربع كلمات، (لا) ثم (إله) ثم (إلا) ثم (الله)، معنى (لا) هذه حرف لنفي الجنس وهي من أخوات (إنَّ)، أو تعمل عمل (إنَّ) كما قال ابن مالك: (عمل إنَّ اجعل للا في نكره). ويكون اسمها نكرة، وإله بمعنى مألوه يعني معبود، لأن الإلهة بمعنى العبادة، والألوهة بمعنى العبودية، وأصلها من أله يأله إلهةً وألوهةً، إذا عبد مع الحب والخوف والرجاء، إذا عبد عابدٌ ما يعبده خائفـًا راجيـًا محبـًا، فإنه يكون قد أله، قال الراجز في رَجزه المشهور:

لله در الغانيات المدَّهِ   سبحن واسترجعن من تألهِ

يعني من عبادة، (تأله) هو: العبادة، فإذاً لا إله – كما قال هنا – معناها لا بمعبود، فسر الإله بمعنى المعبود، لأن ذلك الذي يقتضيه لسان العرب، وكذلك هو الذي جاء في القرآن، قال جل وعلا: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾ [هود: ١-٢]، والذي جاء من عند الله جل وعلا هو: (لا إله إلا الله)، قال هنا: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ﴾، فتفسير الإله في هذا الموطن بالرب، يعني القادر على الاختراع كما هو تفسير أهل الكلام المذموم من الأشاعرة والماتوريدية، ونحوهم. فإن هذا من أبطل ما يكون، لأنه مناقضٌ للغة العرب ومناقضٌ للقرآن ويرده القرآن والسنة، فإن مادة الإله غير مادة الرب، والإله هو المعبود – كما أوضحت لك في الاشتقاق–، يقولون: معنى لا إله، أي لا قادر على الاختراع إلا الله، ولهذا لا يُكفرون من أشرك مع الله جل وعلا إلهـاً آخر في العبادة، يقولون: ما دام أنه مقر بتوحيد الربوبية وبأن الله جل وعلا هو المتوحد في أفعاله في رزقه وإحيائه وإماتته وفي تدبيره للأمر وفي ملكه وفيما يفعل، فإن هذا مؤمن، وهذا باطل. وبعضهم يفسر الإله بتفسيرٍ آخر يرجع إلى معنى الربوبية يقول أحد كبار أئمة الأشاعرة وهو السنوسي في كتابه المعروف في أم البراهين في العقائد الأشعرية: فالإله هو المستغني عما سواه المفتقر إليه كل ما عداه. يقول: فمعني لا إله إلا الله، لا مستغنيـاً عما سواه ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله. فصار معني كلمة التوحيد عندهم توحيد الله جل وعلا في ربوبيته، وهذا من أبطل الباطل، لأن المشركين قد أخبر الله جل وعلا في كتابه مقرون بهذا الذي جعله معنى كلمة التوحيد، أرأيتم أبا جهل وصحبه ألم يكونوا موقنين بأنه لا مستغنيـاً عما سواه ولا مفتقراً إليه كل ما عداه إلا الله؟ هم يؤمنون بذلك، كما بينه الله جل وعلا في القرآن في آياتٍ كثيرة جداً، كقوله: ﴿وَلَئِن

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦١]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [يونس: ٣١]، إلي آخر الآية قال: ﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾، ﴿قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨-٨٩]، إلي ما جاء في هذا من الآيات. إذاً فتفسير لا إله إلا الله بأنها لا معبود إلا الله، هذا التفسير ليس تفسيراً اجتهادياً وإنما هو تفسير القرآن لهذه الكلمة، قال جل وعلا: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [هود: ١-٢]، وقال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وهذا واضح ﴿مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، أُتي بعد أمرهم بعبادة الله جل وعلا وحده دونما سواه. وهذا مبين كثير في الكتاب وفي السنة، والنبي ﷺ قال لحسين بن عبد الرحمن: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ الْيَوْمَ؟» قال: أعبد سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء. قال: «فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قال: الذي في السماء[1]. فهذا معني الإله، وهذا معني لا إله أي لا معبود، فهذا تفسيرٌ جاء من الله جل وعلا ومن نبيه ﷺ، ليس تفسيراً اجتهادياً من أئمة الدعوة كما زعمه الخرافيون وأعداء التوحيد. إذاً هنا قال: لا معبود بحق إلا الله.

الكلمة الثانية (إله)، الكلمة الثالثة (إلا) وإلا هذه عند بعض العلماء أداة استثناء، وعند بعضهم أداة حصر، فصار معنى لا إله إلا الله، لا معبود إلا الله. خبر لا أين هو؟ لا معبود إلا الله، يعني: (لا معبود موجود إلا الله)، (لا معبود بحق إلا الله)، (لا معبود يعبد

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٨٣) واللفظ له، والبزار (٣٥٨٠)، والطبراني (٣٩٦).

إلا الله)، خبر لا أين هو؟ قال العلماء: خبر لا محذوف، ذلك لأن العرب جرى في لغتها أن خبر لا النافية للجنس يحذف إذا كان واضحاً. ومن الواضح أن المشركين لم ينازعوا في وجود آلهة أخري، هم يعلمون أنه ثم آلهة كثيرة موجودة. ولهذا لا يصلح أن يقال: إن خبر لا إله موجود. لأنهم قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ [ص: ٥]. فلو كان خبر لا موجود، لا إله موجود قالوا له: هذه الآلهة موجودة، فكلمتك هذه ليست بصحيحة. ولكن الخبر معلوم لأنه زبدة الرسالة، وهو قدره الشيخ هنا بحقٍ، أو يقدر حقٌ بدون الباء، وذلك لأن الخبر-خبر لا- إذا حذف قدر بالمناسب الذي يعلم وإذا حذف الخبر، كان حذفه لأجل العلم به ولوضوحه، كما قال ابن مالك في الألفية في آخر باب اللام النافية للجنس، يقول: (وشاع في ذا الباب- يعني باب اللام النافية للجنس- إسقاط الخبر، إذ المراد مع سقوطه ظهر). إذا ظهر المراد مع الحذف، فإنه يحذف، ولهذا لا يحذف خبر لا النافية للجنس إلا إذا كان واضحاً، وهنا الخبر واضح لأنه هو زبدة الرسالة، زبدة ما بعث به النبي ﷺ، بل هو عين ما بعث به النبي ﷺ أن يكون تقدير الكلام، لا معبود حقٌ إلا الله، لأن النبي ﷺ بعث لتوحيد الله جل وعلا بالعبادة، ولأبطال عبادة غيره وأنه لا معبود حق إلا الله، وأن كل معبود سوي الله جل وعلا فعبادته بالباطل الظلم والطغيان والتعدي من الخلق. فإذاً هنا حذف لأنه معلوم فصار تقديره: (لا إله حق)، أو (لا إله بحق إلا الله) وذلك لأن الله جل وعلا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، فلما كانت هذه الآية وقد جاءت في القرآن في سورتين، مشتملة على أن عبادة الله حق، وأن عبادة غيره باطلة ناسب أن يكون المحذوف هنا كلمة حق، لا إله بحق، أو لا

إله حق، لأنها هي التي دلت عليها الآيات. إذاً فصار معني لا إله إلا الله، لا أحد يستحق العبادة إلا الله جل وعلا، لا معبود بحق إلا الله. هناك معبودات نعم غير الله جل وعلا، ولكنها معبودات بالباطل، فصار التقدير من أنسب ما يكون. قال: (معناها لا معبود بحقٍ إلا الله وحده). فسر ذلك بقوله: (لا إله، نافياً جميع ما يعبد من دون الله). يعني الذي يقول: لا إله إلا الله. ماذا يقول حين يقول: لا إله؟ يقول: أنفي جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله تقول: وأثبت العبادة لله وحده. لأن لا إله إلا الله نفيٌ وإثبات، نفي للاستحقاق العبادة عما سوى الله، وإثبات للعبادة المستحقة لله –جل وعلا– قال –رحمه الله– هنا (لا شريك له في عبادته كما أنه ليس له شريك في ملكه). الله جل وعلا بين في القرآن أنه لو كان له شريكٌ في الملك، بملكه لابتغى إليه سبيلاً قال جل وعلا: ﴿لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٤٢]، لو كان معه آلهة، معبودات تستحق العبادة فعلاً ما الذي سيلزم ذلك؟ يلزم أن لهم نصيباً في ملك الله، لأنه لا يستحق العبادة إلا من يملك النفع والضر، قال سبحانه: ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، وليس مع الله جل وعلا أحد في ملكه، بل هو المتوحد في ملكه، ينتج من ذلك ويلزم أنه هو المستحق للعبادة وحده. لهذا يقول العلماء: إن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية. الإقرار بأن الله جل وعلا ليس له شريكٌ في ملكه لا على وجه الاستقلال ولا على وجه الشيوع، هذا يلزم منه لزوماً أكيداً أن الله جل وعلا هو الواحد في استحقاقه العبادة، لا يستحق العبادة إلا هو، فهو وحده المستحق للعبادة لا شريك له، كما أنه وحده الذي له الملك لا شريك له، كما جاء في آية الأنعام: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]، ومعناها ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى﴾ لله استحقاقاً ﴿وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ ملكاً لا شريك له

في عبادته ولا شريك له في ملكه ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، هذا معنى الآية. وهذا التفسير من الشيخ لكلمة التوحيد تفسيرٌ واضحٌ ظاهر. أيضـًا قال: وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ﴾، ماذا قال إبراهيم؟ المقول سيأتي، قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، اشتملت كلمته هذه على نفيٍ وإثبات، على بغضٍ ومحبة. فشقها الأول نفيٌ وبغض، قال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾، وهذا فيه نفي ما دام أنه تبرأ منها، فيه نفيٌ لاستحقاقه العبادة، ومن معنى البراءة البغض، فاشتمل على النفي والبغض، ثم أتى بالإثبات والمحبة فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾، محبةٌ فيها الرجاء. هذه كلمة وهي معنى لا إله إلا الله، لأنها اشتملت على براءة وعلى ولاء، اشتملت على بغض وعلى محبة، اشتملت على نفيٍ وعلى إثبات. **[صالح آل الشيخ]**.

الإله: فِعال بمعنى: مفعول ككِتاب بمعنى: مَكتوب، مشتق من أله يأله إلهة، أي: عبد يعبد عبادةً لفظـًا ومعنىً، والإله: هو المعبود المطاع. فالنفي في كلمة الإخلاص (لا إله) أي: لا مألوه يستحق أن يعبد إلا الله فإذا قلت: (لا إله) كنت نافيـًا جميع ما يعبد دون ما سوى الله، يعني: والآلهة غير الله كثيرة طبق الأرض ولكن بالباطل والضلال وإنما الإله المستحق للعبادة هو الله وحده، وآلهة المشركين التي يعبدونها من دون الله إنما هي مجرد ظن منهم وإتباع لهواهم كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم:١٩] إلى قوله: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣].

والإثبات في كلمة الإخلاص قولك: (إلا الله) هو المستثنى في هذه الكلمة العظيمة ودلالتها على إثبات الإلهية لله وحده أعظم من دلالة قولنا: الله إله فـ(لا) نافية للجنس وخبرها المرفوع محذوف تقديره حق، فـ(إلا الله) استثناء من الخبر المرفوع فالله هو الحق وعبادته وحده هي الحق وعبادة غيره منفية بـ(لا) في هذه الكلمة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢]، والقرآن كله يدل على إثبات العبادة لله وحده فـ(لا إله إلا الله) اشتملت على أمرين هما ركناها: النفي و الإثبات فـ(لا إله) نافياً وجود معبود بحق سوى الله، و(إلا الله) مثبتاً العبادة لله وحده دون كل ما سواه والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الإثبات المحض فلابد الجمع بين النفي والإثبات. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ هذه الآية من سورة آل عمران نزلت في وفد نجران النصارى الذين قدموا على النبي ﷺ وناظروه وسألوه، وحصل بينهم وبينه كلام طويل، وهم نصارى من نصارى العرب، وفي النهاية طلب النبي ﷺ منهم المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١]. فلما طلب منهم المباهلة خافوا ولم يباهلوه ﷺ، ودفعوا له الجزية؛ لأنهم يعلمون أنهم على باطل، وأنه رسول الله ﷺ.

نبتهل: أي ندعو باللعنة على الكاذب منا، وكانوا يعلمون أنهم هم الكاذبون، ولو باهلوه لنزلت عليهم النار وأحرقتهم في مكانهم، فقالوا: لا، لكن ندفع الجزية ولا نباهلكم، فقبل النبي ﷺ منهم الجزية.

وهذه الآية فيها معنى لا إله إلا الله، قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ هذا النفي، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هذا الإثبات، وهذا هو العدل الذي قامت له السماوات والأرض، فالسماوات والأرض قامت على التوحيد والعدل، لا نشرك في عبادته شيئًا لا المسيح الذي تزعمون أنه رب وتعبدونه من دون الله، ولا غير المسيح ولا محمد ﷺ، ولا أحد من الأنبياء ولا من الصالحين ولا من الأولياء، ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ﴾ كما اتخذتم الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ﴾ [التوبة: ٣١]، واتخاذ الأحبار والرهبان من دون الله بينه رسول الله ﷺ في أنه طاعتهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله هذا معنى اتخاذهم أربابًا من دون الله، إذا كانوا يحللون ما حرم الله ويحرمون ما أحل، فإذا أطاعوهم في ذلك، فقد اتخذوهم أربابا؛ لأن الذي يشرع للناس ويحلل ويحرم هو الله سبحانه وتعالى.

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾: ولم يقبلوا دعوة التوحيد. ﴿فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ أشهدوهم على أنكم موحدون وأنهم كفار، بينوا لهم بطلان ما هم عليه، ففي هذه الآية البراءة من دين المشركين والمصارحة بذلك، اشهدوا بأنا مسلمون ففي هذا وجوب إعلان بطلان ما عليه المشركون وعدم السكوت عن ذلك، والإعلان عن بطلان الشرك والرد على أهله.

والخلاصة: أن لا إله إلا الله لها ركنان: هما النفي والإثبات، فإذا قيل لك: ما هي أركان لا إله إلا الله، فتقول النفي والإثبات.

وشروطها سبعة لا تنفع إلا بهذه الشروط نظمها بعضهم بقوله:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع محبة وانقياد والقبول لها

فالعلم: ضده الجهل، فالذي يقول: لا إله إلا الله بلسانه ويجهل معناها هذا لا تنفعه لا إله إلا الله.

واليقين: فلا يكون عنده شك؛ لأن بعض الناس قد يعلم معناها ولكن عنده شك في ذلك، فليس علمه بصحيح، لا بد أن يكون عنده يقين بلا إله إلا الله وأنها حق.

والإخلاص: ضده الشرك، بعض الناس يقول: لا إله إلا الله؛ ولكنه لا يترك الشرك، مثل ما هو الواقع الآن عند عباد القبور، هؤلاء لا تنفعهم لا إله إلا الله؛ لأن من شروطها ترك الشرك.

والصدق: ضده الكذب؛ لأن المنافقين يقولون: لا إله إلا الله؛ لكنهم كاذبون في قلوبهم، لا يعتقدون معناها، قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١-٢].

والمحبة: أن تكون محبًّا لهذه الكلمة وليًّا لأهلها، أما الذي لا يحبها أو لا يحب أهلها فإنها لا تنفعه.

والانقياد: ضد الإعراض والترك، وهو الانقياد لما تدل عليه من عبادة الله وحده لا شريك له، وامتثال أوامره، ما دمت اعترفت وشهدت أنه لا إله إلا الله يلزمك أن تنقاد لأحكامه ودينه، أما أن تقول: لا إله إلا الله، ولا تنقاد لأحكام الله وشرعه فإنها لا تنفعك لا إله إلا الله.

والقبول: القبول المنافي للرد، بأن لا ترد شيئًا من حقوق لا إله إلا الله، وما تدل عليه بل تقبل كل ما تدل عليه لا إله إلا الله، تتقبله تقبلًا صحيحًا.

وزيد شرط ثامن:

وزيد ثامنها الكفران بما مع الإله من الأشياء قد ألها

أي: البراءة من الشرك، فلا يكون موحدًا حتى يتبرأ من الشرك: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦].

هذه شروط لا إله إلا الله، ثمانية شروط. **[صالح الفوزان]**.

وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ: طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ، وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ، واجْتِنَابُ مَا نَهَى عَنْهُ وَزَجَرَ وأَلا يُعْبَدَ اللهُ إِلا بِمَا شَرَعَ.

يخبر الله سبحانه وتعالى ممتنًا على عباده بإرسال محمد ﷺ، وهو رجل منهم يعرفون نسبه وسيرته، ويشق عليه الذي يشق عليهم، وهو حريص على هدايتهم حتى أنه كان يتحسر إذا لم يستجيبوا ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:٣]. وقوله تعالى: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، أي: رحيم بالمؤمنين.

ومعنى (شهادة أن محمداً رسول الله): أي حقيقة الإقرار والتصديق واليقين بأنه رسول من عند الله إلى جميع الناس، ومقتضى هذه الشهادة: (طاعته فيما أمر) قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢]، في مواضع كثيرة، ويقول تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٢]، ويقول تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨]. (وتصديقه فيما أخبر) فهو أصدق الناس. (واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع) فعبادة الله لابد فيها من شرطين:

- الإخلاص لوجه الله.

- وموافقة أمر الله ورسوله ﷺ، وهو المقصود بقوله (وألا يُعبد الله إلا بما شرع)، فمن عبد الله بغير ما جاء به الرسول ﷺ فعمله باطل؛ لأنه عمل مبتدع. **[عبد الرحمن البراك]**.

وشهادة أن محمداً رسول الله معناها: الإقرار والإخبار عن الاعتقاد بأنه رسوله الله، وأنه عبد لا يُعبد ورسول لا يُكذب، بل الواجب أن يصدق ويطاع ويتبع، فالشهادة للنبي ﷺ بالعبودية براءة من الغلو فيه ﷺ؛ كغلو النصارى في المسيح عيسى بن مريم، والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة براءة من التكذيب له والجفاء بحقه، وبراءة من البدعة في الدين في أصل الشرع وفي الكيفية، وهو مسلك اليهود مع عيسى ابن مريم ومحمد عليهما أفضل الصلاة والسلام. **[عبد الله القصير]**.

ولا بد من هذه الأمور الأربعة:

الأول: طاعته فيما أمر من الصلاة والزكاة وغيرها.

الثاني: تصديقه فيما أخبر عن الآخرة والجنة والنار وغير ذلك.

الثالث: اجتناب ما عنه نهى وزجر، كالزنا والربا وغير ذلك مما نهى الله عنه ورسوله.

الرابع: أن لا يعبد الله إلا بما شرع؛ فلا يبتدع في الدين مما لم يشرعه الله؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ». وفي رواية: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»[1]. أي مردود. [**عبد العزيز بن باز**].

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر، كونك شهدت بأنه مرسلٌ من عند الله، معنى ذلك أنه إذا أمرك فإن الآمر هو الله جل وعلا، كما جاء في الحديث الصحيح قال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»[2]. إذا اعتقد أن هذا الذي جاء به محمد ﷺ لم يأتي به من عنده وإنما هو رسول، فمعنى ذلك أن تطيعه فيما أمر هذا مقتضي لكونك شهدت بأنه رسول الله، فإن لم تطعه فيما أمر اعتقاداً أنه لا يطاع كان ذلك تكذيباً لشهادتك، فمن قال: أشهد أن محمداً رسول الله. وهو يعتقد أنه لا تلزمه طاعة الرسول ﷺ، فحاله حال المنافقين، شهادته مردودة، كاذب في شهادته، وأما إذا اعتقد أنه تجب عليه طاعته الرسول ﷺ فيما أمر، وخالف لغلبة هوى، فهذا يكون عاصياً قد نقص من تحقيقه لشهادة أن محمداً رسول الله بقدر مخالفته. قال: (وتصديقه فيما أخبر). ما أخبر به النبي ﷺ من الغيب وحيٌ من عند الله، ولا يتخرص ﷺ لهذا ما أتى به من أخبار الغيبيات من الكلام عن الله جل وعلا، عن أسمائه وصفاته وأفعاله، عن الجنة والنار، عن أخبار الغيب، عن قصص الماضين هو كله بوحيٍ من الله جل وعلا، فمقتضى أنك شهدت أنه رسول الله أن تصدقه فيما أخبر به النبي ﷺ، نقول: ﷺ فيه صادق ولو كنا لا

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٦٤)، وابن ماجه (١٢)، وأحمد (١٧١٩٤).

نرى ذلك الشيء، كما ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعودٍ ﵁ أنه قال: حدثني الصادق المصدوق. يعني به رسول الله ﷺ، فالمؤمن يصدق رسول الله فيما أخبر به، سواء عقل ذلك أو لم يعقله، وسواء أدرك ذلك بنظره أو لم يدركه. [**صالح آل الشيخ**].

وشهادة أن محمدًا رسول الله لها معنى ومقتضى ليست لفظًا يقال فقط. فمعناها أن تعترف بلسانك وبقلبك أنه رسول الله، تنطق بلسانك وتعتقد ذلك بقلبك أنه رسول الله ﷺ، أما التلفظ باللسان والإنكار بالقلب فهذه طريقة المنافقين كما أخبرنا الله عنهم بقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ١-٢]، جعلوا أيمانهم، أي: شهاداتهم سترة يسترون بها، فصدوا عن سبيل الله، فدل على أن النطق باللسان لا يكفي.

وكذلك اعتقاد القلب مع عدم النطق باللسان لمن يقدر على النطق أيضًا لا يكفي، فإن المشركين يعلمون أنه رسول الله لكنهم يعاندون، كما قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]. فهم بقلوبهم يعترفون بالرسالة، ويعرفون أنه رسول الله، لكن منعهم الكبر ومنعهم العناد من الإقرار برسالته.

وكذلك منعهم الحسد كما عند اليهود وعند مشركي العرب، وكان أبو جهل عمرو بن هشام يعترف ويقول: كنا نحن وبنو هاشم متساوين في كل الأمور لكنهم قالوا: منا رسول وليس منكم رسول من أين نأتي برسول؟ فلذلك أنكروا رسالته حسدًا لبني هاشم. ويقول أبو طالب في قصيدته:

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحا بذاك مبينا

يعترف بقلبه برسالة محمد لكن منعته الحمية الجاهلية لقومه فلم يكفر بدين عبدالمطلب الذي هو عبادة الأصنام، فهم يعترفون بنبوته بقلوبهم، فلا يكفي الاعتراف بالقلب أنه رسول الله بل لا بد أن ينطق بلسانه.

ثم لا يكفي النطق باللسان والاعتراف بالقلب، بل لا بد من أمر ثالث وهو الاتباع، قال الله تعالى فيه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

حتى لو نصره مثل أبي طالب وحامى دونه، وهو يعرف أنه رسول الله لكن لم يتبعه، فإنه ليس بمسلم حتى يتبعه.

فلا بد مع الاعتراف برسالته ظاهرًا وباطنًا واعتقادًا، ولا بد من اتباعه ﷺ، ويتلخص ذلك في هذه الأربع كلمات التي ذكرها الشيخ رحمه الله:

الأولى: طاعته فيما أمر: يقول الله جل وعلا: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]. فقرن طاعة الرسول مع طاعته سبحانه وتعالى، وقرن معصية الرسول مع معصيته ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، فلا بد من طاعته ﷺ، فالذي يشهد أنه رسول الله تلزمه طاعته فيما أمر لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:

٧]، وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، عن أمره: أي عن أمر الرسول فلا بد من طاعة الرسول ﷺ.

الثانية: تصديقه فيما أخبر؛ لأن الرسول ﷺ أخبر عن أمور كثيرة مغيبة، أخبر عن الله وعن الملائكة، وأخبر عن أمور غائبة، وأخبر عن أمور مستقبلة من قيام الساعة وأشراط الساعة والجنة والنار، وأخبر عن أمور ماضية عن أحوال الأمم السابقة، فلا بد من تصديقه فيما أخبر؛ لأنه صدق لا كذب فيه، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤].

الثالثة: اجتناب ما نهى عنه وزجر: اجتنب ما نهاك عنه الرسول ﷺ؛ نهاك عن أقوال وأفعال وصفات كثيرة، ولا ينهى ﷺ إلا عن شيء فيه ضرر وفيه شر، ولا يأمر إلا بشيء فيه خير وفيه بر، فإذا لم يجتنب ما نهى عنه رسول الله ﷺ لم يكن شاهدًا له بالرسالة بل صار متناقضـًا، كيف يشهد أنه رسول الله ولا يجتنب ما نهاه عنه الرسول ﷺ، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، قال ﷺ: «إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[1]. فلا بد من اجتناب ما نهى عنه ﷺ.

الرابعة: ألا يُعبد الله إلا بما شرع: تقيد في العبادات بما شرعه الله لرسوله ﷺ فلا تأت بعبادة لم يشرعها الرسول ﷺ، وإن كان قصدك حسنًا، وإن كنت تريد الأجر، لكن هذا عمل باطل؛ لأنه لم يأت به الرسول ﷺ. النية لا تكفي بل لا بد من الاتباع.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

فالعبادات توقيفية لا يجوز الإتيان بعبادات لم يشرعها رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»(١).

فالإتيان بعبادة لم يشرعها رسول الله ﷺ تعتبر بدعة منكرة منهيًّا عنها، وإن قال بها فلان أو فلان، أو فعلها من الناس ما دامت خارجه عما جاء به الرسول ﷺ فإنها بدعة وضلالة، فلا يعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله، والمحدثات والخرافات كلها عمل باطل ونقص وضلال على من أتى بها، وإن كان يقصد بها الخير ويريد الأجر، فإن العبرة ليست بالمقاصد، وإنما العبرة بالاتباع والطاعة والانقياد، ولو كنا أحرارًا نأتي بما نشاء ونستكثر من العبادات ما نشاء لما احتجنا إلى بعثة الرسول ﷺ.

ولكن من رحمة الله بنا لم يكلنا إلى عقولنا، ولم يكلنا إلى فلان وعلان من الناس؛ لأن هذه الأمور مردها إلى الشرع إلى الله ورسوله، ولا ينفع منها إلا ما كان موافقًا لما شرعه الله ورسوله، ففي هذا الابتعاد عن جميع البدع، ومن ابتدع شيئًا في الدين لم يأت به الرسول ﷺ، فإنه لم يشهد أنه رسول الله، لم يشهد الشهادة الحقيقية؛ لأن الذي يشهد أنه رسول الله ﷺ شهادة حقيقية يتقيد بما شرعه، ولا يحدث شيئًا من عنده أو يتبع شيئًا محدثًا ممن سبقه.

هذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ليست ألفاظًا تقال باللسان فقط من غير التزام ومن غير عمل ومن غير تقيد بما جاء به هذا الرسول ﷺ. **[صالح الفوزان]**.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (١٧١٤٥).

وقول المصنف في معنى شهادة أن محمدا رسول الله: (وألا يعبد الله إلا بما شرع)؛ يعود الضمير المستتر فيه إلى الاسم الأحسن (الله)، فتقدير الكلام: (وألَّا يعبد الله إلا بما شرعه الله)؛ لأن الرسول ﷺ ليس له حق الشَّرع، فهو حق خاص بالله لا يكون للنبي ولا لغيره، فلا يقال: (قال الشارع) على إرادة غير الله، ولا يقال للنبي ﷺ: (إنه المشرع)، ولا يجوز إطلاق اسم (المجلس التشريعي) على مجلس الشورى أو المجلس النيابي، لأن هذا مشاحة لله في حق متمحض له وهو التشريع، والدليل على اختصاص نسبة الشرع بالله أمران:

أحدهما: أن فعل الشرع لم يأت مضافا في القرآن والسنة إلا إلى الله، فلما شاع اطراده فيها على هذا النحو تحقق أن المقصود: جعل هذا الحق لله وحده.

والآخر: أنه لم يوجد في كلام أحد من الصحابة رضي الله عنهم أنه قال: (شرع رسول الله ﷺ)، بل قالوا: (فرض رسول الله ﷺ)، و(سن رسول الله ﷺ)، وبينها فرق؛ فإن التشريع: وضع ما يتقرب به إلى الله، وأما فرضه وسنه ﷺ فهو بيان ما يبلغ به الشرع، فإن وظيفته ﷺ البلاغ.

وكان مما أرتآه بعض أولي الأمر في هذه البلاد: تشكيل لجنة في مجلس الوزراء باسم (اللجنة التشريعية)، فكتب شيخنا ابن باز رحمه الله تعالى إليهم بأن هذه التسمية لا تجوز؛ لأن التشريع لله وحده، فعدل بحمد الله عن هذا الاسم، وهو مهجور في هذه البلاد، غير مستعمل فيها إلا في حق الله سبحانه وتعالى. [**صالح العصيمي**].

وَدَلِيلُ الصَّلاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَتَفْسِيرُ التَّوْحِيدِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

هذه الثلاثة هي أعظم أركان الإسلام، والكتاب والسنة تجمع بينها في مواضع متعددة، كما قال تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة:١١]، فأعظم هذه الأصول عبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين لله، وبعد ذلك إقام الصلاة، فالصلوات الخمس هي عمود الإسلام، وهي أوجب الواجبات بعد التوحيد، والزكاة قرينتها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فالصلاة هي حق الله على عباده في كل يوم وليلة، والزكاة حق الله على عباده في أموالهم، قال النبي ﷺ في حديث معاذ: «فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ»[1]. **[عبد الرحمن البراك]**.

هذه الأركان الثلاثة - أعني: الشهادتين، والصلاة، والزكاة - كثيراً ما تذكر في النصوص جميعـًا؛ لأن الشهادتين اعتقاد القلب وعمله وقول اللسان، والصلاة الشاهد الفعلي على التوحيد وبرهانه في الظاهر البدني، والزكاة عبادة مالية فهي برهان التوحيد المالي.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩).

فإذا أتى بهذه الأركان الثلاثة فإن بقية شرائع الإسلام من جنسها وأقل وجوباً منها، فمن أتى بها على - الوجه المشروع - كان حرياً بأن يأتي بما هو من جنسها وأيسر منها لزوماً وكيفية.

ومن بذل ماله لله تعالى وفعل ما يشق على بدنه من أجله كان حرياً أن يجود بنفسه من أجل ربه، كيف لا والله تعالى قد اشترى هذه الأشياء منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]. **[عبد الله القصير]**.

ودليل التوحيد في أول الآية: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ هذا هو تفسير التوحيد، وهو عبادة الله مع الإخلاص له وترك عبادة ما سواه، فالدين والتوحيد والعبادة بمعنى واحد ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ أي: العبادة، هذا تفسير التوحيد، لا كما يقوله علماء الكلام: أنه الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت هذا توحيد الربوبية، والمطلوب هو توحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا يصير المسلم مسلمًا إلا إذا جاء به.

أما من جاء بتوحيد الربوبية فقط فهذا ليس مسلمًا بدليل أن المشركين يعتقدونه وينطقون به ويعترفون به ولم يدخلهم في الإسلام، ولم يمنع من قتلهم وسبي أموالهم توحيدهم هذا؛ لأنهم ليسوا موحدين لما أشركوا بالله عز وجل في العبادة، هذا هو تفسير التوحيد من كتاب الله لا من كتب علماء الكلام، لا يؤخذ تفسير التوحيد من هذه الكتب وإنما يؤخذ من كتاب الله ومن سُنة رسول الله ﷺ، ومن كتب أهل السنة والجماعة الذين يتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ. **[صالح الفوزان]**.

وَدَلِيلُ الصِّيَامِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

الصيام في اللغة: الإمساك. وفي الشرع: هو الإمساك عن الأكل والشرب والجماع مع النية، في وقت مخصوص من شخص مخصوص.

وأمر تعالى عباده المؤمنين من هذه الأمة بالصيام لما فيه من زكاة النفوس وتطهيرها وتنقيتها من الأخلاط الرديئة والأخلاق الرذيلة.

وفرض في السنة الثانية للهجرة وذكر تعالى أنه فرضه وأوجبه عليهم كما أوجبه على من كان من قبلهم فلهم فيهم أسوة قال شيخ الإسلام: كانوا يعرفونه قبل الإسلام ويستعملونه كما في الصحيحين: يوم عاشوراء كان يوماً تصمه قريش في الجاهلية. ثم هو من العلم العام الذي توارثته الأمة خلفاً عن سلف. ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ يعني: بالصوم، لأنه وصلة إلى التقوى لما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

والصيام لا يجب إلا على المسلمين أما الكفار لو فعلوه ما صح منهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، ما داموا على الكفر فإنهم لا تنفعهم العبادات لا صيام ولا غير صيام، ولذلك خاطب به المؤمنين خاصة؛ لأنهم هم الذين يستجيبون، وهم الذين يصح منهم الصيام، ويقبل منهم الصيام.

﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ معنى كتب: فرض، مثل قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ﴾ [البقرة: ٢١٦] يعني فرض عليكم القتال، فالكتب في كتاب الله معناه الفرض. **[صالح الفوزان]**.

ودَلِيلُ الْحَجِّ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

والحج لغة: قصد الشيء وإتيانه. وشرعا: قصد مكة لعمل مخصوص، في زمن مخصوص. **[عبد الرحمن بن قاسم]**.

﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾: هذا بيان شرط الوجوب، وهو الاستطاعة البدنية والاستطاعة المالية، الاستطاعة البدنية بأن يكون قادرا على المشي والركوب والانتقال من بلده إلى مكة في أي مكان من الأرض، هذه البدنية، يخرج العاجز عجزا مستمرا كالمريض مرضا مزمنا والكبير الهرم، فهذا ليس عنده استطاعة بدنية، فإن كانت عنده استطاعة مالية فإنه ينيب من يحج عنه حجة الإسلام.

أما الاستطاعة المالية فهي توفر المركب الذي ينقله، الراحلة أو السيارة أو الطيارة أو الباخرة، كل وقت بحسبه، ويكون عنده مال يستطيع أن يوفر له المركب الذي يمتطيه لأداء الحج، وأيضا الزاد يكون عنده زاد ونفقة له في السفر ذهابا وإيابا، ولمن يمونهم يكون عندهم كفايتهم إلى أن يرجع إليهم، فالزاد معناه أن يكون عنده ما يكفيه في سفره، ويكفي من يمون من أولاده ووالديه وزوجته، وكل من تلزمه نفقته، يؤمن لهم ما يكفيهم

حتى يرجع إليهم بعد تأمين سداد الديون إن كان عليه ديون، يكون هذا المال فاضلا بعد سداد الديون.

فإذا توفر هذا فيكون هذا هو السبيل، (الزاد والراحلة) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(١).

ومن لم يستطع: أي، من ليس عنده زاد ولا راحلة فليس عليه حج؛ لأنه غير مستطيع، فشرط وجوب الحج هو الاستطاعة.

ولما كان الحج يؤتى إليه من بعيد من كل أقطار الأرض، من كل فج عميق، ويحتاج إلى مؤنة، وفيه مشقة وتعب، وقد يحصل فيه أخطار، فمن رحمة الله أن جعله في العمر مرة واحدة، وما زاد عليها فهو تطوع، هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى حيث لم يوجبه على المسلم كل سنة، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا»، قال الأقرع بن حابس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أكل سنة يا رسول الله؟ فسكت عنه الرسول ﷺ، ثم أعاد السؤال، فسكت عنه النبي ﷺ، ثم أعاد السؤال، فقال النبي ﷺ: لَوْ قُلْتُ كُلُّ عَامٍ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ، الْحَجُّ مَرَّةً وَاحِدَةً فَمَا زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»(٢)، هذا من رحمة الله.

وقوله سبحانه: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فيه دليل على أن من امتنع عن الحج وهو يقدر ولم يحج فإنه كافر، فمن تركه جاحدا لوجوبه هذا كفر أكبر بإجماع المسلمين، أما من اعترف بوجوبه وتركه تكاسلا فهذا كفر أصغر، ولكن إذا توفي وكان له

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٧)، والدارقطني (٢٤٢٤).

(٢) أخرجه بهذا اللفظ أبو داود (١٧٢١)، والنسائي (٢٦٢٠)، وابن ماجه (٢٨٨٦)، وأخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧). بلفظ آخر.

مال فإنه يحج من تركته؛ لأنه دين عليه لله عز وجل، وهذه الآية فيها وجوب الحج، وهو ركن من أركان الإسلام، وبين الرسول ﷺ أنه ركن من أركان الإسلام في حديث جبريل، وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

وقد فرض الحج في السنة التاسعة على قول، ولم يحج النبي ﷺ في هذه السنة، وإنما حج في السنة التي بعدها في السنة العاشرة، لماذا؟ لأنه ﷺ أرسل عليا ينادي في الناس في الموسم: «أَلَّا يَحُجّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»(١)، فلما منع المشركون والعراة من الحج في العام العاشر حج النبي ﷺ حجة الوداع. [**صالح الفوزان**].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ دليل على أن ترك الحج ممن أستطاع إليه سبيلاً يكون كفراً، ولكنه كفر لا يخرج من الملة على قول جمهور العلماء لقول عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة(٢). [**محمد بن عثيمين**].

والحج جهاد بدني ومالي، فالبدني من جنس الصلاة، والمالي من جنس الزكاة، وكل فرائض الإسلام من صلاة وزكاة ونحوها لا تقبل إلا إذا بنيت على الإخلاص لله تعالى في القصد والنية والمتابعة للنبي ﷺ في الأداء والكيفية، فالعبادات التي تعبد الله بها المكلفين أنواع:

الأول: ما هو بدني محض كالصلاة.

الثاني: ما هو مالي محض كالزكاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٥٥)، ومسلم (١٣٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢٢)، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٩٤٨).

الثالث: ما هو ترك للمألوفات والمحبوبات كالصوم.

الرابع: ما هو مالي وبدني وترك المحبوب كالحج والجهاد في سبيل الله.

وهذا من ابتلاء الله تعالى للعباد؛ حتى يظهر حبهم لله تعالى وانقيادهم له وصبرهم على المكاره في أنواع العبادات ومختلف الأوقات والأحوال ابتغاء مرضاة الله عز وجل وهرباً من سخطه وألوان عقوباته. [**عبد الله القصير**].

الْمَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ: الإِيمَانُ

وَهُوَ: «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ»[١].

وَأَرْكَانُهُ سِتَّةٌ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذِهِ الأَرْكَانِ السِّتَةِ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ودليل القدر: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

الإيمان لغة: التصديق.

وشرعـًا: هو التصديق المستلزم لقبول الأخبار، والإذعان للأحكام، وقد دلت نصوص الشرع على أنه قول اللسان والقلب وعمله وعمل الجوارح.

فأصله: التصديق بما جاء في الكتاب والسنة تصديقـًا يستلزم القول والعمل، فهو اعتقاد وعمل باطني تنبني عليه الأقوال والأفعال الظاهرة، وهو - عند أهل السنة والجماعة -: (قول باللسان واعتقاد بالجنان - أي: القلب - وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان).

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

فيزيد حتى يتم ويكمل، وينقص بنواقصه حتى يتلاشى ويضعف، ويذهب جملةً ويبطل بارتكاب ناقض من نواقضه.

فمن أسباب زيادته: زيادة العلم وزيادة العمل. وتلاوة القرآن وصحبة الأخيار، وتذكر النعم والتفكر في خلق المخلوقات وأهوال يوم القيامة.

ولنقصانه أسباب، منها: الإعراض عن التعلم والذكر والجرأة على المعاصي، والتسويف بالتوبة، ومخالطة الفساق وترك الواجبات وعدم توقي الشبهات.

ومن نواقضه ومبطلاته: جحد معلوم من الدين بالضرورة، والاستهزاء بالله ورسوله وآياته، ودعاء غير الله، والتحاكم إلى غير شرع الله تسوية له بالشرع أو تفضيلاً له عليه أو اعتقاداً أنه يسوغ التحاكم إليه.

فهذا هو الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ومن الأدلة على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل وأنه يزيد وينقص ما يلي:

أ- الدليل على أنه قول: قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٍ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقوله ﷺ: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٨).

ب- الدليل على أنه اعتقاد: قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الآية.

ج- والدليل على أنه اعتقاد وعمل: قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية، وقوله لوفد عبدالقيس: «أَتَدْرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِاللهِ وَحْدَهُ عَزَّ وَجَلَّ؟» قالوا الله ورسوله أعلم، قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ»(١).

د- ومن أدلة زيادته: قوله تعالى: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر: ٣١] الآية، وقوله في صفة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

هـ- ومن الأدلة على نقصه: قوله ﷺ للنساء: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ، أَغْلَبَ لِذِي لُبٍّ مِنْكُنَّ»(٢). وقوله ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(٣). أي: وهو كامل الإيمان بل ناقص الإيمان فالمنفي هنا كمال الإيمان لا أصله. [**عبد الله القصير**].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

(٢) أخرجه مسلم (٧٩).

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧).

فلا إسلام إلا بإيمان، ولا إيمان إلا بإسلام. فلا بد من هذا وهذا. لا بد من إسلام الجوارح، ولا بد من إسلام القلوب وإيمانها. ولهذا جمع الله بين الأمرين في كتابه العظيم. وهكذا الرسول ﷺ ذكرهما جميعا. فالإسلام هو الانقياد الظاهر بطاعة الله وترك معصيته. والإيمان يشمل الأعمال الباطنة مما يتعلق بالقلوب وتصديقها. ويطلق الإسلام على الإيمان، ويطلق الإيمان على الإسلام. فإذا قيل الإيمان؛ عم الجميع، وإذا قيل الإسلام؛ عم الجميع. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فيعم ما يتعلق بالباطن والظاهر. وهكذا الإيمان إذا أطلق عم الجميع؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»(١). فالإيمان هنا يعم الجميع، فيعم أركان الإسلام، ويعم جميع الأعمال الظاهرة، كما يعم الباطنة، كما أنه يشمل الإحسان. [**عبد العزيز بن باز**].

والجمع بين ما تضمنه كلام المؤلف رحمه الله تعالى من أن الإيمان بضع وسبعون شعبة وأن الإيمان أركانه ستة أن نقول: الإيمان الذي هو العقيدة أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل ﷺ.

وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانـًا في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، قال المفسرون يعني صلاتكم إلى بيت المقدس لأن الصحابة كانوا قبل أن يؤمروا بالتوجه إلى الكعبة يصلون إلى بيت المقدس. [**محمد بن عثيمين**].

---

(١) أخرجه مسلم (٣٥).

ومرتبة الإيمان أعم من مرتبة الإسلام من جهة نفسها، وأخص من جهة أصحابها، وأهله هم خواص أهل الإسلام، وأهل الإسلام أكثر من أهل الإيمان، بخلاف العكس، كما قال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]، فإن من حكمت له النصوص أنه مؤمن فإنه مسلم على كل حال، فإن الإيمان وصف أعلى من وصف الإسلام، لأنه مشتق من الأمن فهو من الأمور الباطنة الذي يؤتمن عليه ويكون خفية والإسلام من الأمور المدركة المحسوسة في الظاهر مشتق من التسليم أو المسالمة، فإذا أطلق الإيمان في النصوص دخل فيه الإسلام وإذا أطلق الإسلام لم يدخل فيه الإيمان ومن أثبت له الإيمان في النصوص فإنه ثابت له الإسلام والمسلم لابد أن يكون معه إيمان يصحح إسلامه وإلا كان منافقاً ولكن لا يستحق أن يمدح به ويثنى عليه بل إيمانه ناقص.

والإيمان الشرعي: قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فدخل فيه جميع المأمورات سواء كان من بالواجبات أو المستحبات ودخل فيه ترك جميع المنهيات سواء كان ذلك المنهي ينافي أصول الدين بالكلية أو لا، فإن تعريفه المذكور يشمل ذلك فما من خصلة من خصال الطاعات إلا وهي من الإيمان ولا ترك محرم من المحرمات إلا وهو من الإيمان. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

فإذا قال أهل السنة: إن الإيمان قولٌ وعمل. فهو بمعنى قول: قولٌ وعمل واعتقاد. لأن القول ينقسم إلى قول اللسان وقول القلب، قول اللسان هو النطق والإقرار ظاهراً بنطقه، وقول القلب النية وعمل القلب وعمل الجوارح، عمل القلب أقسامه كثيرة منها أنواع الاعتقادات ومنها أنواع العبادات القلبية، الخشية والخوف والرجاء، وكذلك عمل

الجوارح وهذا بمعنى قول من قال: إن الإيمان قولٌ باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان.

قال أهل العلم: إن هذا الإيمان الشرعي هو الذي حصل الابتلاء به، فهو من الأسماء التي نقلت من اللغة إلى الشرع. فصارت حقيقتها الشرعية هو ما وصفت لك من أن الإيمان يشتمل على قول اللسان والعمل بالأركان والاعتقاد وأنه يزيد وينقص. الإيمان كثيراً ما يأتي في القرآن ويراد به اللغوي، وكثيراً ما يأتي في القرآن ويراد به الشرعي، من مثل الألفاظ الأخرى كالصلاة فإنها تأتي ويراد منها اللغوي، ومما ذكره بعض أهل العلم المحققين أن الإيمان اللغوي في القرآن كثيراً ما يعدى باللام كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧]، وكقوله: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ [العنكبوت: ٢٦]، ونحو ذلك من الأمثلة. والإيمان الشرعي المنقول عن أصله اللغوي الذي يراد به القول والعمل والاعتقاد، هذا يعدى كثيراً بالباء ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥] إلى آخر الآية، وقال: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وكقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. ونحو ذلك من الآيات، هذا الإيمان قولٌ وعمل واعتقاد، ويراد به تارة الاعتقادات الباطنة، وهو الذي يناسب المرتبة الثانية، لأن المرتبة الأولى هي الإسلام، وهي ما يشمل العمل الظاهر.

وأما الإيمان فهو العقائد الباطنة، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر. والشيخ رحمه الله هنا قال: الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة. وهذا يعني به اسم الإيمان العام الذي يدخل فيه الإسلام، لأن الإيمان أوسع من الإسلام، والإسلام بعض

الإيمان، والإيمان أخص، فأعلاها قول: لا إله إلا الله. ومن المعلوم أن قول: لا إله إلا الله. أنه أول أركان الإسلام، الشهادة لله بالتوحيد بقول: لا إله إلا الله. مع توابع ذلك، هذا الركن الأول، فهنا اعتبر لا إله إلا الله. أعلى شعب الإيمان، وهذا لأن الإيمان يشمل الإسلام وزيادة، هذا تمثيلٌ للإيمان بالشجرة التي لها شعب ولها فروع، وقد مثل ﷺ بأعلى الشعب، وبأدنى الشعب، ومثل بشعبةٍ من الشعب، وهذه الثلاث التي ذكرها ﷺ متنوعة، فالأول وهو أعلاها قول: (لا إله إلا الله) هذا قول، (وأدناها إماطة الأذى عن الطريق) هذا عمل، (والحياء شعبةٌ من الإيمان)، الحياء عمل القلب.

فذكر في هذا قول لا إله إلا الله وهذا قولٌ باللسان ولا شك أنه يتبعه اعتقاد بالجنان، وذكر الحياء أيضاً وهو عمل القلب وذكر إماطة الأذى عن الطريق وهو عمل الجوارح، فتمثيله ﷺ بذلك لأجل أن يستدل بكل واحدٍ من هذه الثلاثة بكل شعبةٍ من هذه الثلاث شعب على نظائرها، فيستدل بكلمة التوحيد بقول: لا إله إلا الله. على الشعب القولية، ويستدل بإماطة الأذى عن الطريق بالشعب العملية، وعمل الجوارح، ويستدل بذكره الحياء على الشعب القلبية، وهذا من أبلغ ما يكون من التشبيه والتمثيل وذلك لأن التنويع كما نوع ﷺ يجعل القائس والناظر يعدي هذا الذي ذكر إلى أنواعٍ تماثلها كثيرة، ولهذا العلماء اختلفوا في شعب الإيمان في عدها، عدها جماعة وصنفوا فيها مصنفات في شعب الإيمان، عدوها على اجتهاد منهم، وهذا الاجتهاد يختلف فيه العلماء، وسبب ذلك اجتهادهم في قياس ما لم يذكر على ما ذكر، فيجعلون بعضاً منها قولية، ويجعلون بعضاً منها عملية، ويجعلون بعضاً منها لعبادات القلب، المقصود أن هذا اجتهاد من العلماء، لكن هذا التمثيل يدل على ما ذكرت لك من استيعابه للأقوال وأعمال الجوارح وأعمال القلوب.

إذاً فيدخل في هذه الشُّعب شعب الإسلام، إقام الصلاة وإيتاء الزكاة صوم رمضان الحج الجهاد الغسل الطهارة، ونحو ذلك، ويدخل فيها الأعمال الاجتماعية التي أمر الله بها، صلة الأرحام، بر الوالدين إلى آخرها، يدخل فيها أعمال القلوب من الخشية والإنابة والحياء والمحبة والرجاء والخوف والرغب والرهب ... إلى آخر هذه الأمثلة. [**صالح آل الشيخ**].

والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دل على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١-أما دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1].

٢-وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لأن الشيء لا يخلق نفسه، لأن قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقـًا؟ ولا يمكن أن توجد صدفة، لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨).

الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعـًا باتـًا أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظمـًا حال بقائه وتطوره؟! وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة تعين أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور، حيث قال: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥]، يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى.

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك، فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، وملئ بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بدون موجد، لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفها من القول، فهل يصح بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه، وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجد نفسه، أو وجد صدفة بدون موجد؟!

٣-وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كلها تنطق بذلك، وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤-وأما أدلة الحس على وجود الله فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابيًا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال: يا رسول الله هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يديه ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته. وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره. فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال، فادع الله لنا، فرفع يديه وقال: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا»، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت[1].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أن آيات الأنبياء التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى تأييدا لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك: آية موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق أثنى عشر طريقًا يابسًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣].

ومثال ثان: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فأنفلق فلقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً

(١) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٧).

يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر: ١-٢]. فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

الثاني: الإيمان بربوبيته: أي: بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق والملك، والأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أَمْر إلا له، قال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون حين قال لقومه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، وقال موسى لفرعون فيما حكى الله عنه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝٨٩﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

وأمر الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات وأحكام

المعاملات حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعـًا في العبادات أو حاكمـًا في المعاملات فقد أشرك به ولم يحقق الإيمان.

الثالث: الإيمان بألوهيته: أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له، والإله بمعنى المألوه، أي: المعبود حبـًا وتعظيمـًا، وقال الله تعالى: ﴿وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال تَعَالَى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]. وكل ما اتخذ إلها مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢]، وتسميتها آلهة لا يعطيها حق الألوهية قال الله تعالى في اللات والعزى ومناة: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ﴾ [النجم: ٢٣]، وقال عن هود أنه قال لقومه: ﴿أَتُجَـٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ﴾ [الأعراف: ٧١]، وقال عن يوسف أنه قال لصاحبي السجن: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٣٩ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]، ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي أتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلق، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياة ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

وقال: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة، فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

الثاني: أن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]. وقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس: ٣١-٣٢].

الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته: أي: ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: المعطلة الذين أنكروا الأسماء، والصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها يستلزم التشبيه، أي تشبيه الله تعالى بخلقه، وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعالى أثبت لنفسه الأسماء والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضاً.

الثاني: أنه لا يلزم من أتفاق الشيئين في أسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفق فيه من أسماء، أو صفات، فالتباين بين الخالق والمخلوق أبين وأعظم.

الطائفة الثانية: المشبهة الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص، لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذا الزعم باطل لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر باطل يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمراً باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطب العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكنه الذي عليه ذلك المعنى فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع، فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى وهو إدراك الأصوات، لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة، لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات، فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق، أبين وأعظم.

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوفًا، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه. [**محمد بن عثيمين**].

والملائكة جمع مَلَك، وهو المرسل لأن أصلها مألك، من ألك يعني أرسل رسالةً خاصة، ألك يألك ألوكةً. والمرسل مألك أو ملأك، وأصلها مألك، لأنها من ألك خففت الهمزة كما تخفف كثيراً، فصارت مَلَك وجمعها ملائكة. لهذا ظهر في الجمع الهمز. لأن أصله في المفرد موجود، الملك جمعه ملائكة. ظهر الهمز، ومفرد الملائكة ملأك ...ألخ.

يعني المرسلون، الموكلون بما وكلهم الله جل وعلا ملائكة، خلق من خلقه جل وعلا جعلهم موكلين بتصريف هذا العالم، يأمرهم فينفذون عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يأمرون، فمن أيقن أن هذا الجنس من خلق الله موجود وآمن بذلك، وأن منهم من ينزل بالوحي إلى الرسل يبلغهم رسالات الله، فقد حقق هذا الركن من أركان الإيمان، ثم بعد ذلك يكون الإيمان التفصيلي. [**صالح آل الشيخ**].

والملائكة: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة المعراج أن النبي ﷺ قال: «ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ. فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ! مَا هَذَا؟ قَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ. يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ. إِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا فِيهِ آخِرُ مَا عَلَيْهِمْ»(١).

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه كجبريل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالاً.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبريل فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خلق عليها وله ستمائة جناح قد سد الأفق[1]. وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل لجبريل حين أرسله تعالى إلى مريم ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه جاءه بصفة لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان والإحسان، والساعة، وأماراتها، فأجابه النبي ﷺ فانطلق. ثم قال النبي ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»[2]. وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا في صورة رجال.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى، كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهاراً بدون ملل ولا فتور. وقد يكون لبعضهم أعمال خاصة:

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى يرسله به إلى الأنبياء والرسل.

ومثل: ميكائيل الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

ومثل: إسرافيل الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

ومثل: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومثل: مالك خازن النار.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (٨).

ومثل: الملائكة الموكلين بالأجنة في الأرحام إذا تم للإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكـًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.

ومثل: الملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم وكتابتها لكل شخص، ملكان: أحدهما عن اليمين، والثاني عن الشمال.

ومثل: الملائكة الموكلين بالسؤال، إذا وضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

والإيمان بالملائكة يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامـًا، وقالوا إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [فاطر: ١].

وقال النبي ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلَائِكَةٌ، يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَالْأَوَّلَ، فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ، وجاؤوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ»(١).

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

والكتب: جمع كتاب، بمعنى: مكتوب.

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة. [**محمد بن عثيمين**].

والإيمان بكتب الله المنزلة: هو الاعتقاد - الجازم والتصديق التام - بما يلي:

١ - أن لله تعالى كتباً أنزلها على رسله هداية لخلقه متضمنة قواعد شريعته ومهمات أحكامه.

٢ - وتفصيلاً بما سمى الله تعالى منها كصحف إبراهيم، وصحف موسى وهي التوراة، والزبور الذي أنزل على داود، والإنجيل الذي أنزله على عيسى، وختمها سبحانه بالقرآن الذي جعله الله تعالى مصداقاً لما فيها من الحق وحاكماً مهيمناً عليها ومشتملاً على أحسن ما فيها وناسخاً لما لا تحتاج إليه هذه الأمة من أحكامها مغنياً عنها أبد الدهر.

٣ - وأنه لا يعلم عدد هذه الكتب إلا الله.

٤ - واعتقاد أنها كلها كلام الله حقيقة تكلم بها كما شاء وعلى الوجه الذي أراد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١١)، ومسلم (٨٥٠).

٥ – وأنها حق وصدق وأن ما تضمنته حق ونور وهدى لمن أنزلت إليه من الأمم مشتملة على الشرائع التي تعبد الله بها كل أمة فواجب على الأمة التي خوطبت بها الانقياد لها والحكم بما فيها والحذر من مخالفتها.

٦ – وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخت بعض الشرائع التي في التوراة بالإنجيل.

٧ – وأن القرآن:

أ – نسخ جميع الكتب السماوية.

ب – وأغنى عنها فأنه اشتمل على خير ما فيها وأحسن منها.

ت – أنه كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود.

ث – وأنه كله حق وصدق محفوظ بحفظ الله، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

ويعتقدون أنه كله حق وصدق ونور وهدى وموعظة وذكرى وشفاءً وضياءً، فيجب العمل به وتصديقه، وامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والوقوف عند حدوده، والعمل بمحكمه، والإيمان والتسليم لمتشابهه، والاعتبار بقصصه ومواعظه، والذب عنه، والنصح له ظاهراً وباطناً، وتلاوته آناء الله وآناء النهار تقرباً به إلى الله تعالى به والتماساً لبركته وهداه، وأنه لا يجوز ابتغاء الهدى من غيره لا الكتب المنزلة السابقة ولا التنظيمات والتشريعات المخترعة المخالفة له. [**عبد الله القصير**].

والإيمان بالكتب يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده حيث أنزل لكل قوم كتاباً يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم. كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. **[محمد بن عثيمين]**.

والإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام: هو الإيمان الجازم والتصديق التام بأن الله تعالى قد بعث أنبياءً ورسلاً من الناس، أرسلهم الله تعالى لدعوة الناس إلى عبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك به الذي هو عبادة الطاغوت، بعثهم الله تعالى مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وأمرهم الله بالبلاغ وكلفهم بالبيان والنصيحة وجعلهم شهداء على الأمم، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، رحمة من الله تعالى بعباده وإحساناً إليهم.

وأول الأنبياء والرسل آدم عليه السلام؛ فإنه صاحب شريعة بعثه الله إلى ذريته فهو أول نبي مرسل بطريقة خاصة بأهله وذريته، وأول الرسل بعد ظهور الشرك نوح عليه السلام، وآخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم محمد ﷺ وبينهم من الأنبياء والرسل من لا يحصيهم إلا الله تعالى.

ذكر سبحانه منهم في القرآن خمسة وعشرين نبياً ورسولاً منهم إبراهيم وموسى وعيسى ونوح ونبينا محمد ﷺ، وهم أولو العزم من الرسل، مذكورون في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧].

والإيمان بالرسل يتحقق بأمور:

١ـ الإيمان بهم تفصيلاً بمن سمى الله منهم وقص من أخبارهم، وإجمالاً فيمن لم يسم ولم يقص عنه شيئًا.

٢ـ اعتقاد صدقهم وتصديقهم وأنهم بلغو جميع ما أرسلوا به إلى أممهم على الوجه الذي أمرهم الله به وأنهم بينوه بيانًا واضحًا لا يسع أحد ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل تركه ولا مخالفته.

٣ـ وأن الله تعالى أيدهم بالآيات البينات والمعجزات الواضحات الدالة على صدقهم حتى قامت بهم الحجة على الأمم ولم يكن لها عذر في تكذيبهم والإعراض عنهم.

٤ـ اعتقاد أنهم خير الأمم علمًا وعملاً، وأبرها قلوبًا وأزكاها نفوسًا وأكرمها أخلاقًا وأشرفها أنسابًا وأعراقًا، وأن الله تعالى اختارهم لرسالته على علم.

٥ـ خصهم الله بفضائل وفضل بعضهم على بعض وبرأهم من كل خلق رذيل.

٦ـ معصومون من الكذب والخيانة والكتمان، ومعصومون من الخطأ فيما يبلغونه من أمور الدين مطلقًا، وما يرشدون إليه من أمر الدنيا جازمين، ومن كبائر الذنوب وأما صغائرها فقد تقع منهم لكن لا يقرون عليها بل ينبهون بشأنها ويوفقون لتوبة منها.

٧ـ محبتهم واحترامهم وتعظيمهم، وتعزيرهم وتوقيرهم، ولا يغلون فيهم بل يعتقدون أنهم سادات عباد الله تعالى أكرمهم الله بالرسالة ووصفهم بالعبودية في أعلى مقاماتهم وليس لهم من خصائص الربوبية والإلهية شيء.

٨ـ أن دعوتهم من أولهم إلى أخرهم دعوة واحدة فكلهم دعوا إلى الإسلام وهو عبادة الله تعالى والذل له وترك مخالفته والشرك به كما اتفقوا على أصول الشرائع وكليات الأحكام وأمهات الأخلاق.

٩ـ وهم من الإنس رجال، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، فنؤمن بأنهم المبلغون عن الله المبينون للكتب المنزلة. وأولهم آدم، ... [وآخرهم] محمد، وبينهم ما شاء من الرسل، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٧٥].

الإيمان المجمل بالرسل: الإيمان ببشريتهم وأنهم مخلوقون ليس لهم من خصائص الربوبية والإلهية، والتصديق الجازم ببعثهم إلى الأمم. وأنهم كلهم هداة مهتدون على الحق المبين. وأنهم جاءوا بالحق من عند ربهم. وباتفاقهم على أصل الدين واختلافهم في الشرائع. وبأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به تبليغاً قامت به الحجة على الأمم. وأنهم منصورون مؤيدون من الله تعالى بالوحي وبالآيات وأن العاقبة لهم وأتباعهم. ويجب انعقاد تفاضلهم.

وأن الله تعالى ختمهم بسيدهم وإمامهم محمد ﷺ فبعثته برسالة عامة للجن والإنس وخالدة لا تنسخ ولا تبدل فلا نبي بعده فمن ادعى النبوة فقد كفر ومن كذب رسولاً فقد

كذب جميع المرسلين وكفر برب العالمين إلى أخر الدهر، وكان من قبله يبعثون إلى قومه خاصة وبعث ﷺ إلى الجن والإنس كافة.

واعتقاد أن الله تعالى كما فضلهم على عامة الناس فقد فضل بعضهم على بعض فاتخذ الله إبراهيم خليلاً وكلم موسى تكليمـاً وخط له التوراة بيده وأتى عيسى بن مريم البينات وأيده بروح القدس، ورفع إدريس مكانـاً عليا، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وكذلك اتخذ الله محمداً خليلاً وهو أكمل من إبراهيم في الخلة، وعرج به إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج فأدناه الله تعالى إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام بالمقادير، وكلمه الله كفاحـًا، وخصه بفضائل لا يلحقه فيها أحد إذ لم تعطى لأحد قبله. [**عبد الله القصير**].

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء. وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، حيث يستقر أهل الجنة في منازهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غير منتعلين، عراة غير مستترين، غُر غير مختتنين، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

والبعث: حق ثابت دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين. قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾ [المؤمنون: ١٥-١٦].

وقال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»(١).

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة رسله قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥].

الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسب العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دل على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨](٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤١).

وصح عن النبي ﷺ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(١).

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرياتهم، ونسائهم، وأموالهم. فلو لم يكن حساب، ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾ [الأعراف: ٦-٧].

الثالث: الإيمان بالجنة والنار، وأنهما المآل الأبدي للخلق، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله متبعين لرسوله. «فِيهَا مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»(٢). قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة: ٧-٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١١٠٨٥)، وأحمد (١٠٥٧٧).

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال مالا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ٦٥ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٦].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

أ ـ فتنة القبر: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد ﷺ. ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه، هاه، لا أدري. ويقول المنافق أو المرتاب لا أدري سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته.

ب ـ عذاب القبر ونعيمه: فيكون العذاب للظالمين من المنافقين والكافرين قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا؛ فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ»، «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ». قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عذاب القَبْرِ». قالوا. قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ». قال: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال(١).

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٨٧ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٨٨ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٩].

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: «فَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ» في حديث طويل(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (١٨٥٥٧).

وللإيمان باليوم الآخر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة والحرص عليها رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة عند فعل المعصية والرضى بها خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن، وهذا الزعم باطل دل على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧]، وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة خمسة أمثلة على ذلك منها:

المثال الأول: قوم موسى أماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

المثال الثاني في قصة القتيل الذي أختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾ [البقرة: ٧٢-٧٣].

فهذه أمثلة حسية واقعية تدل على إمكانية إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى ابن مريم من إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال آمرا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الموتى. قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٩-١١].

وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق. وهذا الزعم باطل بالشرع، والحس، والعقل:

أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه.

وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما»[1] ... وذكر الحديث.

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت ولهذا سماه الله تعالى وفاة قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ فَيُمۡسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيۡهَا ٱلۡمَوۡتَ وَيُرۡسِلُ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ﴾ [الزمر: ٤٢].

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للمواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً ومع ذلك فالنائم في حجرته على فراشه بعيداً عما رأى، فإن كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا، أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، فجوابه من وجوه منها:

الأولى: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات، وقد قيل:

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، ولو كانت تدرك بالحس لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوي المؤمنون بالغيب، والجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش، أو في مكان واسع بهيج، وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه. ولقد كان النبي ﷺ يوحى إليه وهو بين أصحابه فيسمع الوحي، ولا يسمعه الصحابة.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسماوات السبع والأرض ومن فيهن، وكل شيء يسبح بحمد الله تسبيحاً حقيقياً يسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحياناً. ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وهكذا الشياطين، والجن، يسعون في الأرض ذهاباً وإياباً، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته وأنصتوا وولوا إلى قومهم منذرين. ومع هذا فهم محجوبون عنا وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود، فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه. [**محمد بن عثيمين**].

والقدر لغةً: هو الإحاطة بمقادير الأمور.

وشرعـاً: هو سبق علم الله تعالى بالأشياء قبل كونها على ما هي عليه، ثم كتابته تعالى لذلك ومشيئته لما كان أن يكون، ولما لا يكون ألا يكون، وخلقه لكل مخلوق.

وحقيقة الإيمان بالقدر: هو الاعتقاد الجازم واليقين التام بأنه ما من شيء إلا وقد علمه الله وكتبه في الكتاب السابق وشاء وجود الموجودات وخلقها على وفق ما سبق به علمه وجرى به قلمه واقتضته حكمته من ترتيب المسببات على أسبابها، والممتنعات لوجود موانعها فيتحقق الإيمان بالقدر بالإيمان بدرجاته الأربع، وهي:

١ - الإيمان بعلم الله السابق بما كان وما يكون وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، ويدخل في ذلك أفعاله تعالى وأفعال عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥].

٢ - كتابة الله تعالى لكل ذلك العلم في اللوح المحفوظ، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝﴾ [القمر: ٥٢-٥٣]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال ﷺ مخبراً عن ربه تبارك وتعالى: «وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ...»(١) الحديث.

(١) أخرجه البخاري (٢١٦).

٣ - مشيئة الله تعالى النافذة وإرادته الشاملة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

٤ - خلقه تعالى لكل شيء فلا خالق غيره كما لا رب سواه، والدليل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

فلن يؤمن أحد بالقدر ولن يجد حلاوة الإيمان حتى يؤمن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن كل حادثٍ وكل ما فعله الناس فهو مقضي قد فرغ منه، لقوله ﷺ: «جَفَّتِ الْأَقْلَامُ، وَطُوِيَتِ الصُّحُفُ»(١).

وقد دل على خلق الله تعالى لأفعال العباد أدلة، منها:

١ - قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، فلا يخرج شيء عن خلقه سبحانه.

٢ - قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، فأخبر تعالى عن خلقه لأعمال عباده خيرها وشرها. ووجه ذلك أن أعمال العباد ناتجة عن إرادات منهم وقدر وقعت بها تلك الأعمال، والله تعالى خالق تلك الإرادات والقدر وخالق السبب وخالق للمسبب، ولا ينافي ذلك جزاءهم عليها فإنهم إنما يجزون على استعمالهم ما خلق الله فيهم من الإرادات والقدر فإن استعملوها في الطاعة كانوا أهلاً للثواب، وإن

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٧٦٣).

استعملوها في المعصية كانوا مستحقين للعقاب، فأعمالهم من الله خلقاً وإيجاداً، ومنهم تسبباً وكسباً، وثوابهم عليها فضل من الله، وعقابهم عدل منه سبحانه في مستحق العقاب ولا يظلم ربك أحداً.

وأفعال العباد كلها مقدورة، أي: معلومة لله تعالى بعلمه السابق ومكتوبة في اللوح المحفوظ ولم تقع منهم إلا بمشيئة الله وخلقه لكن فرق بين المحمود منها والمذموم فلكل فعل حكمه ولكل عملٍ جزائه:

أ- فما وافق الشرع فهو طاعة لله تعالى إما واجبة أو مستحبة والله تعالى يحبها ويرضاها ويحمد فاعلها ويثيبه عليها، وما خالف الشرع فهو معصية محرمة يسخطها الله تعالى ويسخط على فاعلها عمداً واختياراً ويذمه ويعاقبه.

فالقدر كله خير باعتبار أنه من الله تعالى فهو حق ولحكمة وهو دائر بين الفضل والعدل.

وأما الشر في القدر فباعتبار شؤم قصد العبد المخالف للشرع، وما يصيبه من ضرر وعذاب بسببه، فالشر ليس في القدر والقضاء فإنهما فعل الله تعالى وكلاهما حق وحكمة، وإنما الشر في المقدور والمقضي المخالف للشرع فالجزاء عليه حق وعدل فإن عفا الله تعالى عن العاصي فذلك فضل، وإن عاقبه فهو عدلٌ، فإن قدر الله تعالى حقٌّ واقعٌ موقعه بحيث لا يصلح غيره بدلاً عنه، والله تعالى هو العليم الحكيم الذي يضع الأمور مواضعها اللائقة بها ولا يظلم ربك أحداً، ولا يتصرف تعالى سفهاً، وكل من اتهم الله تعالى في قدره وقضائه فقد طعن في علم الله تعالى وحكمته ورحمته، وطعن في ربوبيته وتدبيره لملكه، ومن أدلة ذلك قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى

كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

فالله تعالى قدر المقادير فجعل لكل شيءٍ ما يقابله وذلك هو ترتيب المسببات على أسبابها وإيجاد المتضادات لغايتها وحكمها، قال ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً، عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ»[1]، وقال ﷺ: «إِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ»[2] الحديث.

فالداء والدواء والدعاء والبلاء ونحو هذه الأمور كلها مما علمه الله تعالى وكتبه وشاءه وخلقه، وغلبة الواحد من هذه الأمور للآخر ودفعه له هو من تدبير الله تعالى لملكه وخلقه الواقع بعلمه وحكمته ومشيئته وقدرته والدائر بين رحمته وفضله وعدله.

فالواجب الإيمان بالقدر والعمل بالشرع قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

---

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٦٨٦٣)، وابن ماجه (٣٤٣٨)، وأحمد (٣٩٢٢) واللفظ له.

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٦٦٩)، والطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٦٦).

وقال ﷺ: «اعْمَلُوا؛ فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[1]، وقال ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[2].

فلا يجوز إنكار القدر، ولا معارضته بالشرع، ولا التواكل وترك العمل، ولا الاحتجاج بالقدر على المعاصي والكسل، ولا القول بالجبر فإن هذه كلها من ضلالات اليهود والنصارى والمشركين ومن بدع أهل الأهواء وزندقة الملحدين. [**عبد الله القصير**].

الرد على من احتج بالقدر في ترك الواجب أو فعل المعصية من وجوه سبعة:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ولو كان لهم حجة بالقدر ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]، ولو كان القدر حجة للمخالفين لم تنتف بإرسال الرسل، لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فقال

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ الآيات. وفي لفظ لمسلم: «فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». فنهى النبي ﷺ عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، ولم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلفاً بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه فلا إثم عليه لأنه معذور.

الخامس: ان قدر الله تعالى سر مكتوم لا يعلم به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله فتكون إرادته الفعل غير مبنية على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنفى حجته إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر، فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحداً ؟!

السابع: أن المحتج بالقدر على ما تركه من الواجبات أو فعله من المعاصي، لو أعتدى عليه شخص فأخذ ماله أو أنتهك حرمته ثم أحتج بالقدر، وقال: لا تلمني فإن اعتدائي كان بقدر الله، لم يقبل حجته. فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟ ويذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه رفع إليه سارق استحق القطع، فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله. فقال: ونحن إنما نقطع بقدر الله.

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب بحيث لا يعتمد على السبب نفسه لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: ألا يعجب المرء بنفسه عند حصول مراده، لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قدره من أسباب الخير، والنجاح، وأعجابه بنفسه ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجرى عليه من أقدار الله تعالى فلا يقلق بفوات محبوب، أو حصول مكروه، لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السماوات والأرض، وهو كائن لا محالة وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٢-٢٣]، ويقول النبي ﷺ: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَإِنَّ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، وَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

وقد ضل في القدر طائفتان:

إحداهما: الجبرية الذين قالوا إن العبد مجبر على عمله وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: القدرية الذين قالوا إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى وقدرته فيه آثر.

والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

أما الشرع: فإن الله تعال أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. وقال: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩].

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته كالأكل، والشرب، والبيع والشراء، وبين ما يقع عليه بغير إرادته كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار ولا مريد لما وقع عليه.

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئة، وقد بين الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

وأما العقل: فإن الكون كله مملوك لله تعالى، والإنسان من هذا الكون فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته. [**محمد بن عثيمين**].

قوله: (والدليل على هذه الأركان) أي أركان الإيمان (الستة) وأنه لا يستقيم إيمان العبد إلا بها جميعـًا وأنه متى انتفى واحد منها لم يكن المرء مؤمنـًا (قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ

ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وذلك حين أمر الله المؤمنين بالتوجه أولاً إلى بيت المقدس ثم حولهم إلى الكعبة، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين فأنزل الله بيان حكمته في ذلك، وهو أن المراد إنما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه، واتباع ما شرع، فهذا هو البر والتقوى والإيمان الكامل، وليس في لزوم التوجه إلى أي جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه وذلك لما حولوا إلى الكعبة، ولهذا قال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ﴾ أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد ﴿أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ﴾ امتثال أوامر الله واتباع ما شرع وأعظمه ما ذكر في هذه الآية، أو هذه أنواع البر كلها وبدأ بالإيمان بقوله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ أي: ولكن البر الإيمان بالله، أو ولكن البر من آمن بالله، أو ذا البر بر من آمن بالله أي بتفرده جل وعلا بالربوبية والألوهية والأسماء الحسنى والصفات العليا إذ هو أصل الأصول. ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول ﷺ مما يكون بعد الموت من بعث الخلائق وإعادة الأجساد كما كانت ورد الأرواح إليها وجمع الأولين والآخرين ليوفى كل عامل ما عمل، ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ﴾ الذين وصفهم الله لنا في كتابه ووصفهم رسوله، ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ﴾ وهو اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب، ونسخ جميع ما سواه من الكتب قبله، ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ عمومـًا، وخصوصـًا خاتمهم محمد ﷺ.

وقوله: (والدليل) على أن (القدر) ركن من أركان الإيمان لا يستقيم إيمان عبد إلا به (قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ﴾) وهذا شامل للمخلوقات والعوالم العلوية والسفلية

﴿خَلَقْنَـٰهُ﴾ نحن لا خالق لها سوانا ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: أن ما خلقناه مقدر مكتوب في اللوح المحفوظ بما سبق به علمنا، وجرى به قلمنا، بوقتها ومقدارها وجميع ما اشتملت عليه من الأوصاف.

وبعض الناس لا يرضى بما قسمه الله له من خير ويقدح بما كتب عليه من شر تسخطاً على ربه قال ابن القيم رحمه الله: أكثر الخلق بل كلهم إلا من شاء الله، يظنون بالله غير الحق ظن السوء، فإن غالب بني آدم يعتقد أنه مبخوس الحق، ناقص الحظ وأنه يستحق فوق ما أعطاه الله ولسان حاله يقول: ظلمني ربي ومنعني ما أستحقه، ونفسه تشهد عليه بذلك وهو بلسانه ينكره ولا يتجاسر على التصريح به، ومن فتش نفسه وتغلغل في معرفة دفائنها وطواياها، رأى ذلك فيها كامناً كُمُون النَّار في الزِّناد، فاقدح زناد من شئت ينبئك شراره عما في زناده، ولو فتشت من فتشته لرأيت عنده تعتباً على القدر وملامة له واقتراحاً عليه خلاف ما جرى به، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا، فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم من ذلك ؟!"[1]. [**عبد المحسن القاسم**].

(١) زاد المعاد (٣/ ٢٣٥).

الْمَرْتَبَةُ الثَّالِثَةُ: الإِحْسَانُ

رُكْنٌ وَاحِدٌ، وهو: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِن لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»(١). وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٧-٢٢٠]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ [يونس: ٦١].

الإحسان: نهاية الإخلاص.

والإخلاص: هو إيقاع العمل على أكمل وجوهه في الظاهر والباطن. بحيث يكون قائما به في الباطن والظاهر على أكمل الوجوه وهذا هو الإحسان ولذا يفسر بالإخلاص، واشتقاقه من الحسن نهاية الإخلاص الناشئ عن حقيقة الاستحضار، ومن حيث الظاهر كمال المتابعة، وتفسيره بالإخلاص تفسير له بنتيجته وثمرته فإن من اتصف بذلك فإنه يكمل العلم في الظاهر والباطن، فالإحسان أعلى المراتب وأعمها من جهة نفسها وأخصها من جهة أصحابها كما أن الإيمان أعم من جهة نفسه وأخص من جهة أصحابه ولهذا يقال: كل محسن مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً محسناً، وكلما أطلق الإحسان فإنه يدخل فيه الإيمان والإسلام فإن الإسلام والإيمان والإحسان دوائر

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

أوسعها دائرة الإسلام ثم يليها في السعة الإيمان ثم أضيقها الإحسان كدوائر كل واحدة منها محيطة بالأخرى ومعلوم أن من كان في دائرة الإحسان فهو داخل في الإسلام و الإيمان وإذا خرج عن الأولى فهو داخل في الثانية وهي دائرة الإيمان وإذا خرج عنها فهو داخل في الثالثة وهي دائرة الإسلام ومن خرج عن هذه الدوائر الثالث فهو خارج إلى غضب الله و عقابه وداخل في دوائر الشيطان -والعياذ بالله-، و ليس المراد أن من لم يكن في الإحسان و الإيمان أن يكون كافراً بل يكون مسلما ومعه من الإيمان ما يصحح إسلامه لكن لا يكون مؤمناً الإيمان الكامل الذي يستحق أن يثنى عليه به فإنه لو كان مؤمنا الإيمان الكامل لمنعه من المعاصي والمحرمات، قال ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُو مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١)... الحديث، وقال ﷺ: «مَا هُوَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لَمْ يَأْمَنْ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٢).

فالنصوص لم تنفي عنهم الإسلام، بل أثبتت لهم أحكام الإسلام من عصمة الدم وإذا ماتوا غسلوا وكفنوا وصلي عليهم، فأهل الإحسان هم خواص أهل الإيمان كما أن أهل الإيمان هم خواص أهل الإسلام فإن أهل الإحسان كملوا عبادة الله حتى وصلوا إلى حد المراقبة. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

ومقام المراقبة، ركن واحد وهو: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. أن تكون عابداً لله على النحو الذي أمر الله جل وعلا به، وأمر به رسوله ﷺ وحالتك أثناء تلك العبادة التي تكون فيها مخلصاً موافقاً للسنة، حالتك أن تكون كأنك ترى الله جل

---

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٩٣١)، وأبو يعلى (٤٢٥٢).

وعلا، فإن لم تكن تراه، فلتعلم أنه جل وعلا مطلع عليك، عالم يري ويبصر ما تعمل، يعلم ظاهر عملك وخفيه، يعلم خلجات صدرك ويعلم تحركات أركانك وجوارحك ...، وبضعفه تضعف المراقبة لله جل وعلا، إذاً فمقام الإحسان يعظم بتعظيم الله جل وعلا، فالعبد المؤمن أثناء عبادته إذا كان يعبد الله جل وعلا مخلصاً على وفق السنة وحاله أنه كأنه يري الله، عالم بأن الله مطلعٌ عليه يراه، هذه تجعله يحسن عمله، بل يجعل عمله وحاله أثناء العمل أحسن ما يكون، قال تعالي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] وجه الاستدلال: أن الله جل وعلا ذكر هاهنا معيته للذين هم محسنون، وهذه المعية تقتضي في هذا الموضع شيئين، الأول أنه جل وعلا مطلع عليهم عالم بهم محيط بأحوالهم لا يفوته شيء من كلامهم ولا من أحوالهم ولا من تقلباتهم. والثاني أنه جل وعلا معهم ناصراً لهم بتأييده ونصره وتوفيقه وتسديده. فالمعية ها هنا معية خاصة بالمؤمنين المتقون المحسنون، والمحسن اسم لفاعل الإحسان، ففاعل الإحسان اسمه محسن، والإحسان هو الذي نتكلم عليه المرتبة الثالثة. فإذاً وجه الاستدلال من جهتين، أولاً ذكر المعية، ثانياً ذكر المحسنين.

وقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾، وجه الاستدلال من هذه الآية أنه ذكر رؤية الله جل وعلا لنبيه حال عبادة نبيه، وأنه يراه في جميع أحواله حين يقوم وتقلبه في الساجدين من صحابته أثناء صلاته بهم ﷺ، وهذا دليلٌ في الشق الثاني من ركن الإحسان وهو قوله: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾، وشهود الله جل وعلا لما يعمله العباد

من معانيه رؤيته جل وعلا، وهذا ظاهر الاستدلال؛ لأن الإحسان هو: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. [**صالح آل الشيخ**].

حقيقة الإحسان أن تعبد الله تعالى في مقامين:

أ - مقام المشاهدة: وهي أكمل المرتبتين وأفضل المقامين، وهي تقتضي كمال الإخلاص مع كمال الإحسان، فيؤديها - أي: العبادة - كأنه يشاهد الله، لأن الله إنما حال بين المؤمنين وبين رؤيته في هذه الحياة الدنيا، ليتميز من يؤمن بالغيب من غيره، ولأن النظر إلى وجه الله الكريم هو أعلى وأشرف نعيم الآخرة وهو جزاء تصديق الله تعالى والانقياد له، والتصديق بخبره ووعده.

ب - مقام المراقبة: أي: أن تستحضر أن الله يراك بأن تعتقد ذلك، وذلك يبعث على الخوف والوجل من الله عز وجل، وغاية الأدب ومرتبة المراقبة، أقل شأنـًا من مرتبة المشاهدة.

فالحاصل: أن النبي ﷺ فسر الإحسان في قوله: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» بمقامين هما: (مقام المشاهدة - مقام المراقبة).

ومن أسباب التحلي بهاتين المرتبتين: صحة العلم، وصحة النية، وحسن العمل، والاعتراف بالتقصير في حق الله تعالى والتوبة منه والتخلي عن ظلم الخلق، والإحسان إلى مستحقه منهم.

ويتحقق الإحسان في عبادة الله تعالى بأمرين:

الأول: بالإتيان بالواجبات وتكميلها بجنسها من النوافل المستحبات.

الثاني: باجتناب المنهيات واتقاء الشبهات.

ففي الإحسان في عبادة الله تعالى الصدق ظاهراً وباطناً والجمع بين حسن السريرة وجمال السيرة.

أما الإحسان إلى الخلق فيتحقق بأمرين:

أحدهما: كف الأذى عنهم.

والثاني: تحمل أذى المؤذين منهم والإحسان إليه ما كان في ذلك مصلحة راجحة. **[عبد الله القصير]**.

وعبادة الله سبحانه وتعالى هي كما قال ابن القيم رحمه الله:

وعبادة الرحمن غاية في حبه   مع ذل عابده هما ركنان

فالعبادة مبنية على هذين الأمرين: غاية الحب، وغاية الذل، ففي الحب الطلب، وفي الذل الخوف والهرب، فهذا هو الإحسان في عبادة الله عز وجل. وإذا كان الإنسان يعبد الله على هذا الوجه، فإنه سوف يكون مخلصاً لله عز وجل لا يريد بعبادته رياء ولا سمعة، ولا مدحاً عند الناس، وسواء اطلع الناس عليه أم لم يطلعوا، الكل عنده سواء، وهو محسن العبادة على كل حال، بل إن من تمام الإخلاص أن يحرص الإنسان على ألا يراه الناس في عبادته، وأن تكون عبادته مع ربه سراً، إلا إذا كان في إعلان ذلك مصلحة للمسلمين والإسلام، مثل أن يكون رجلاً متبوعاً يقتدي به، وأحب أن يبين عبادته للناس ليأخذوا من ذلك نبراساً يسيرون عليه أو كان هو يحب أن يظهر العبادة ليقتدي بها زملاؤه وقرناؤه وأصحابه ففي هذا خير، وهذه المصلحة التي يلتفت إليها قد تكون أفضل وأعلى من مصلحة الإخفاء، لهذا يثني الله عز وجل على الذين ينفقون أموالهم سرا وعلانية، فإذا

كان السر أصلح وأنفع للقلب وأخشع وأشد إنابة إلى الله أسروا، وإذا كان في الإعلان مصلحة للإسلام بظهور شرائعه، وللمسلمين يقتدون بهذا الفاعل وهذا العامل أعلنوه.

والمؤمن ينظر ما هو الأصلح، كلما كان أصلح وأنفع في العبادة فهو أكمل وأفضل.

[محمد بن عثيمين].

وَالدَّلِيلُ مِنَ السُّنَّةِ: حَدِيثُ جِبْرِيلَ الْمَشْهُورُ: عَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ، شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَجَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلامِ فَقَالَ: «أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ. قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ. قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «مَا الْمَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا. قَالَ: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ». قَالَ: فَمَضَى، فَلَبِثْنَا مَلِيًّا، فَقَالَ: «يَا عُمَرُ أَتَدْرُونَ مَنِ السَّائِلِ؟». قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُم»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠). هذه الرواية لحديث جبريل المشهور خرجها الإمام مسلم رحمه الله تعالى عن ابن عمر عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهي مما انفرد بها مسلم عن البخاري، والرواية المتفق عليها هي

دل هذا الحديث على مسائل عظيمة:

الأولى: أن الدين ينقسم إلى ثلاثة مراتب: (الإسلام والإيمان والإحسان)، كل مرتبة أعلى من التي قبلها، وأن كل مرتبة لها أركان: أركان الإسلام، وأركان الإيمان، والإحسان ركن واحد.

الثانية: فيه التعليم بطريق السؤال والجواب، وهذه طريقة تعليمية ناجحة؛ لأنها أدعى للانتباه وتلقي العلم، كونه يسأل ويتهيأ ذهنه يتطلب الجواب، ثم يلقي عليه الجواب وهو يتطلع إليه، يكون هذا أثبت.

الثالثة: في الحديث دليل على أن من سأل عن علم وهو لا يدري أن يقول: الله ورسوله أعلم، يكل العلم إلى عالمه، فلا يتكلم بالجواب وهو لا يعرفه ويتخرص، هذا لا يجوز، والرسول ﷺ لما سئل عن الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولما قال للصحابة: أتدرون من السائل؟ وهم لا يعرفونه قالوا: الله ورسوله أعلم.

الرواية من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجل، فقال: ما الإيمان؟ فقال: «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث»؛ قال: وما الإسلام؟ «قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»؛ قال: وما الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ...». الحديث. لكن أهل العلم لا يذكرون كثيراً هذه الرواية المتفق عليها؛ لأنه ليس فيها ذكر الإيمان بالقدر؛ بل يذكرون رواية مسلم لذكر القدر فيها حيث اجتمعت فيها أركان الإيمان الستة.

فدل ذلك على أن مسائل الشرع ومسائل الدين لا يجوز التخرص فيها؛ لأن هذا من التكلف، ولكن من كان عنده علم فإنه يجيب، ومن ليس عنده علم يقول: الله أعلم، ومن قال: لا أدري فقد أجاب.

وقد سئل الإمام مالك رحمه الله عن أربعين مسألة فأجاب عن ست منها، وقال في الباقية: لا أدري، فقال له السائل: أنا جئت من كذا وكذا، وسافرت وأتعبت راحلتي، وتقول: لا أدري، قال: اركب راحلتك، واذهب إلى البلد الذي جئت منه، وقل: سألت مالكا فقال: لا أدري، هذا ليس عيبا أن الإنسان إذا كان لا يعرف الجواب في الأمور الشرعية أنه يقول: لا أدري ولو كان عالما، الرسول ﷺ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

فالرسول ﷺ كان إذا سئل ولم يكن عنده جواب ينتظر حتى ينزل عليه الوحي من الله، وكذلك غيره من باب أولى ينتظر حتى يسأل غيره، أو يبحث عن المسألة في كتب أهل العلم ليتحصل على جواب، أما أن يستعجل فهذا فيه خطورة عظيمة، وفيه سوء أدب مع الله عز وجل؛ لأن الذي يجيب عن شرع الله، يقول: الله أحل كذا أو حرم كذا أو شرع كذا، فالأمر فيه خطورة جدا.

المسألة الرابعة: في الحديث دليل على آداب المتعلم، جبريل وهو سيد الملائكة يجلس بين يدي الرسول ﷺ وهو يسند ركبتيه إلى ركبتي الرسول ﷺ، ويضع يديه على فخذيه، يسأل بأدب، هذا من أجل أن يعلم الناس كيف يتأدبون مع العلماء.

المسألة الخامسة: هي بيان بعض علامات الساعة.

هذا بعض ما يدل عليه الحديث. [**صالح الفوزان**].

الأَصْلُ الثَّالِثُ

مَعْرِفَةُ نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ ﷺ

وَهُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، وَهَاشِمٌ مِنْ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ مِنَ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلاةِ وَالسَّلامِ، وَلَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَثَلاثٌ وَعِشْرُونَ فِي النبوة. نُبِّئَ بِـ(اقْرَأْ)، وَأُرْسِلَ بِـ (الْمُدَّثِّرْ)، وَبَلَدُهُ مَكَّةُ.

هذا من الشيخ رحمه الله بيان للأصل الثالث: وهو معرفة نبينا محمد ﷺ، لأنه النبي المرسل والإمام المكمل والشافع الأعظم، والذي لا يقبل الله دينـًا - بعد بعثته - إلا دينه، ولا يقبل إتباعا إلا إتباعه. فإن معرفته ﷺ حقـًا تقتضي من العاقل المنصف الشهادة له بالنبوة والرسالة، وإتباعه على ما جاء به، والبراءة ممن جحد نبوته ورسالته ودعوته أو تنقصه أو غلى فيه وعبده مع الله تعالى. [**عبد الله القصير**].

ولما كان النبي ﷺ واسطة بين الله وبين خلقه في تبليغ دينه ورسالته وجب معرفته ﷺ، وإلا كيف تتبع شخصا لا تعرفه؟ فلا بد أن تعرفه من حيث الاسم، ومن حيث البلد الذي ولد ونشأ فيه، والبلد الذي هاجر إليه، وتعرف مدة عمره ﷺ.

فاسمه محمد ﷺ، وله أسماء غير محمد، لكن أشهر أسمائه محمد قد ذكر الله ذلك في القرآن في عدة آيات: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، فذكر الله اسمه محمدا في عدة آيات.

ومن أسمائه أحمد، قد ذكره الله في قوله في بشارة المسيح عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، فهو محمد وأحمد، ومعنى ذلك أنه كثير المحامد ﷺ، وكثير الصفات التي يحمد عليها، ومن أسمائه نبي الرحمة، ونبي الملحمة -يعني الجهاد في سبيل الله-، والعاقب، والحاشر ﷺ الذي يحشر الناس بعد بعثته؛ لأنه آخر الرسل ﷺ، فليس بعده إلا قيام الساعة، فبعد رسالته تقوم الساعة، ويحشر الناس للجزاء والحساب، ومن أراد أن يلم بهذه الأمور فليرجع إلى كتاب: (جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام) للإمام ابن القيم رحمه الله.

وأما نسبه فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.

وهو من قبيلة قريش التي هي أشرف القبائل، وقريش من ذرية إسماعيل ﷺ، والعرب على قسمين في المشهور:

العرب العاربة، وهم القحطانية والعرب المستعربة، وهم العدنانية من ذرية إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم الخليل عليه السلام، سموا بالمستعربة لأنهم تعلموا العربية من العرب العاربة لما جاءت جرهم، ونزلوا في مكة عند هاجر أم إسماعيل وابنها إسماعيل وهو صغير لما وجدوا ماء زمزم نزلوا، واصطلحوا مع هاجر أن ينزلوا عندها، وأن تسمح لهم أن يستقوا من الماء، فإسماعيل عليه السلام كان رضيعا في ذلك الوقت، ثم إنه تربى ونشأ وأخذ العربية عن جرهم وهي من العرب العاربة، وتزوج من جرهم، وجاءه ذرية تعلموا العربية ونشئوا مع العرب، فصاروا عربا مستعربة وهي العدنانية، أما العاربة فهم القحطانية أصلها من اليمن.

وبعض العلماء يقول: العرب العاربة على قسمين: عرب بائدة، وعرب باقية، العرب البائدة هم الذين هلكوا، وهم قوم نوح وعاد وثمود وشعيب، أما العرب الباقية فهم الذين ينقسمون إلى عرب عاربة، وعرب مستعربة وهي العرب الباقية، والنبي من بني هاشم، وهاشم من ذرية إسماعيل ﷺ، واسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعبد المطلب ليس هذا اسمه، اسمه شيبة، ولكن سمي عبد المطلب لأن عمه المطلب بن عبد مناف جاء به من المدينة وهو صغير من أخواله بني النجار، فلما رآه الناس أسود من السفر ظنوا أنه عبد مملوك للمطلب، فقالوا: عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، وعبد مناف له أربعة أولاد: هاشم جد الرسول ﷺ، والمطلب، وعبد شمس، ونوفل.

بنو هاشم يقال لهم: الهاشميون، وبنو المطلب يقال لهم: المطلبيون، وأما عبد شمس فمنهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومنهم بنو أمية، هؤلاء من بني عبد شمس.

ونوفل كذلك له ذرية منهم: جبير بن مطعم وحكيم بن حزام، وإبراهيم ﷺ له إسماعيل وهو الأكبر، وهو جد العرب العدنانية، وإسحاق وهو جد بني إسرائيل، وجميع الأنبياء كلهم من ذرية إسحاق إلا نبينا ﷺ فهو من ذرية إسماعيل خاتم النبيين.

أما مولده فقد ولد ﷺ عام الفيل، وهو العام الذي جاء فيه أبرهة ملك اليمن، انتدبه ملك الحبشة ليهدم الكعبة ومعه فيه فيل عظيم، فلما وصل إلى مكان يقال له: المغمس، ولم يبق إلا أن يدخل مكة ويهدم الكعبة، وتفرق أهل مكة وصعدوا الجبال؛ لأنهم لا طاقة لهم به، فأراد أن يتوجه إلى الكعبة، فانحبس الفيل وأبى أن يقوم من الأرض، حبسه الله، فإذا وجهه إلى غير جهة مكة قام وهرول، وإذا وجهه إلى جهة مكة انحبس ولم يستطع المشي، وبينما هم كذلك رأوا فرقان طير من قبل البحر معها حجارة، كل طائر معه حجران: حجر في منقاره وحجر في رجليه، فرمتهم، فأهلكهم الله عز وجل، فأنزل الله في

ذلك يذكر قريشا سورة الفيل: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل: ١-٥]، أصبحوا مثل التبن الذي أكلته الدواب وراثته.

هذه قصة الفيل، حمى الله بيته الحرام، وأهلك هذا الجبار، وفي هذا العام ولد محمد ﷺ، وظهر مع ولادته آيات، حيث ظهر معه نور أشرقت له قصور الشام، وفي ليلة ولادته ارتجت الأصنام، وارتج إيوان كسرى وسقطت منه شرفات في ليلة ولادة النبي ﷺ، هذه إرهاصات لبعثة النبي ﷺ، والجن والشياطين حصل عندهم ضجة في الليلة العظيمة.

ولد في مكان يقال له: شعب على مقربة من الكعبة، ولد في مكة، لكن لا يوجد تحديد ثابت لموضع الدار.

ولد في مكة ﷺ، واسترضع في بني سعد عند حليمة السعدية، ومات عبد الله أبوه وهو في بطن أمه، ثم ماتت أمه بعد ولادته بقليل، فحضنته أم أيمن الحبشية التي ورثها عن أبيه، وصار في كفالة جده عبد المطلب، ثم مات عبد المطلب وانتقلت كفالته إلى عمه أبي طالب، وعاش ﷺ أربعين سنة قبل النبوة معروفا بالأمانة والصدق والكرم، وتجنب عبادة الأصنام، وتجنب شرب الخمر، ما كان يعمل ما يعمله أهل الجاهلية، بل كان ﷺ يخرج إلى غار حراء ويتعبد فيه الأيام ذات العدد، يعبد الله على ملة إبراهيم على التوحيد، ثم لما بلغ الأربعين من عمره ﷺ نزل عليه الوحي، بأن «جاءه جبريل وهو في غار حراء وقال له: اقرأ، قال: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ» - أي: لا أحسن القراءة -، فضمه ضمة شديدة، ثم أرسله وقال: اقرأ، قال: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، ثم ضمه مرة ثانية، ثم أرسله وقال له: اقرأ، قال:

«مَا أَنَا بِقَارِئٍ»، فقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ [العلق ١ ـ ٢]»(١).

هذه هي نبوته ﷺ، نبأه الله بـ(اقرأ): أي جعله نبيا بذلك، ثم ذهب إلى بيته يرتجف من الخوف؛ لأنه لقي شيئا ما كان يعرفه من قبل، أمرا هائلا، فوجد زوجه خديجة رضي الله عنها فغطته وهدأته، وقالت له: كلا والله لا يخزيك الله، إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتعين على نوائب الدهر، وذهبت به إلى عمها ورقة بن نوفل، وكان قد تحنث وقرأ في الكتب السابقة تعبدا لله عز وجل، فلما أخبره بما رأى قال: هذا هو الناموس الذي كان ينزل على موسى، يعني: جبريل ﷺ.

ثم نزل عليه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢] هذا هو الإرسال وهذا معنى قول الشيخ: نبأه بـ(اقرأ) وأرسله بـ(المدثر).

والفرق بين النبي والرسول أن النبي هو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول هو من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وتوضيح ذلك أن الرسول تنزل عليه شريعة وكتاب فهو نبئ بـ(اقرأ) وأرسل بـ(المدثر)، على رأس الأربعين، وكذلك الأنبياء، والنبي يبعث بشرع من قبله، وكتاب من قبله، ويوحى إليه ببعض المسائل كأنبياء بني إسرائيل من بعد موسى، والمدثر معناه الملتحف لأنه ﷺ أصابه شيء من الفزع، فقال: دثروني دثروني – أي: غطوني – فأنزل الله عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾ أي: عظمه ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤﴾ أي: طهر أعمالك من الشرك، فالأعمال تسمى الثياب، قال الله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٌۚ﴾ [سورة الأعراف: ٢٦]،

(١) أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

سمى التقوى لباسا. ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾: الرجز معناه الأصنام. ﴿فَٱهۡجُرۡ﴾: أي: اتركها وابتعد عنها.

فبعثه الله على رأس الأربعين(١)، وبقي في مكة ثلاث عشرة سنة يدعو الناس إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، وحصلت مداولات بينه وبين المشركين، حصل عليه أذى وعلى من آمن به واتبعه، وحصلت مضايقات من المشركين في خلال ثلاث عشرة سنة، وقبل الهجرة بثلاث سنوات أسري به إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس فصلى بمكة ثلاث سنين، ثم تآمرت قريش على قتله وعلى الفتك به، فأذن الله له بالهجرة إلى المدينة فهاجر إلى المدينة، بعدما التقى بالأنصار في بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية.

هاجر إلى المدينة وأقام بها عشر سنوات، فالمجموع ثلاث وعشرون سنة، بعد النبوة عاش ﷺ ثلاثا وعشرين سنة، ثلاث عشرة في مكة يؤسس دعوة التوحيد، وعشر سنوات

---

(١) بعث الله رسوله محمد ﷺ وعمره أربعون سنة، في كمال عقله وبدنه وسائر قواه، وما بعث الله نبيـًا إلا وعمره أربعون، وهو من معنى قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، لأن أبلغ الأشد في الأربعين، وذلك حتى لا يرمى بتهور الشباب وجنونه، بل في أتم عقله، وقوة بدنه، لذا قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]، أي: اكتمل عقله وقواه وكمله الله تعالى بعلمه وهداه. [**عبد الله القصير**].

في المدينة، ثم توفاه الله على رأس الثالثة والستين من عمره ﷺ، فمدة عمره في الرسالة ثلاثة وعشرون سنة، وهذه البركة التي أنزلها الله عز وجل عليه وهذا العلم الغزير، وهذا الجهاد، وهذا التمكين في هذه المدة الوجيزة ثلاث وعشرين سنة، هذا من آيات الله سبحانه وتعالى، ومن بركات هذا النبي ﷺ، وبركات دعوته، وبركات الوحي الذي أنزل إليه، وقبل هذا كله بإعانة الله عز وجل، وهو الذي أعانه، وهو الذي حماه وأيده ونصره حتى بلغت دعوته المشارق والمغارب(١)، والحمد لله رب العالمين. **[صالح الفوزان]**.

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله:

الإخبار القاطع عن اعتقاد القلب الشاهد المقتضي للعمل أن محمداً بن عبد الله الهاشمي القرشي رسول الله تعالى إلى جميع الثقلين يدعوهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى بما شرع بواسطته من طريق وحيه إليه، وتقتضي هذه الشهادة من الشاهد أموراً عدة:

الأول: تصديقه فيما أخبر فإن رسول لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

---

(١) لقد بارك الله في هذا العمر النبوي - بعد البعثة - الذي مقداره ثلاث وعشرون سنه، فانتشر به العلم وظهر به الحق، وأزهق الباطل، واتضحت به المحجة، وقامت به الحجة وزالت به المعذرة، إذ تحقق فيه - على قصره - تبليغ الدين، وبيان الوحي، وإقامة دولة الحق، وهدم كيان الباطل، وتنفيذ الشرع، فلم تكن فتنة وكان الدين كله لله، وكسرت الأوثان وأعطى اليهود والنصارى والمجوس الجزية عن يد وهم صاغرون، فالحمد لله الذي صدق عبده، وأنجز وعده، ونصر جنده، وهزم الأحزاب وحده، وفي ذلك أبلغ عبرة وأعظم بشارة للدعاة إلى الله تعالى على منهاج النبوة المتحلين بالإخلاص والصبر واليقين بالنصر المبين ولو بعد حين: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]. **[عبد الله القصير]**.

الثاني: طاعته فيما أمر فإنه لا يأمر إلا بطاعة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]. وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

الثالث: اجتناب ما نهى عن وزجر فإنه يبلغ عن الله دينه فما نهى عنه فهو معصية لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

الرابع: ألا يعبد الله إلا بما شرع فإن الله تعالى نسخ بشرعه الأديان السابقة، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

الخامس: اعتقاد أنه ليس له شيء من خصائص الربوبية فلا يعلم الغيب ولا يملك لنفسه ولا لغيره ضراً ولا رشداً ولن يجيره من الله أحد وليس له شيء من تدبير الملك وتصريف الكون، وبذلك يعلم أنه ليس له ﷺ من خصائص الإلهية شيء، فليس له حق في العبادة فلا يُدعى مع الله تعالى ولا يستغاث به ولا تُشكى الشدائد إليه ولا يذبح له لطلب شفاعة ولا غيرها ولا ينذر له لأن ذلك حق خالص لله وحده، وأما هو ﷺ فإنه عبد لا يعبد ورسول لا يكذب.

السادس: من تحقيق شهادة أن محمد رسول الله ﷺ تصديقه فيما أخبر، فإنه لا يقول على الله وفي دين الله إلا الحق قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ

بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٨]، وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «اكْتُبْ» - يعني: الحديث - «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا خَرَجَ مِنْهُ» - وأشار إلى فيه - «إِلَّا حَقٌّ»(١).

وعصمت الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغون من الدين من مسائل الإجماع التي أجمع عليها المسلمون، والقول بخلافه قدح في منصب النبوة والرسالة وقدح في سند الشريعة والسنة. وهكذا ما يبلغونه من أمر الدنيا جازمين.

السابع: شهد الله على صدق نبيه ﷺ بقوله: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]، وبفعله حيث أيد رسوله والمؤمنين بالآيات البينات وألوان البراهين القاطعات وتمكينهم من رقاب أعدائهم وجعل الدائرة لهم على عدوهم وبإقراره له على ما يقوله ويفعله مما ينسب إلى ربه، فلو كان كاذباً عليه - وحاشاه - لعاجله بالعقوبة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٧]، ومن أسمائه سبحانه وتعالى الشهيد، أي: المطلع الذي لا يغيب عنه شيء؛ بل هو مطلع على كل شيء عالم بتفاصيله، ومن ذلك أمر نبيه ﷺ ودعوته وأحوال من استجاب له ومن عارضه وعاداه.

الثامن: من خصائص النبي ﷺ:

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وأحمد (٦٨٠٢).

هي ما فضله الله تعالى به على غيره من المرسلين والنبيين عليهم من ربهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وهي كثيرة أفردها بالتصنيف جماعة من أهل العلم رحمهم الله تعالى؛ فمن تلك الخصائص:

١ - ختم النبوة والرسالة به ﷺ فلا يبعث نبي بعده يبدل دينه أو ينسخ شريعته قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»(١)، وإذا ختمت النبوة فقد ختمت الرسالة لأن النبوة أول الرسالة وأصلها، وقد أجمعت الأمة على هذه العقيدة - عقيدة ختم النبوة - به ﷺ، وأجمعت على تكفير مدعي النبوة بعده من أمته، ووجوب قتل من يدعيها - إن أصر على ذلك -، وعلى كفر من صدق مدعي النبوة و على قتله إن لم يرجع عن تصديقه، كما قاتل الصحابة رضي الله عنهم مسيلمة الكذاب وأتباعه حتى قتل مسيلمة وقتل من لم يكفر بنبوته ويكذبه، ويجدد إيمانه بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

ولا يشكل على هذا ما تواترت به النصوص من نزول المسيح بن مريم عليه السلام في آخر الزمان، فإنه عليه السلام لا يأتي بدين وشرع جديد وإنما ينزل خليفة للنبي ﷺ في أمته يحكمهم بشريعة الإسلام ويهلك الله في زمانه الملل المنسوخة والأديان الباطلة.

٢ - أن الله تعالى أيده بالقرآن العظيم الذي هو أعظم آيات الأنبياء والمرسلين على الإطلاق، وهو الكتاب المحفوظ من التبديل أو التغيير أو النسخ إلى أن يرفع في آخر الزمان وهو أبلغ لآيات وأنفعها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢٣).

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلاّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُه آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّما كَانَ الَّذِي أَوتِيتُهُ وَحْيـًا أَوْحَاهُ اللهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تابِعـًا يَوْمَ الْقِيَامةِ»(١).

٣ - عموم رسالته ﷺ لكافة الثقلين الجن والأنس من حين بعثه الله وإلى أن تقوم الساعة، فقد كان الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبله يبعثون إلى أقوامهم خاصة أما هو ﷺ فبعث إلى الناس كافة إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٩]، أي: المخاطبين وكل من بلغه القرآن من اللاحقين إلى يوم الدين، وفي الصحيح أيضـًا عنه ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ ... » الحديث، وفيه: «وَأُرْسِلْتُ إِلَى

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٧٤)، ومسلم (١٥٢).

الْخَلْقِ كَافَّةً»[(١)]، وفي الصحيح أيضاً عنه ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[(٢)].

٣ - أن أمته المستجيبة له خير أمة أخرجت للناس فهم خير الأمم قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وثبت في الصحيح عنه ﷺ قوله: «إِنَّكُمْ تُوفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا، وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»[(٣)].

٤ - أنه ﷺ سيد ولد آدم عليه السلام يوم القيامة، فهو خيرهم وأشرفهم وأحبهم إلى الله تعالى، وكل المرسلين والنبيين خير وشريف وحبيب عند الله عز وجل، لكنه ﷺ مقدمهم وأكرمهم على الله عز وجل، فإن الأنبياء والمرسلين هم سادات الناس وأشرافهم وخيارهم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

---

(١) أخرج البخاري بعضه (٢٩٧٧)، ومسلم (٥٢٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٠٠٢٩)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٧).

وقد جمع الله تعالى النبيين والمرسلين فصلى بهم الرسول ﷺ إماماً في مسجد بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج، وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «أَنَا سَيْدُ وَلَدِ آدَمَ وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُ عَنْهُ الْأَرْضُ وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»[1].

٥ - أنه ﷺ صاحب الشفاعة العظمى لأهل الموقف يوم القيامة ليقضى بينهم حيث يتدافعها أولوا العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام كل يعتذر عنها ويحيل الناس إلى الذي بعده حتى تنتهي إلى رسول الله محمد ﷺ، فيقوم ﷺ فيقول: «أَنَا لَهَا»[2] فيشفع ويشفعه الله، ويأتي سبحانه على ما يليق بجلاله لفصل القضاء بين عباده وهي المقام المحمود أو من المقام المحمود الذي يبعثه الله إياه يوم القيامة كما فسر المقام المحمود بذلك عدد من الصحابة والتابعين رضي الله عن الجميع.

٦ - أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص ﷺ بحمله يوم القيامة ويكون الناس تبعاً له يوم القيامة، وإنما يختص به لأنه يحمد الله تعالى بمحامد لم يحمده بها غيره يعلمه الله إياها، كما في المسند وسنن الترمذي عنه ﷺ قال: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، وَلا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ، وَلا فَخْرَ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي، وَلا فَخْرَ»[3].

٧ - أنه ﷺ الذي يستفتح باب الجنة فيفتح له لا يفتح لأحد قبله وأول من يدخل الجنة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد (١٠٩٨٧).

٨ - أنه ﷺ أوفر الناس حظـاً من الشفاعة لأهل الكبائر من أمته.

٩ - أن أمته ﷺ خير الأمم يوم القيامة، فهم أكثر أهل الجنة إذ يبلغون شطر أهل الجنة أو يزيدون، قال ﷺ: «أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ»(١)، رواه الإمام أحمد، وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»(٢).

١٠ - أنه ﷺ صاحب الوسيلة وهي منزلة في الجنة لا تكون إلا لعبد واحد من عباد الله، قال ﷺ: «أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللهَ لِي الْوَسِيلَةَ، حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٣).

١١ - ما خص الله تعالى به شريعته من تيسير الأحكام، ورفع الآصار والأغلال، وتوسيع الحلال وتضييق الحرام، ويسر العبادات والكفارات ومضاعفة الحسنات وتكثير أسباب محو الخطيئات ورفعة الدرجات، وإعطاء الأجور العظيمة على أعمال يسيرة.

التاسع: من حقوق النبي ﷺ على أمته:

١ - الإيمان المفصل بنبوته ورسالته واعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة ومن مقتضى هذا الإيمان: تصديقه ﷺ فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، والدليل قوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٣١)، وأحمد (٢٠٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١).

(٣) أخرجه مسلم (٣٨٤).

فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ»[١]. الحديث، وفي الحديث الآخر قال ﷺ: «وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ»[٢].

٢ - الاعتقاد بأنه ﷺ قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، وأنه لا خير إلا دل الأمة عليه، وكان ﷺ قدوتها وإمامها في المسارعة إليه، ولا شر إلا حذرها منه، وكان ﷺ قدوتها في الحذر منه والابتعاد عنه؛ فلم يتوفاه الله حتى بلَّغ كل ما أنزل إليه من ربه وأقام الدين كله، وأقام الله به الحجة الرسالية على البرية، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]، وقال ﷺ: «وَايْمُ اللهِ لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»[٣]، وقد شهد له أصحابه رضي الله عنهم بالبلاغ في أكبر مجمع لهم في حجة الوداع قالوا: «نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ»[٤]، وقال أبو ذر رضي الله عنه: «تَرَكَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ ، إِلَّا ذَكَرَ لَنَا مِنْهُ عِلْمًا»[٥] الحديث.

وقالت اليهود للصحابة رضي الله عنهم: لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، يعنون: آداب قضاء الحاجة، فقال سلمان رضي الله عنه: أجل[٦] - يعني: الأمر كذلك -.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٤٦)، ومسلم (٢١).

(٢) أخرجه مسلم (٢١).

(٣) أخرجه ابن ماجه (٥)، والبزار (٤١٤١).

(٤) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٥) أخرجه أحمد (٢١٣٩٩).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٢).

٣ - محبته ﷺ وتقديمها على النفس والولد والوالد وسائر الخلق، والمحبة وإن كانت واجبة لجميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم المؤمنين والمسلمين إلا أنه لنبينا محمد ﷺ مزيد اختصاص فيها، فإن الله تعالى قد قرن محبة رسول الله ﷺ بمحبته وتهدد من كانت قرابته وزوجه وماله وتجارته أحب إليه من الله ورسوله، ونفى كمال الإيمان عمن لم يكن النبي ﷺ أحب إليه من سائر الخلق.

٤ - الإقرار بما ثبت في حقه ﷺ من الفضائل العظيمة والخصائص السامية من ختم النبوة وعموم الرسالة والشفاعة العظمى والمقام المحمود وأنه الذي يستفتح باب الجنة فيفتح له ويدخلها لا يدخلها أحد قبله وأن له ﷺ أعلى منزلة في الجنة.

٥ - تعظيم النبي ﷺ وتوقيره وتعزيزه وإجلاله وتوفير تعظيمه من غير غلو فيه وإطراء له، فإن معرفة قدره وإنزاله منزلته فإن ذلك من أعظم حقوقه ﷺ على الأمة في حياته وبعد وفاته، وذلك عند ذكر اسمه ﷺ وحديثه وسنته وسماع سيرته وكثرة الصلاة والسلام عليه وحسن الثناء عليه والحب العظيم له والأدب الجم معه وحسن الذكر له ولأهل بيته ﷺ وأزواجه وأصحابه رضي الله عنهم وحسن معاملة من صح نسبه إلى النبي ﷺ مع التوحيد والاستقامة على الشريعة ولزوم السنة وموالاتهم ونصرتهم جميعـًا.

٦ - إتباع سنته وإظهارها والسعي في نشرها، والبعد والحذر من مخالفته، وحسن خلافته في أمته بتبليغ رسالته، وبيان شريعته لأمته.

٧ - تجنب الغلو فيه ﷺ وهو مجاوزة الشرع في مدحه وتعظيمه وإطراءه، فإن ذلك من أعظم الأذية له ﷺ ومن أخطر البدع التي توقع أهلها في الشرك، فإنه ﷺ بشر كسائر البشر إلا أن الله تعالى شرفه بالنبوة والرسالة، فليس له ﷺ من خصائص الإلهية وصفات

الربوبية شيء، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [فصلت: ٦]، وقال ﷺ: « لَا تُطْرُونِي – أي: لا تجاوزوا الشرع في مدحي وتعظيمي – كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ»[1]، وقال ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْغُلُوُّ»، والنصوص عن النهي عن الغلو فيه كثيرة. [**عبد الله القصير**].

بَعَثَهُ اللهُ بِالنِّذَارَةِ عَنِ الشِّرْكِ، وَبالَدْعُوة إِلَى التَّوْحِيدِ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ٧﴾ [المدثر: ١-٧]. وَمَعْنَى: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾: يُنْذِرُ عَنِ الشِّرْكِ، وَيَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾: أَيْ: عَظِّمْهُ بِالتَّوْحِيدِ. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾: أَيْ: طَهِّرْ أَعْمَالَكَ عَنِ الشِّرْكِ. ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾: الرُّجْزَ: الأَصْنَامُ، وَهَجْرُهَا: تَرْكُهَا، وَالْبَرَاءَةُ مِنْهَا وَأَهْلُهَا، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ.

هذا الأمر الرابع مما يتعلق بمعرفة النبي ﷺ، وهو معرفة ما بعث به، وهذا أعظمها وأعلاها.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

فالنبي ﷺ بعثه الله تعالى ينذر عن الشرك، ويدعو إلى توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته. والإنذار بمعنى: التحذير.

والمنذر: المحذر. وأصل الإنذار: الإبلاغ، ولا يكون إلا في التخويف.

وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ هذه أول آية أرسل بها النبي ﷺ. وقد ثبت عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ قَاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ حَتَّى هَوَيتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَجِئْتُ إِلَى أَهْلِي، فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَزَمَّلُونِي، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ إلى ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾»، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان: ثم حمى الوحي وتتابع[1].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: فامتثل رسول الله ﷺ لأمر ربه وبادر فيه، فأنذر الناس وأوضح لهم بالآيات البينات جميع مطالب الإلهية، وعظم الله تعالى، ودعا الخلق إلى تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يعبد من دون الله، وما يعبد معه من الأصنام وأهلها، والشر وأهله، وله المنة على الناس –بعد منة الله– من غير أن يطلب عليهم بذلك جزاء ولا شكوراً. وصبر لربه أكمل صبر: فصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وصبر على أقداره المؤلمة، حتى فاق أولى العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامة عليه وعليهم أجمعين[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٦).

(٢) تفسير ابن سعدي (ص:٨٩٥).

وأخذ رسول الله ﷺ عشر سنين يدعو إلى توحيد الله تعالى، ويبين الشرك ويحذر منه.

وذلك أن المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين وإنزال الكتب هو الإنذار من الشرك والنهي عنه، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة. وكان النداء الأول لكل رسول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فالتوحيد هو أساس الملة الذي تبنى عليه، وبدونه لا يقوم عمل من الأعمال؛ ولهذا لم تفرض الصلاة التي هي عماد الدين وبقية الشرائع إلا بعد إرساء دعائم التوحيد وبنيان العقيدة وهذا يدل على أن التوحيد من أوجب الواجبات، وأنه يبدأ به قبل غيره. وقد قال النبي ﷺ لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»(١). **[عبد الله الفوزان]**.

أول ما أوحي إلى النبي ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فنبأه الله تعالى وأخبره وهيأه للرسالة العظمى بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المزمل: ١] الآيات، ثم أرسله وأمره بالدعوة بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر: ١-٢] الآيات. ثم أمره بالجهر بالدعوة بقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤] الآيات. وأخبره بأن بعثته كافة للناس بما جاء

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٤٧)، ومسلم (١٩).

بعد ذلك من النصوص الدالة على عموم رسالته للمكلفين من الجن والإنس، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]، ونحو ذلك من الآيات.

ومنذ بعث الله تعالى النبي ﷺ حتى جاوز عشر سنين لم ينزل الله عليه فريضة إلا التوحيد والدعوة، ثم فرضت الصلاة بعد أكثر من عشر سنين من البعثة فصلى ثلاث سنوات بمكة ثم بعد هجرته فرضت بقية الفرائض، ومضى ﷺ يدعو إلى تلك الفرائض مع التوحيد، حيناً يؤسسها عليه وآخر ينبه على أنها من مقتضاه وعلامة عليه ... الخ. حتى في المدينة كان يدعو إلى التوحيد، ويحذر من الشرك إلى آخر لحظة فكان يقول: «لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»(١)، فدل ذلك:

١ - على عظم شأن التوحيد وضرورة ترسيخه في النفوس فإنه أساس الملة وقاعدة الشريعة ولا تقبل الأعمال إلا به.

٢ - عظم قبح الشرك وأنه لا يجوز إقرار الناس عليه - مع القدرة على منعهم منه - لأنه تعدٍ على حق الله تعالى الذي هو أعظم الحقوق لما فيه من تنقص الله جل وعلا بمساواة الخلق به والتعلق بها من دونه أو معه.

٣ - عظم شأن الدعوة إلى الله تعالى وضرورة الفقه والبصيرة فيها وذلك من وجوه:

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

أحدها: أنها وسيلة تبليغ الدين وتعليم المكلفين. وأنها فرضت قبل الفرائض العملية ولم يفرض معها شيء أكثر من عشر سنين.

الثاني: أن التوجيه بشأنها استغرق أكثر السور المكية وجملة من السور المدنية.

الثالث: أنها وظيفة أساسية من وظائف النبي ﷺ في الأمة، قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] الآية.

الرابع: أن الله تعالى كلف بها الأمة مع نبيها ﷺ ومن بعده فقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. **[عبد الله القصير]**.

وَبَعْدَ الْعَشْرِ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَصَلَّى فِي مَكَّةَ ثَلاثَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا أُمِرَ بالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(عرج به إلى السماء) السابعة فأسري بجسده وروحه جميعاً من المسجد الحرام على البراق[1]، إلى بيت المقدس يقظةً لا مناماً كما أخبر الله عنه في قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، ثم صعد به جبريل إلى السماء على المعراج كلما مر بسماء تلقاه

(١) البراق: دابة دون البغل وفوق الحمار مشتق من: (البرق)، سمي بذلك لنصوع لونه وشدة بريقه، وقيل لسرعة حركته. لسان العرب (١٠/ ١٥).

مقربوها حتى جاوزهم إلى سدرة المنتهى حتى سمع صريف الأقلام، فبلغ من الارتفاع والعلو إلى ما الله به عليم، ودنا من الجبار وكلمه بلا واسطة فأوحى إليه ما أوحى (وفرضت عليه الصلوات الخمس) وهو في السماء وكان أول ما فرضت خمسين صلاة، ولم يزل يتردد بين موسى وبين ربه حتى وضعها إلى خمس وقال: هي خمس أي: في العدد، وهي خمسون أي: في الأجر الحسنة بعشر أمثالها(١)، ثم هبط إلى بيت المقدس وهبط الأنبياء معه وأمَّهم في بيت المقدس ثم ركب البراق ورجع إلى مكة من ليلته وحدثهم عما رآه في مسيره، (وصلى في مكة) الصلوات الخمس المفروضة (ثلاث سنين) بعد أن عرج به وفرضت عليه قبل الهجرة، (وبعدها) أي: بعد الثلاث عشرة سنة من بعثته (أمر بالهجرة) من مكة (إلى المدينة) بمفارقة المشركين وأوطانهم بحيث يتمكن من إظهار دينه والدعوة إلى الله في غير بلادهم فإن ذلك واجب وفرض، لأن أهل مكة منعوه أن يقيم دعوته فاستقبله الأنصار في المدينة النبوية وآووه ونصروه وآزروه حتى بلَّغ دين ربه فانتشر في الآفاق. [**عبد المحسن القاسم**].

ولا بد من الاعتقادات بأنه ﷺ أسري وعرج بروحه وجسمه معًا يقظة لا منامًا، لأن بعض الناس يقولون: أسرى بروحه، وأما جسده فلم يبرح مكة وإنما أسري وعرج بروحه وهذا كلام باطل، بل أنه أسري بروحه وجسده عليه الصلاة والسلام وحمل على البراق، وكان ذلك يقظة لا منامًا إذ لو كان بروحه فقط أو كان منامًا فما الفرق بينه وبين الرؤيا، والله جل وعلا يقول: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

فالعبد يطلق على الروح والبدن جميعا لا يطلق على الروح وحدَها أنها عبد، ولا يطلق على البدن وحده أنه عبد، لا يطلق إلا على مجموع الروح والبدن، لم يقل: سبحان الذي أسرى بروح عبده، بل قال: أسرى بعبده، والعبد هو مجموع الروح والبدن، والله جل وعلا لا يعجزه شيء وهو القادر على كل شيء. [**عبد الله الفوزان**].

وَالْهِجْرَةُ الانْتِقَالُ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بَلَدِ الإِسْلامِ. وَالْهِجْرَةُ فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الأُمَّةِ مِنْ بَلَدِ الشِّرْكِ إِلَى بلد الإِسْلامِ، وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [النساء: ٩٧-٩٩]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

قَالَ الْبُغَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: نزلت هَذِهِ الآيَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ بِمَكَّةَ ولَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللهُ بِاسْمِ الإِيمَانِ[1].

وَالدَّلِيلُ عَلَى الْهِجْرَةِ مِنَ السُّنَّةِ: قَوْلُهُ ﷺ: «لا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2].

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٧٢)، بمعناه.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٤٧٩)، وأحمد (١٦٩٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧١١).

الهجرة في اللغة: الترك.

وفي الشرع: ترك ما لا يحبه الله ويرضاه إلى ما يحبه ويرضاه.

ويدخل في هذا المعنى الشرعي، هجر الشرك، يدخل فيه ترك محبة غير الله ورسوله، يدخل فيه ترك بلد الكفر، لأن المقام فيها لا يرضاه الله جل وعلا ولا يحبه أما في الإصطلاح، قال: الهجرة الإنتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. الانتقال يعني ترك بلد الشرك والذهاب إلى بلد الإسلام، وسبب مشروعية الهجرة أن المؤمن يجب عليه أن يظهر دينه معتزاً بذلك، مبينًا للناس، مخبراً أنه يشهد شهادة الحق، لأن الشهادة لله جل وعلا بالتوحيد ولنبيه بالرسالة فيها إخبار الغير، وهذا الإخبار بالقول والعمل، فإظهار الدين به يكون إخبار الغير عن مضمون الشهادة، ومعنى الشهادة.

فلهذا كانت الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام واجبةً إذا لم يستطع المسلم إظهار دينه، لأن إظهار الدين واجب في الأرض، وواجبٌ على المسلم أن يظهر دينه وألا يستخفي بدينه، فإذا كان إظهاره لدينه غير ممكنٍ في دارٍ وجب عليه أن يتركها، يعني وجب عليه أن يهاجر. [**صالح آل الشيخ**].

ومناسبة ذكر الهجرة مع الأصول الثلاثة لبيان أن الهجرة من أبرز تكاليف الولاء والبراء.

وبلد الشرك: هو الذي تقام فيه شعائر الكفر، ولا تقام في شعائر الإسلام على وجه عام.

وبلد الإسلام: هو البلد التي تظهر فيه شعائر الإسلام والأحكام على وجه عام.

وأهم الشعائر: هي الصلاة، فإذا كانت الصلاة مظهراً من مظاهر البلد فهو بلد إسلامي. أما إذا كانت الصلاة يقيمها أفراد أو جماعات وهي ليست من مظاهر البلد فلا يحكم على البلد بأنه بلد إسلامي، مثل البلاد التي فيها أقليات مسلمة يقيمون الصلاة ولكن على نطاق ضيق في حدود مجتمعهم الذي يعيشون فيه أو في حدود بيئتهم، ولكن البلد الذي يقيمون فيه أو هم من أهله لا تقام فيه الصلاة بوجه عام بحيث لا توجد عندهم المآذن ولا يسمع الأذان في جميع الأنحاء فمثل هذا لا يعتبر بلداً إسلامياً؛ لأنه لابد أن تكون الإقامة على وجه عام، فمثلاً: فرنسا فيها أقليات مسلمة وفيها إقامة للصلاة من قبل هؤلاء ولكن لا تعتبر مظهراً من مظاهر البلد بحيث تنتشر المآذن ويسمع الأذان هنا وهناك ويهرع الناس إلى المساجد فهذا هو معنى قولنا: إن بلد الإسلام هو الذي تنتشر فيه الشعائر والأحكام بوجه عام. أما لو كان عن طريق أفراد أو أناس قليلين فهذا لا يطلق عليه أنه بلد إسلامي بهذا الاعتبار. [**عبد الله الفوزان**].

وكل من فارق بلده فهو مهاجر والمهاجرة في الأصل مصارمة الغير ومقاطعته ومباعدته وسمي المهاجرون مهاجرين لأنهم هجروا ديارهم ومساكنهم التي نشئوا بها لله ولحقوا بدار ليس لهم فيها أهل ولا مال حين هاجروا إلى المدينة. وشرعت الهجرة: حفظاً للدين من الزوال أو النقصان وفراراً به من الفتن، ولخشية عدم إظهار شعائر الإسلام قال شيخ الإسلام رحمه الله: لا يسلم أحد من الشرك إلا بالمباينة لأهله[1].

والمرء يتأثر بمجتمعه في صلاحه وتقواه وفي بعده عن ربه ومولاه، ولهذا كانت (الهجرة) حكمها (فريضة على هذه الأمة) المحمدية (من بلد الشرك) والكفر (إلى بلد

(١) الفتاوى (١/ ٩٤).

الإسلام)، وقد حكي الإجماع على وجوبها، وقد فرضها الله على رسوله ﷺ وعلى الصحابة قبل فرض الصوم والحج وقد جاء الوعيد على من تركها وهو قادر على ذلك فقال ﷺ: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ» قالوا يا رسول الله لم ؟ قال: «لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا»(١)، قال شيخ الإسلام رحمه الله: أحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلماً وتارة كافراً وتارة مؤمناً وتارة منافقاً وتارة براً تقيا وتارة فاسقاً وتارة فاجراً شقياً وهكذا المساكن بحسب سكانها فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصي إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة، وهذا أمر باقٍ إلى يوم القيامة(٢).

ومخالطة المشركين ضرر على الدين، وإذا كان المسلم في بلد لا يقدر على إظهار دينه والتصريح به وتبيينه وجب عليه مفارقة ذلك الوطن لإظهار دينه وليصون معتقده قال ابن القيم: وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين، هم أقل كفرا من غيرهم، كما رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى، هم أقل إيمانا من غيرهم ممن جرد الإسلام(٣).

والهجرة فيها منافع دينية ودنيوية للمهاجر قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن حفيد المصنف رحمهما الله: الهجرة الغالب على أهلها السلامة والعز والتمكين كما جرى ذلك لرسول الله ﷺ وأتباعه سلفاً وخلفاً.. ومصالح الهجرة في الدنيا أكثر من أن تحصر

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٠٤)، وأبو داود (٢٦٤٥).

(٢) الفتاوى (١٨/ ٢٨٤).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (ص: ٤٤٨).

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ [النحل: ٤١][(١)].

وفي ترك الهجرة أضرار على تاركها في دينه ودنياه، قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: المفاسد التي في ترك الجهاد موجودة في ترك الهجرة وأكثر منها كما لا يخفى على ذوي البصائر والفهم وكان الجهاد من ثمرتها ومصالحها ...وتأمل ما وقع فيه التاركون للهجرة من سوء الحال في الدين والدنيا[(٢)]. ومن له قدرة على الهجرة من ديار الشرك ولم يهاجر فقد ظلم نفسه ووقع في الإثم.

(وهي) أي: الهجرة (باقية) وواجبة (إلى أن تقوم الساعة) فلا تسقط في أيِّ زمن عن هذه الأمة بل وجوبها باق إلى قيام الساعة فمن كان مسكنه بديار المشركين وهو قادر على التحول عنهم وجب عليه الهجرة من تلك الديار (والدليل) على وجوب الهجرة قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾، وقد نزلت الآية في أناس من أهل مكة تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا فقال الله عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أراد ملك الموت وأعوانه الموكلين بنزع الروح، وحال من تنزع أرواحهم أنهم من ﴿ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بترك الهجرة من ديار الشرك ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ﴾ أي: لم مكثتم ههنا وتركتم الهجرة؟ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع يعود معناه إلى: لم مكثتم ههنا وتركتم الهجرة؟ وفي أي فريق كنتم؟ والملائكة تعلم في أي فريق كان فيه التاركون للهجرة بعد ما وجبت عليهم وإنما تقول الملائكة لهم ذلك توبيخـًا لهم، ﴿قَالُواْ﴾ أي:

---

(١) الدرر السنية (٨/ ٢٤٠).

(٢) الدرر السنية (٨/ ٢٤٤).

الذين تركوا الهجرة ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: عاجزين عن الهجرة لا نقدر على الخروج من البلد ولا الذهاب في الأرض، وهم غير صادقين في ذلك ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: قالت لهم الملائكة معاتبة لهم ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ﴾ وهذا استفهام تقرير أي: قد تقرر عند كل أحد أن أرض الله واسعة فلم لا تهاجروا إلى المدينة فتخرجوا من بين أهل الشرك؟ فلم يعذروا بترك الهجرة، فحيثما كان العبد في محل لا يتمكن فيه من إظهار دينه فإن له متسعاً وفسحة في الأرض يتمكن فيها من عبادة الله، قال الله عن هؤلاء الذين لا عذر لهم: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: بئس المصير إلى جهنم وهذا فيه أن تارك الهجرة بعد ما وجبت عليه وهو قادر عليها أنه مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أي: الضعفاء العاجزون عن الهجرة ﴿مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ جمع وليد ووليده، والوليد: الغلام قبل أن يحتلم، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾ أي: لا يستطيعون مفارقة المشركين فلا يقدرون على حيلة ولا على نفقة ولا على قوة للخروج، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ أي: لا يعرفون الطريق إلى الخروج من مكة إلى المدينة حيث كانت آنذاك بلد الإسلام ولا يوجد بلد إسلام سواها ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ﴾ يتجاوز عن المستضعفين وأهل الأعذار بترك الهجرة ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا﴾ متصفاً بالعفو والتجاوز عن السيئات ﴿غَفُورًا﴾ للخطايا والأوزار، قال ابن كثير رحمه الله: نزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية[1].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٣).

وإذا كانت الهجرة مأموراً بها من بلاد الكفر، دل هذا على تحريم السفر إلى بلادهم إلا لحاجة تدعو إلى ذلك كعلاج ونحوه ولا يجوز السفر إليهم عند الحاجة إلا بثلاثة شروط:

١- أن يكون عنده علم، يمنعه مما يرد عليه من الشبهات.

٢- أن يكون عنده دين، يمنعه مما يرد عليه من الشهوات.

٣- أن يتمكن من إظهار دينه والقيام بعبادة ربه كما أمر الله، وأن يحذر كل الحذر من موالاة المشركين.

وإذا لم يتمكن المسلم من الهجرة فعليه أن يظهر شعائر دينه من الصلاة ونحوها بقدر استطاعته ويجب عليه أن يدعو غير المسلمين إلى هذا الدين قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ودليل آخر على أن الهجرة واجبة على القادر عليها قوله تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ﴾ وحدوني و﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ بي وبرسولي ﴿إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ﴾ لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحل لكم المقام فيه ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله ولم تقدروا على تغييره فاهربوا منه إلى أرضي الواسعة التي تسع جميع الخلائق. فإذا كان الإنسان في أرض لم يتمكن من إظهار دينه فيها فإن الله قد وسع له الأرض ليعبده فيها كما أمرو أن يوحده في أرضه الواسعة وكذلك يجب على كل من كان ببلد تعمل فيها المعاصي ولا يمكنه تغييرها أن يهاجر منها ﴿فَإِيَّٰيَ فَٱعْبُدُونِ﴾ أي: أظهروا لي العبادة في أرضي الواسعة التي خلقتها وما عليها لكم وخلقتكم عليها لعبادتي. (قال) أبو محمد الحسين بن مسعود (البغوي رحمه الله) في تفسيره (معالم التنزيل) الذي قال عنه ابن القيم رحمه

الله: اجتمعت الأمة على تلقي تفسيره بالقبول وقراءته على رؤوس الأشهاد من غير نكير [١]. (سبب نزول هذه الآية) كما قال مقاتل والكلبي نزلت (في) ضعفاء (المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان)، فأفاد أن تارك الهجرة بعدما وجبت عليه ليس بكافر لكنه عاصٍ بتركها فهو مؤمنٌ ناقص الإيمان عاص من عصاة الموحدين المؤمنين.

(والدليل على) أن (الهجرة) مفروضة على هذه الأمة وأنها باقية إلى قيام الساعة دليل ذلك (من السنة قوله ﷺ) في الحديث عن معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تَنْقَطِعُ الْهِجْرَةُ حَتَّى تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ، وَلَا تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» [٢]، (لا تنقطع) أي لا يسقط وجوب (الهجرة) من بلد الشرك إلى بلد الإسلام (حتى تنقطع التوبة) أي: حتى لا تقبل التوبة ممن تاب. فدل الحديث على أن التوبة مادامت مقبولة فالهجرة واجبة بحالها، وأما قول النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا» [٣]. فالمراد لا هجرة بعد فتح مكة منها إلى المدينة حيث كانت مكة بعد فتحها بلد إسلام وقد كانت الهجرة من مكة مأموراً بها لما كانت بلد كفر أما وقد كانت بلد إسلام فلا. (ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها) فإذا طلعت الشمس من مغربها لم تقبل التوبة قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، فدل على أنها تقبل قبل طلوع الشمس من مغربها، وما دامت تقبل التوبة، فلا تنقطع الهجرة. فواجب على

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية (ص: ٢٣٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٣١)، ومسلم (١٣٥٣).

المسلم أن يسعى لإصلاح نفسه بالصحبة الصالحة وبالمجتمع الطيب وأن يقرأ ما ينفعه في أمور دينه وعليه أن يبتعد عن كل ما يدنس صلاحه من مجتمع لا يحثه على فعل الطاعات، أو وسائل تغرقه بالشبهات والشهوات، أو تؤزه إلى فعل المعاصي والسيئات.
[عبد المحسن القاسم].

وأما الإقامة في بلاد الكفار فإن خطرها عظيم على دين الإسلام، وأخلاقه، وسلوكه، وآدابه وقد شاهدنا وغيرنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا فساقًا، وبعضهم رجع مرتداً عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان والعياذ بالله حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين، ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهوي في تلك المهالك.

فالإقامة في بلاد الكفر لا بد فيها من شرطين أساسين:

الشرط الأول: أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان، وقوة العزيمة ما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعداً عن موالاتهم، ومحبتهم، فإن موالاتهم ومحبتهم، مما ينافي الإيمان بالله قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٢]، ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم

موافقتهم واتباعهم، أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

الشرط الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع، فلا يمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة، ولا يمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ، قال ابن قدامة في الكلام على أقسام الناس في الهجرة: أحدها من تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه، ولا تمكنه من إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧]، وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب. أهـ(٢).

وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفار إلى أقسام:

القسم الأول: أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قدر عليها، بشرط أن تتحقق الدعوة وألا يوجد من يمنع منها أو من

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٦٨)، ومسلم (٢٦٤٠).

(٢) المغني (٨/ ٤٥٧).

الاستجابة إليها، لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»(١).

القسم الثاني: أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة، وبطلان التعبد، وانحلال الأخلاق، وفوضوية السلوك؛ ليحذر الناس من الاغترار بهم، ويبين للمعجبين بهم حقيقة حالهم، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضاً لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهديه، لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام، كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. لكن لا بد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه، فإن لم يتحقق مراده بأن منع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من الإقامة، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسب الإسلام ورسول الإسلام وائمة الإسلام وجب الكف لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عيناً للمسلمين؛ ليعرف ما يدبروه للمسلمين من المكايد فيحذرهم المسلمون، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم.

القسم الثالث: أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دول الكفر كموظفي السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله. فالملحق الثقافي مثلاً يقيم ليرعى

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦١).

شؤون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة ويندرئ بها شر كبير.

القسم الرابع: أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الإقامة بقدر الحاجة، وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفر للتجارة وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم.

القسم الخامس: أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكًا بدين المقيم وأخلاقه، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه، فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا من شاء الله عصمته وهم قليل، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الانحراف والضلال. والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط:

الشرط الأول: أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد فأما بعث الأحداث - صغار السن - وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم، وخلقهم، وسلوكهم، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها من السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع، فإن كثيراً من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به، رجعوا منحرفين في دياناتهم، وأخلاقه، وسلوكهم، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد، وما مثل بعث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية.

الشرط الثاني: أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل، ومقارعة الباطل بالحق لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقاً أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل.

الشرط الثالث: أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله وذلك لقوة المهاجم وضعف المقاوم، فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلاً ضعيف المقاومة عملت عملها.

الشرط الرابع: أن تدعو الحاجة إلى العلم الذي أقام من اجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم، فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق، وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة.

القسم السادس: أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة، وموالاة، وتكثير لسواد الكفار، ويتربى أهله، بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم، وربما قلدوهم في العقيدة والعبادة ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ وَسَكَنَ مَعَهُ فَهُوَ مِثْلُهُ»[1]. وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة من النظر فإن المساكنة تدعو إلى المشاكلة، وعن قيس بن حازم عن جرير بن عبد

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٨٧).

الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»، قالوا يا رسول الله ولم؟ قال: «لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا»(١).

وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم. [**محمد بن عثيمين**].

فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي الْمَدِينَةِ أُمِرَ بِبَقِيَّةِ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، مِثل: الزَّكَاةِ، وَالصَّوْمِ، وَالْحَجِّ، وَالأَذَانِ، وَالْجِهَادِ، وَالأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الإِسْلامِ، أَخَذَ عَلَى هَذَا عَشْرَ سِنِينَ، وَتُوُفِّيَ ﷺ وَدِينُهُ بَاقٍ. وَهَذَا دِينُهُ، لا خَيْرَ إِلا دَلَّ الأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلا شَرَّ إِلا حَذَّرَهَا مِنْهُ، وَالْخَيْرُ الَّذِي دَلَّهَا عَلَيْهِ التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، وَالشَّرُّ الَّذِي حَذَّرَهَا مِنْهُ الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُ اللهُ وَيَأْبَاهُ.

لأن المدينة صارت دار إسلام وهي العاصمة الأولى للمسلمين؛ فلهذا أمروا بهذه الأمور؛ لأنهم يتمكنون حينئذ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا من رحمة الله عز وجل أن أجل هذه الواجبات إلى أن هاجر إلى المدينة، وكان أصل الزكاة مشروعا في مكة، كما قال تعالى في سورة الأنعام وهي مكية: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ

(١) سبق تخريجه.

حَصَادِهِۦۖ﴾ [الأنعام: ١٤١]، ولكن أنصباؤها ومصارفها وتفاصيل أحكامها؛ كل هذا صار في المدينة، وهكذا صيام رمضان شرع في السنة الثانية من الهجرة، وهكذا الحج شرع في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة، وأنزل الله فيه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهي مدنية. وهكذا الجهاد أمر به في المدينة، وكان في أول الأمر يجاهد من جاهده، ويكف عمن كف عنه، ثم أمر بأن يبدأ بالقتال، وأن يجاهد الكفار وإن لم يبدؤوا، فيدعوهم إلى الله يرشدهم إليه، فإن أجابوا وإلا قاتلهم حتى يستجيبوا للحق إلا أهل الكتاب فإنه يقبل منهم الجزية. وسن الله في المجوس سنة أهل الكتاب؛ إما إسلام وإما جزية، وأما بقية الكفار إما الإسلام وإما السيف مع القدرة. [**عبد العزيز بن باز**].

ومع هذا التدرج في تشريع الجهاد على هذه المراتب فإنه لم تنسخ النصوص الآمرة بالصبر والصفح عن الكفار على الصحيح، بل هي محكمة، ولكنه يعمل بها في الحال التي تقتضيها في حال ضعف المسلمين وعجزهم عن القتال، أو حين تكون مفسدته أرجح من مصلحته لأهل الإسلام، فإن لولاية المسلمين الشرعية أن تصالح الكفار والمشركين - ما دام في الصلح مصلحة كاملة أو راجحة للمسلمين وفي القتال مفسدة كاملة أو راجحة - مؤقتـًا، أي: بمدة محدودة أو غير مؤقت أي بمدة مفتوحة.

ومتى ما صار للمسلمين قوة على جهاد الكفار وغلب على الظن رجحان مصلحته نبذ المسلمون عهد الكفار إليهم وقاتلوهم بعد إشعارهم بمدة قبل حربهم بإنهاء اتفاقية الصلح، فلم يبح الله تعالى ترك قتال الكفار والمشركين من أي ملة ونحلة أبداً وإن هادنوا المسلمين وسالموهم هدنة مطلقة مع إمكان جهادهم، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:

١٩٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]. [**عبد الله القصير**].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام وفرض على كل واحد بحسبه قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ﴾ [آل عمران: ١٠٤] وأعلاه باليد فمن لم يقدر فبلسانه فمن لم يقدر فبقلبه وذلك أضعف الإيمان. [**عبد الرحمن بن قاسم**].

بَعَثَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَافْتَرَضَ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. وَكَمَّلَ اللهُ بِهِ الدِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣]. وَالدَّلِيلُ عَلَى مَوْتِهِ ﷺ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ٣١﴾ [الزمر: ٣٠- ٣١].

وقد (بعث الله) نبينا محمداً ﷺ (إلى الناس كافة) عربهم وعجمهم، ذكرهم وأنثاهم، حرهم وعبدهم، (وافترض الله طاعته) أي: جعل طاعته فرضـًا (على جميع الثقلين الجن والإنس) قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وقالت الجن: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن

ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١]، فرسالته شاملة إلى الجن والإنس قال النبي ﷺ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»(١). وهذا من شرفه أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة، (والدليل) على أنه مبعوث إلى الناس كافة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ العرب والعجم، أهل الكتاب وغيرهم، ﴿إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ واجب عليكم اتباعي. فواجب على جميع أهل الأديان من اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم اتباع دين نبينا محمد ﷺ، وهذا معلوم من دين الإسلام بالضرورة وهذا مقتضى رسالته، ومن لم يتبع دينه كتب له الشقاء وكان من أصحاب النار، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧]، ويقول ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»(٢)، ومن أطاعه وامتثل أمره كتبت له الرحمة وكان من أصحاب النعيم قال سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]، ومن اتبع ما سواه من الأديان فدينه باطل، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(وأكمل الله به) أي: بنبينا محمد ﷺ أحكام وشرائع (الدين) فكان بفضل الله ديناً كاملاً لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فأيما يممت طرفك إلى أيِّ ناحية منه وجدت الكمال والخير فيه، وما توفي ﷺ إلا وقد بلَّغ جميع ما أمره الله به. (والدليل) على أن هذا الدين كامل في شرعه وأحكامه (قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ﴾) أي: يوم عرفة والنبي ﷺ واقف

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨)، ومسلم (٥٢١).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٣).

يخطب في حجة الوداع قبل وفاته بثمانين يوماً (﴿أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾)وهذه أكبر نعم الله على هذه الأمة حيث أكمل لها دينها، فلا يحتاجون إلى دين سواه، ولا إلى نبي غير نبيهم ﷺ كما قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ﴾ أي: صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامر والنواهي ﴿لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ﴾ فمن ادعى أنه يحتاج إلى زيادة فقد كذب وافترى ورد مدلول هذه الآية، ورد مدلول قوله ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١]. والكامل لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل قال ابن القيم رحمه الله: قد تمم الله سبحانه الدين بنبيه ﷺ وأكمله به، ولم يحوجه ولا أمته بعده إلى عقل ولا نقل سواه، ولا رؤى ولا منام ولا كشوف[٢]، ولما أخبر الله أنه أكمل لنا الدين وهو أكبر نعمة علينا قال: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ﴾ أي: أكملت ﴿عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ الظاهرة والباطنة، ومن تمت عليه النعمة فقد أفلح كل الفلاح، قال ابن القيم رحمه الله: وتأمل كيف وصف الدين الذي اختاره لهم بالكمال والنعمة التي أسبغها عليهم بالتمام، إيذاناً في الدين بأنه لا نقص فيه ولا عيب، ولا خلل ولا شيء خارجاً عن الحكمة بوجه، بل هو الكامل في حسنه وجلالته ووصف النعمة بالتمام إيذاناً بدوامها واتصالها وأنه لا يسلبهم إياها بعد إذ أعطاهموها بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار[٣]، ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي أحبه ورضيه وبعث به أفضل رسله ﷺ وأنزل به أشرف كتبه قال كعب: لو نزلت هذه الآية على غير

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧).

(٢) الصواعق المرسلة (٣/ ٨٢٦).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ٣١٥).

هذه الأمة لاتخذوا اليوم الذي نزلت فيه عيداً، قال عمر رَضِوَاللَّهُعَنْهُ:نزلت يوم الجمعة يوم عرفة[1]. [**عبد المحسن القاسم**].

من العقائد الصحيحة الضرورية التي دلت عليها نصوص الكتاب والسنة وكلام السلف الصالح من الأمة اعتقاد بقاء دين الإسلام بحفظ الله له، يتعبد به الناس لله إلى أن يأتي الله بأمره، ولهذا قال رسول الله ﷺ: « لَا يَسْمَعُ بي يَهُودِيٌّ وَلا نَصرَانيٌّ ثُمَّ لَا يُؤمِنُ بِي إِلَّا دَخَلَ النَّارَ»[2]، وقال ﷺ: «الْجِهَادُ مَاضٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[3]، وقال ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»[4]، ثم في آخر الزمان - وبعد ظهور عدد من أشراط الساعة الكبار - يتمثل الشيطان للناس ويزين لهم عبادة الأوثان فيعبدونها، وتقبض كل روح مؤمن ومؤمنة حتى لا يقال في الأرض: الله، ويبقى الكفار يتهارجون كتهارج الحمر وعندئذ يرفع القرآن وتهدم الكعبة فلا تقوم الساعة إلى على شرار الخلق، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: « إنَّ مِنْ شِرَارِ الْخَلْقِ مَنْ تُدْرِكُهُمْ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءٌ، وَالَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ»[5]. [**عبد الله القصير**].

ولكمال هذا الدين وتمامه أخبر النبي ﷺ أن كل من فعل ما لم يأمر به وزاد في دين الله ما لم يأت به الشرع فإنه عمل باطل ومردود عليه، لكمال هذا الدين، ولا حاجة إلى من يجتهد ويشرع فيه ما لم يرد في شرع الله قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٧٦٥)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٧٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٧٧٥).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٥) أخرجه أحمد (١/ ٤٠٥ و٤٣٥).

فَهُوَ رَدٌّ»[١]. فليفرح المسلم بهذا الدين، وليتمسك به فهو دين كامل شامل يتمنى أهل الأديان كلهم أن يكونوا من أتباعه، قال سبحانه: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، ولكن لم يُرد الله لهم الهداية لحكمة منه بالغة قال سبحانه: ﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [إبراهيم: ٤].

والله سبحانه هو المتصف بالحياة، قال جل وعلا: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ونبينا محمد ﷺ بشر من البشر، وواحد من المخلوقين، يعتريه ما يعتريهم من الجوع والحزن والمرض والموت، والنبي ﷺ لا نرفعه فوق منزلته، ولا نهضمه حقه، فهو بشر فضله الله بالرسالة، لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعـًا ولا ضراً، لا في حياته ولا بعد مماته، وبعد عمر مبارك في الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، والكفاح والدعوة والصبر توفاه الله عز وجل بعد ثلاث وستين سنة ولم يتوف الله نبيه ﷺ حتى أكمل الله به الدين وبلَّغ البلاغ المبين حتى قال ﷺ: «لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»، قال أبو الدرداء: صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء[٢].

(والدليل على موته ﷺ) من القرآن (قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ﴾) يا محمد(﴿مَيِّتٌ﴾) وقد مات وغُسِّل وكُفِّن و صُلِّي عليه ودُفن ﷺ بالمدينة سنة ١١هـ(﴿وَإِنَّهُم﴾) أي: جميع الخلق (﴿مَّيِّتُونَ﴾) مثلك فالجميع سيموت حتمـًا (﴿ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾) في أرض المحشر (﴿عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾) فيما تنازعتم فيه فيفصل بينكم بحكمه العادل،

(١) أخرجه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٥).

ويجازي كل بعمله، والموت يجري على الأنبياء وغيرهم كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾، وقال سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾. [**عبد المحسن القاسم**].

موقف أهل السنة مع آثار رسول الله ﷺ:

يرى أهل السنة والجماعة أن آثار رسول الله ﷺ نوعان:

الأول: ما أثر عنه ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات وإنكار لما وقع من الصحابة مخالفـًا لهديه وبيان وجه الصواب فيه فهذا النوع من بيانه ﷺ لما نزل إليه من ربه هو من هديه فهذا النوع يجب الأخذ به والتمسك به واتباعه عليه الصلاة والسلام فيه، وكذا ما أقرهم عليه ﷺ من التبرك بريقه وشعره وعرقه لإقراره إياهم.

الثاني: ما أثر عنه ﷺ مما هو من قبيل الجبلة والاتفاق والمصادفة فهذا لا يشرع إتباعه فيه بل هو من وسائل الغلو وقد أنكر بعض أعيان الصحابة على من فعله. ومن أمثلة ذلك:

١ - أن عمر رضي الله عنه قطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ لما علم أن الناس يقصدونها وذلك خوفـًا عليهم من فتنة الغلو فيها.

٢ - لما بلغه رضي الله عنه أن أناسـًا يقصدون موضعـًا صلى فيه النبي ﷺ في الطريق أنكر عليهم، فعن المَعرور بن سُويدٍ الأَسديِّ قال: وافيتُ المَوسِمَ مع أمير المؤمنين عُمرَ بن الخطاب رضي الله عنه، فلمَّا انصرَف إلى المدينةِ، وانصرفتُ معه، صلَّى لنا صلاةَ الغداةِ، فقرأ فيها: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ و ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، ثم رأى أُناسًا يَذهبون مذهبًا، فقال: أين يذهبون هؤلاء؟ قالوا: يأتون مَسجِدًا هاهنا صلَّى فيه رسولُ الله ﷺ، فقال: إنَّما أُهلك مَن كان قبلكم بأشباهِ هذه؛ يَتَّبعون آثارَ أنبيائِهم، فاتَّخذوها كنائسَ

وبِيَعًا، ومَن أدركتْه الصلاةُ في شيءٍ من هذه المساجدِ التي صلَّى فيها رسولُ الله، فلْيُصلِّ فيها، ولا يَتعمَّدْنَها(١). **[عبد الله القصير]**.

وَالنَّاسُ إِذَا مَاتُواْ يُبْعَثُونَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥]. وقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨﴾ [نوح: ١٧- ١٨]. وَبَعْدَ الْبَعْثِ مُحَاسَبُونَ وَمَجْزِيُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى﴾ [النجم: ٣١].

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ كَفَرَ، وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [التغابن: ٧].

(والناس إذا ماتوا يبعثون)، ليجازي كلاً بعمله، ويقتص بعضهم من بعض حتى البهائم. والإيمان بالبعث والنشور من القبور من جملة الإيمان باليوم الآخر، فإن الإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث، بل الإيمان بالبعث هو معظم الإيمان باليوم الآخر وهو الذي كان ينكره أهل الجاهلية.

---

(١) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٢/ ٥٤٤) واللفظ له، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ٣٧٦).

(والدليل) على أن الناس يبعثون بعد الموت (قوله تعالى: ﴿مِنْهَا﴾) أي: من الأرض (﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾) أي: مبدؤكم فإن أباكم آدم مخلوق من تراب من أديم الأرض، (﴿وَفِيهَا﴾) أي: في الأرض (﴿نُعِيدُكُمْ﴾) إذا متم تصيرون إليها فتدفنون بها (﴿وَمِنْهَا﴾) أي: من الأرض (﴿نُخْرِجُكُمْ﴾) يوم البعث والحساب (﴿تَارَةً﴾) أي: مرة (﴿أُخْرَىٰ﴾) كقوله: ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ [الأعراف: ٢٥].

ودليل آخر على أن الناس يبعثون بعد موتهم (قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾)، أراد تعالى مبدأ خلق آدم وذريته من الأرض، (﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾) أي: في الأرض إذا متم ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ من الأرض بعد البعث أحياءً ويعيدكم يوم القيامة كما بدأكم أول مرة.

(وبعد بعث) الخلق وقيامهم من قبورهم فإنهم (محاسبون) على دقيق الأعمال وجليلها، صغيرها وكبيرها كما قال سبحانه: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣]، وكل شيء مكتوب في كتاب ينشر في الحشر ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، والميزان في الحشر ميزان حق وعدل قال جل وعلا: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وبعد هذا الحساب فإن جميع الخلق (مجزيون بأعمالهم) إن كان خيراً فخير، وإن شراً فشر قال سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]. (والدليل) على أن الخلق يبعثون بعد موتهم

ويحاسبون على أعمالهم (قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ﴾) أي: سيجازي الله (﴿ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ﴾) العمل من الشرك فما دونه، يجازيهم (﴿بِمَا عَمِلُواْ﴾) من إساءة، (﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾) في عبادة ربهم ووحدوه، وأحسنوا إلى خلقه، وأخلصوا له الأعمال، سوف يثيبهم على أعمالهم (﴿بِٱلْحُسْنَى﴾) وهي: الجنة، بل ولهم الزيادة وهي النظر إلى وجهه الكريم كما قال سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي ﷺ تلك الزيادة: بالنظر إلى وجه الله الكريم(١). وهذا من حكمة الله العظيمة في بعث الناس ومحاسبتهم، فلو لم يكن هناك جزاء ولا حساب لَظَلَم الناسُ بعضهم بعضـًا، وسَلَبَ بعضهم مال بعض، وعمَّت الفوضى في الحياة، والذي يحجز الناس عن البغي والمعاصي هو تذكر الحساب والعقاب، ولما غفل الكفار عن الحساب تمادوا في الكفر والطغيان قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧].

وشأن البعث عند الله عظيم، فهو من أركان الإيمان (ومن كذب بالبعث كفر) لتكذيبه الله ورسوله وإجماع المسلمين، (والدليل) على كفر من أنكر البعث (قوله تعالى: ﴿زَعَمَ﴾) أي ظن (﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾) تخمينـًا منهم (﴿أَن لَّن يُبْعَثُواْ﴾) للحساب والجزاء، وقد حكم الله بكفرهم، لإنكارهم البعث، فدل على أن إنكار البعث كفر، بل هو من أعظم كفر أهل الجاهلية، لهذا قال لنبيه ﷺ يا محمد (﴿قُلْ﴾) لمنكري البعث (﴿بَلَىٰ﴾) ستبعثون واحلف لهم يا محمد يمينـًا بالله قائلاً فيها (﴿وَرَبِّى﴾) وخالقي (﴿لَتُبْعَثُنَّ﴾) يوم القيامة للحساب (﴿ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾) وتجازون عليها (﴿وَذَٰلِكَ﴾) أي: البعث بعد الموت (﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾) سهل لا يعجزه ذلك فهو سبحانه

---

(١) أخرجه مسلم (١٨١).

على كل شيء قدير ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والذي قَدِرَ على النشأة الأولى قادر على إنشاء الإنسان مرة أخرى قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

فإذا كان هذا النوع الإنساني في العدم لم يوجد قبل ثم أوجده الله تعالى من طين، وذراريه من ماء مهين، ثم جعل هذا التناسل منه فإنه لا يعجزه أن يعيدهم وهو الذي أبدعهم قال النبي ﷺ: قال الله تعالى: «كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفْئًا أَحَدٌ»[1]. [**عبد المحسن القاسم**].

ومن كذب بالبعث فهو كافر لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٢٩ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٣٠﴾ [الأنعام: ٢٩-٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝١١ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾ [المطففين: ١٠-١٧]، وقال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ

(١) أخرجه البخاري (٤٦٩٠).

كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت: ٢٣].

وأما إقناع هؤلاء المنكرين فبما يأتي:

أولاً: أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية، والشرائع السماوية، وتلقته أممهم بالقبول، فيكف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث قد شهد العقل بإمكانه، وذلك من وجوه:

١- كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقـًا بعد العدم، وأنه حادث بعد أن لم يكن، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٢- كل أحد لا ينكر عظمة خلق السماوات والارض لكبرهما وبديع صنعتهما، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأولى؛ قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨١-٨٢].

٣-كل ذي بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات، فإذا نزل المطر عليها اخصبت وحيي نباتها بعد الموت، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

ثالثـًا: أن أرم البعث قد شهد الحس والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع أحياء الموتى، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها، قوله: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

رابعـًا: أن الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق الناس عبثـًا لا قيمة له، ولا حكمة منه، ولم يكن بين الإنسان وبين البهائم فرق في هذه الحياة. قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ

كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ [النحل: ٣٨-٤٠]. وقال تَعَالَى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

فإذا بينت هذه البراهين لمنكري البعث وأصروا على إنكارهم، فهم مكابرون معاندون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. [**محمد بن عثيمين**].

وَأَرْسَلَ اللهُ جَمِيعَ الرُّسُلِ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

وَأَوَّلُهُمْ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَآخِرُهُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ؛ وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ أَوَّلَهُمْ نُوحٌ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

بعد ما ذكر الشيخ من أصول الإيمان البعث والحساب والجزاء، ذكر أصلاً آخر من أصول الإيمان وهو الإيمان بالرسل.

فالله أرسل الرسل لقطع العذر وإقامة الحجة حتى لا يقول قائل: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ [طه: ١٣٤]، فهم مرسلون ليبشروا من أطاعهم بوعد الله وثوابه وكرامته وينذروا من عصاهم بالعقاب.

وبعث الله نوحاً إلى قومه وهم أهل الأرض إذ ذاك لما حدث فيهم الشرك، فأقام فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم، ثم أوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك

إلا من قد آمن، قال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [هود:٣٦]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

وآخر هؤلاء الرسل هو نبينا محمد ﷺ، خُتمت به النبوة والرسالة فلا نبي بعده، وهو نبي الساعة؛ لأنه بُعث بين يدي الساعة، يقول ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦۚ﴾ ذكر الله في هذه الآية أول الرسل وآخرهم ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ الخطاب لمحمد ﷺ وهو آخرهم، ﴿كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ وهو أولهم، فجمع الله في هذه الآية بين طرفي سلسلة الرسل. [**عبد الرحمن البراك**].

والله أرسل جميع الرسل مبشرين ومنذرين كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]، يبشرون من أطاعهم بالجنة وينذرون من خالفهم بالنار.

وإرسال الرسل له حكم عظيمة من أهمها بل هو أهمها أن تقوم الحجة على الناس حتى لا يكون لهم على الله حجة بعد إرسال الرسل، كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥].

---

(١) أخرجه أحمد (٥٦٦٧).

ومنها أنه من تمام نعمة الله على عباده فإن العقل البشري مهما كان لا يمكنه أن يدرك تفاصيل ما يجب لله تعالى من الحقوق الخاصة به، ولا يمكنه أن يطلع على ما لله تعالى من الصفات الكاملة، ولا يمكن أن يطلع على ماله من الأسماء الحسنى ولهذا أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين، وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

وأعظم ما دعا إليه الرسل من أولهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى آخرهم محمد ﷺ التوحيد كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. [**محمد بن عثيمين**].

ولا بد من الإيمان بالرسل جميعهم من أولهم إلى آخرهم، فمن جحد رسولا واحدًا منهم فهو كافر بالجميع، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، فلا بد من الإيمان بجميع الرسل من أولهم إلى آخرهم، من سمى الله منهم في كتابه ومن لم يسم، فإن الرسل كثيرون؛ ولهذا جاء في الحديث: «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ: ثَلاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»(١).

فهم رسل كثيرون منهم من سمى الله في كتابه ومنهم من لم يسم، فيجب علينا الإيمان بجميعهم من أولهم إلى آخرهم. [**صالح الفوزان**].

---

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢٨٨).

وَكُلُّ أُمَّةٍ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهَا رَسُولًا مِنْ نُوحٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ يَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَيَنْهَاهُمْ عَنْ عِبَادَةِ الطَّاغُوتِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]. وَافْتَرَضَ اللهُ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادِ الْكُفْرَ بِالطَّاغُوتِ وَالإِيمَانَ بِاللهِ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: مَعْنَى الطَّاغُوتِ مَا تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِنْ مَعْبُودٍ أَوْ مَتْبُوعٍ أَوْ مُطَاعٍ[1]. وَالطَّوَاغِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ: إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ، وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ، وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ، وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللهُ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لا إله إلا اللهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «رَأْسُ الأَمْرِ الإِسْلامِ، وَعَمُودُهُ الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[2].

وَاللهُ أَعْلَمُ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وأحمد (٢٢٠٦٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٩٤)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٧).

ما من أمة من الأمم إلا وقد بعث الله فيهم رسولاً إقامة منه تعالى للحجة على عباده، وإيضاحًا للمحجة قال سبحانه: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، (يأمرهم بعبادة الله وحده) فكل نبي يدعو قومه إلى هذا وهو الذي بعثت به جميع الرسل ودعوتهم كلهم واحدة وهي إفراد الله بالعبادة (وينهاهم عن عبادة الطاغوت) وترك عبادة ما سواه والتبري منها ومن أهلها فخلاصة جميع رسالات الرسل هو التوحيد والتحذير من الشرك.

(والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾) وقوم (﴿رَّسُولًا﴾) يأمرهم بتوحيد الله قائلاً لهم (﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾) وأخلصوا له العبادة (﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾) بالكفر به، فأول شيء بدأت به الرسل أقوامهم هو التوحيد، وقد أخبر الله أن أول أمر بدأ به نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم من الرسل أن قالوا لأقوامهم: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾، وكما قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومعرفتك لعظمة التوحيد تصرف همتك إليه وإلى معرفته والعمل به غاية جهدك وإلى معرفة ما يضاده، فيجب على العبد أن يهتم غاية الاهتمام بمعرفة أصل الدين قبل الواجب من الفروع كالزكاة والصلاة وغير ذلك فلا تصح الصلاة ولا الزكاة قبل الأصل فلابد من معرفة أصل الدين، ثم معرفة فروعه وفي حديث معاذ ﷺ لما بعثه ﷺ إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ

صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[١]، وهذا يفيد أنهم إذا لم يعلموا التوحيد ولم يعملوا به فلا يدعوهم للصلاة إن لم يطيعوه في الدخول في الإسلام فإن الصلاة وغيرها لا تنفع بدون التوحيد، فإنه لا يستقيم بناء على غير أساس، ولا فرع على غير أصل، والأصل والأساس هو التوحيد، والصلاة وإن كانت هي عمود الإسلام فمع ذلك لم تفرض إلا بعد الأمر بالتوحيد بنحو عشر سنين.

ومما يبين أن التوحيد هو الأصل أنه يوجد من يدخل الجنة ولو لم يصل ركعة واحدة، وذلك إذا اعتقد التوحيد وعمل به ومات متمسكًا به كمن يسلم ثم يقتل شهيداً بعد إسلامه وقبل أن يحين عليه وقت صلاة يقول البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد فقال: يا رسول الله أقاتل وأسلم؟ قال: «لَا بَلْ أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ»، فأسلم ثم قاتل فقتل، فقال رسول الله ﷺ: «عَمَلَ قَلِيلًا، وَأُجِرَ كَثِيرًا»[٢].

والصلاة لا تنفع وحدها مع عدم التوحيد حتى ولو صلى وزكى وصام فأعماله هباء إذا لم يعرف التوحيد ويعمل به ويعتقده في قلبه، كما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وبذلك يعرف عظم شأن التوحيد، وما هلك من هلك إلا بترك العلم بالتوحيد والعمل به وما دخل الشيطان على من دخل ولا مزق عقول من مزق ولا وقع ما وقع إلا من آفة قولهم يكفي النطق بالشهادة، ومجرد المعرفة دون العلم بمعناها والعمل بمقتضاها والاحتراز من نواقضها لا تنفع صاحبها.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٥٣)، ومسلم (١٩٠٠).

ومعرفة التوحيد والشرك من أهون ما يكون وأسهله إجمالاً كما في زمن الصحابة فإنهم كانوا يعرفون التوحيد والشرك فمن قال لا إله إلا الله يترك الشرك ويعلم أنه باطل مناف لكلمة الإخلاص، ولهذا لما دعاهم النبي ﷺ إلى التوحيد وقال: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»(١)، قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥]، وأما حين كثرت الشبهات صعب معرفة التوحيد والتخلص من ضده، وكثر النفاق، وصار الكثير يقول الشهادة ويعبد مع الله غيره، لأنه لا يعرف معناها ويظن أن معناها هو عبادة الله فقط دون الكفر بالطاغوت، أو التلفظ بها دون تحقيق معناها والعمل بمقتضاها.

(وافترض الله) أي: أوجب (على جميع العباد) من إنس وجن، وذكر وأنثى عربي أو عجمي، حر أو عبد، (الكفر بالطاغوت) والتبرؤ من الآلهة وأهلها واعتقاد بطلانها وأنها لا تنفع ولا تضر (والإيمان بالله) أي: إفراده بالعبادة وحده دون سواه. ومن آمن بالله ولم يكفر بالطاغوت لا يسمى موحداً ومن كفر بالطاغوت ولم يعبد الله لا يسمى موحداً، إنما الموحد من جمع بين ركني التوحيد وهما الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، كما قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾، فمن كفر بالطاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

(قال) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المشهور (بابن القيم رحمه الله تعالى) رحمة واسعة وأسكنه أعلى جناته قال في تعريف (الطاغوت) هو: (ما تجاوز به العبد حده) أي: قدْره الذي ينبغي له في الشرع وصار بخروجه منه وتجاوزه طاغوتـًا، سواء كان هذا الطغيان أو التعدي والتجاوز من (معبود) مع الله بأي نوع من أنواع العبادة (أو) من

(١) أخرجه أحمد (١٦٠٦٦).

(متبوع) في معاصي الله ويدخل في ذلك علماء السوء الداعين إلى الكفر والضلال، والكهان والسحرة الذين يُتَّبَعون فيما يقولون (أو) من (مطاع) من دون الله في التحليل والتحريم بأن كان يحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله. فإذا عرفت ما حده ابن القيم في تعريف الطاغوت تبين لك أن (الطواغيت) من الخلق (كثيرون) جداً، وذلك أن كل من تجاوز حده في الشرع صار بخروجه منه وتجاوزه طاغوتـاً، (ورؤوسهم) أي زعماؤهم بالاستقراء والتأمل (خمسة): أولهم: (إبليس) الشيطان الرجيم وهو رأسهم الأكبر فقد تجاوز ما أمر الله به وعصاه وارتكب ما نهاه عنه وهو الداعي إلى عبادة غير الله فهو أول الطواغيت قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وقد (لعنه الله) فهو مطرود مبعد عن رحمة الله كما قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]. (و) الثاني: (من عُبِد وهو راض) بتلك العبادة الصادرة من العابد بأي نوع من أنواعها، فهو طاغوت من رؤساء الطواغيت وكبرائهم سواء عبد في حياته أو بعد مماته إذا مات وهو راض بذلك، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّيٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩]. (و) الثالث من الطواغيت: (من دعا الناس) وحثهم (إلى عبادة نفسه) ممن يقر الغلو والتعظيم بغير حق كفرعون وأهل الضلال الذين غرضهم العلو في الأرض والفساد واتخاذهم أرباباً والإشراك بهم مما يحصل في مغيبهم وفي مماتهم كما قال تعالى إخباراً عن فرعون: أنه قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، فمن دعا الناس إلى عبادة نفسه وإن لم يعبدوه فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجيب لما دعا إليه أم لم يجب لأن العبادة لا تصرف إلا لله فطغى هذا الطاغوت ودعا إلى صرف العبادة عن الله إلى نفسه وهذا من أعظم البهتان.

(ومن ادعى شيئًا من علم الغيب) فهو الرأس الرابع من الطواغيت، كالمنجمين والرمالين من الكهان ونحوهم، فهم من الطواغيت وما يزعمونه كذب وخديعة على عامة الناس، قال سبحانه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فإن علم الغيب لا يعلمه إلا الله لا تعلمه الملائكة ولا من دونهم من الجن أو السحرة أو الكهان وهذا من تمام إحكام الخلق وكمال الهيمنة وعظمة الربوبية قال سبحانه: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٢].

(و) الخامس من الطواغيت: (من حكم بغير ما أنزل الله) كمن يحكم القوانين الجاهلية أو بشيء من وضع البشر وهو ليس من الشرع، قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠]، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، فالله عز وجل هو الذي خلق الخلق وهو أعلم بأحوالهم وأفعالهم وأنزل الأحكام العادلة التي تفصل في حكوماتهم ففرض على جميع الخلق أن يتحاكموا إلى شرعه. [**عبد المحسن القاسم**].

وقوله: (ومن حكم بغير ما أنزل الله)، أي: فهو طاغوت قد تجاوز حده وتعدى حق ربه، ويدخل في هذا كل ما خالف الشرع المطهر فمن ذلك:

١ - الحكم بأعراف الجاهلية والأوضاع الاجتماعية التي تتضمن تغيير أحكام الشرع كتغريم الزاني فدية مالية ونحو ذلك بدلاً عن الحد الشرعي.

٢ - القوانين الدولية التي تتضمن مخالفة أحكام الشريعة المطهرة مثل تشريع المساواة بين المرأة والرجل حتى في الميراث وحق القوامة.

٣ - عموم الدساتير - النظم والقوانين الدولية - التي تتضمن إباحة ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، كتحريم تعدد الزوجات ومنع الطلاق ومساواة المرأة بالرجل في كل شيء أو تحليل الزنا والمسكرات.

٤ - جميع الإجراءات الإدارية المخالفة للشريعة التي جاء بها النبي ﷺ من أي جهة صدرت ولأي غاية وضعت فكل هذه الأحكام طاغوتية يجب الكفر بها والبراءة منها.

٥ - الأنظمة والتعاليم الصوفية والحزبية والدعوية المخالفة للكتاب السنة، والتي يلزم بها المريد نحو الشيخ أو زائر القبر نحو الميت أو التابع نحو الجماعة أو الحزب أو منهاج الدعوة، كشرط الابتداء أو استدامة الانتساب إلى شيخ الطريقة أو الطائفة أو منهاج الجماعة أو الجمعية، فإن كل ما خالف الشرع فهو موضوع تحت الأقدام هو ومن دعا إليه أو ألزم به، قال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال ﷺ: «لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ»(١). [**عبد الله القصير**].

والحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية؛ لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته، وكمال ملكه وتصرفه، ولهذا سمى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠).

أربابا لمتبعيهم فقال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فسمى الله تعالى المتبوعين أربابا حيث جعلوا مشرعين مع الله تعالى، وسمى المتبعين عباداً حيث إنهم ذلوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى. وقد قال عدي بن حاتم رضي الله عنه لرسول الله ﷺ إنهم لم يعبدوهم فقال النبي ﷺ: «أَلَيْسَ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ»؟ قال: قلت: بلى، قال: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»(١). إذا فهمت ذلك فأعلم أن من لم يحكم بما أنزل الله، وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه، وآيات بكفره وظلمه، وفسقه.

فأما القسم الأول:

فمثل قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ٦٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ٦١ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّآ إِحۡسَٰنٗا وَتَوۡفِيقًا ٦٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ وَقُل لَّهُمۡ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَوۡلَۢا بَلِيغٗا ٦٣ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ٦٤ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٩٥).

بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦٥]. فوصف الله تعالى هؤلاء المدعين للإيمان وهم منافقون بصفات:

الأولى: أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت، وهو كل ما خالف حكم الله تعالى ورسوله ﷺ، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حكم من له الحكم وإليه يرجع الأمر كله وهو الله، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

الثانية: أنهم إذا دعوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ﷺ صدوا وأعرضوا.

الثالثة: أنهم إذا أصيبوا بمصيبة بما قدمت أيديهم-ومنها أن يعثر على صنيعهم- جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زعماً منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر.

ثم حذر سبحانه هؤلاء المدعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه سبحانه يعلم ما في قلوبهم وما يكنونه من أمور تخالف ما يقولون، وأمر نبيه أن يعظهم ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً، ثم بين أن الحكمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم، ثم اقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي هي أخص أنواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ، أقسم بها قسماً مؤكداً أنه لا يصح الإيمان إلا بثلاثة أمور:

الأول: أن يكون التحاكم في كل نزاع إلى رسول الله ﷺ.

الثاني: أن تنشرح الصدور بحكمه، ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه.

الثالث: أن يحصل التسليم بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون توان أو انحراف.

وأما القسم الثاني:

فمثل قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وقوله: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل على موصوف واحد؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق، لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. فكل كافر ظالم فاسق، أو هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم.

فنقول: من لم يحكم بما انزل الله استخفافـًا به، أو احتقاراً، أو اعتقاداً أن غيره أصلح منه، وانفع للخلق أو مثله، فهو كافر كفراً مخرجـًا عن الملة، ومن هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجـًا يسير الناس عليه، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق، إذ من المعلوم بالضرورة العقلية، والجبلة الفطرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يخالفه إلا وهو يعتقد فضل ما عدل إليه ونقص ما عدل عنه. ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به، ولم يحتقره، ولم يعتقد ان غيره أصلح منه لنفسه

أو نحو ذلك، فهذا ظالم وليس بكافر وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافـًا بحكم، الله، ولا احتقاراً، ولا اعتقاداً أن غيره أصلح، وأنفع للخلق أو مثله، وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له، أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عرض الدنيا فهذا فاسق، وليس بكافر وتختلف مراتب فسقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابـًا من دون الله أنهم على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ويعتقدون تحليل ما حرم، وتحريم ما أحل الله اتباعـًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركـًا.

الثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال ثابتـًا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب.

وهناك فرق بين المسائل التي تعتبر تشريعـًا عامـًا والمسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله؛ لأن المسائل يتأتى فيها التقسيم السابق، وإنما هي من القسم الأول فقط لأن هذا المشرع تشريعـًا يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه.

وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان فعلى المرء ألا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة نسأل الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحجة عليهم وتتبين المحجة فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ولا يهابن أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

والأمراء يطاعون شرعـاً أو قدراً، فالأمراء يطاعون شرعـاً إذا أمروا بما لا يخالف أمر الله ورسوله وفي هذه الحال لا يصدق عليهم أنهم طواغيت، والواجب لهم على الرعية السمع والطاعة، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعة الله عز وجل ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين ننفذ ما أمر به ولي الأمر مما تجب طاعته فيه أننا في ذلك نتعبد لله تعالى ونتقرب إليه بطاعته، حتى يكون تنفيذنا لهذا الأمر قربة إلى الله عز وجل وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن الله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وأما طاعة الأمراء قدراً فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان، لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة، النافعة لولاة الأمر، والنافعة للناس أيضـاً، وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قويـاً يخشى الناس منه ويهابونه لأنه ينكل بمن خالف أمره.

ولهذا نقول إن الناس مع حكامهم في هذه المسألة لهم أحوال:

الحال الأولى: أن يقوى الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أكمل الأحوال وأعلاها.

الحال الثانية: أن يضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أدنى الأحوال وأخطرها على المجتمع، على حكامه ومحكوميه؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت الفوضى.

الحال الثالثة: أن يضعف الوازع الإيماني ويقوى الرادع السلطاني وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوى الرادع السلطاني صار أصلح للأمة في المظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها.

الحال الرابعة: أن يقوي الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني فيكون المظهر أدنى منه في الحال الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل واعلى. [**محمد بن عثيمين**].

(والدليل) على أن الله افترض على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله (قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾) أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام، لكماله وقبول الفطرة له، ولأنه بيِّن واضح جليٌّ في دلائله وبراهينه، لا يحتاج أن يكره أحداً على الدخول فيه فمن هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوَّر بصيرته دخل على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرهـاً مقسوراً. ولا منافاة بين هذه الآية والآيات الدالة على وجوب الجهاد، لأن الجهاد مشروع لقتال كل من وقف في وجه الإسلام، أما أنه يلزم ويكره على الدخول في الإسلام فلا؛ لأنه (﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾) أي: ظهر وتميز الحق من الباطل، والإيمان من الكفر، والهدى من الضلال، بالآيات والبراهين الدالة على ذلك، فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس

سليمة لابد أن تختار الرشد على الغي. (﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ﴾) بخلع الأنداد والأوثان ويتبرأ منها ومن أهلها فقد حقق الركن الأول من ركني التوحيد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: صفة الكفر بالطاغوت أن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها، وتكفِّر أهلها وتعاديهم[1]. قال ابن القيم رحمه الله: لا يكفي أن يعبد الله ويحبه ويتوكل عليه وينيب إليه ويخافه ويرجوه، حتى يترك عبادة غيره والتوكل عليه والإنابة إليه وخوفه ورجاءه، ويبغض ذلك[2]. (﴿وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ﴾) ويفرده بالعبادة ويخلص له جميع الأعمال فقد حقق الركن الثاني من ركني التوحيد قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: ومعنى الإيمان بالله: أن تعتقد أن الله هو الإله المعبود وحده دون من سواه، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله، وتنفيها عن كل معبود سواه، وتحب أهل الإخلاص وتواليهم، وتبغض أهل الشرك وتعاديهم[3]. فمن حقق ركني التوحيد وهما الكفر بالطاغوت والإيمان بالله (﴿فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ﴾) أي: تمسك (﴿بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾) وهي: التوحيد، والعروة هي: موضع شد اليد، والوثقى هي: القوية (﴿لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾) أي: لا تنفك ولا تنفصم، أي: قد ثبت في أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم، فمن تمسك بالتوحيد وكفر بالطاغوت وصل الجنة بكل حال (وهذا معنى لا إله إلا الله)، فإن معنى (لا إله) كفر بالطاغوت و(إلا الله) إيمان بالله واستسلام لأمره وشرعه، وبدأ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله لأن من كمال الشيء إزالة الموانع قبل وجود الثوابت. [**عبد المحسن القاسم**].

---

(١) مجموعة التوحيد (ص: ٢٦٠).

(٢) شفاء العليل (ص: ٣٤٦).

(٣) مجموعة التوحيد (ص: ٢٦٠).

ودين الإسلام هو دين الفطرة فلا يحتاج إلى إكراه باعتناقه ولذلك قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾، والمعنى: لا تكرهوا أحداً على الدخول في الإسلام فإنه دين القيمة، وذلك لأن دلائل صحته وأحقيته ظاهره، وبراهين مصلحته الكاملة والراجحة للناس دنيا، وأخرى قطعية بحيث لا يكره أحد على الدخول فيه بل أدعوا إليه بأقوالكم وأفعالكم وأحوالكم فإن من تأمله ورأى حال أهله المستقيمين عليه من العقلاء تبين له حسنه وعظم نفعه وما في ضده من القبح والشر في العاجل والآجل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾، أي: قد تبين الحق من الباطل بالحجج والبراهين، فمن قبله فله المثوبة والأجر، ومن لم يقبله فهو مُعْرِض متعرض للعقوبة.

وبعد ذلك شرع الجهاد فصار الناس أصنافًا:

١ - أهل الكتاب: عليهم الجزية إن لم يؤمنوا مع أنهم مشركون إلا أنه تقديراً لكتابهم، فتؤخذ الجزية منهم وهم صاغرون، وهكذا المجوس أمر النبي ﷺ أن تسن بهم سنة أهل الكتاب في هذا الشأن.

٢- المشركون من العرب وغيرهم من الأمم: فهؤلاء إن لم يسلموا فإنهم يقاتلون حتى يسلموا أو يستسلموا، ويرجع فيما يفعل بهم إلى اجتهاد الإمام - ولي الأمر العام - فينظر فيهم بما تقتضيهم المصلحة فقد يخيرهم بين الفدية أو القتل أو الرق، أو يمن عليهم بالعفو دون مقابل إن كانت مصلحة ذلك راجحة. [**عبد الله القصير**].

و(رأس الأمر) يعني رأس الدين الذي جاء به النبي ﷺ هو (الإسلام) يعني شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فمن التزم بها دخل الإسلام. وأراد المصنف رحمه الله الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شيء رأسا فرأس الأمر الذي جاء به محمد ﷺ

الإسلام، فمن انتسب إلى ما جاء به النبي ﷺ وادعى أنه من أمة الإجابة وقد فقد منه رأس الأمر وحقيقته وهو الإسلام فليس من أمة الإجابة، والإسلام هو الملة والدين فمن فقد منه فقد كذب وافترى في دعواه الاستجابة لله ورسوله. (وعموده) أي الدين (الصلاة) هذا فيه عظم شأن الصلاة وأنها من الدين بهذا المكان العظيم وهو أن مكانها من الدين مكان العمود من الفسطاط، فكما أن عمود الفسطاط إذا سقطت سقط الفسطاط، فكذلك إذا فقدت الصلاة سقط دين تاركها ولم يبق له دين، قال ابن رجب رحمه الله: وأما قوام الدين الذي يقوم به الدين كما يقوم الفسطاط على عموده فهي الصلاة[1].

وهي من أحب الأعمال إلى الله، وأول ما يحاسب عليها العبد من عمله يوم القيامة وهي التي فرضها الله تعالى بنفسه ليلة المعراج فلم يجعل فيها بينه وبين محمد ﷺ واسطة وهي أهم أمر الدين وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكتب إلى عماله: إن أهم أمركم عندي الصلاة فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. وهي تنهى عن الفحشاء والمنكر وتورث الخشوع، والخشية من الله.

(وذروة) الشيء أعلاه وأرفعه و(سنام) هذا الدين ورفعته وعزته هو في (الجهاد في سبيل الله) لأن به صيانة الدين وحمايته، وبه دعوة الناس إلى دين الله وإلزامهم بالحق فهو ذروة سنامه من جهة ما تضمنه من حماية الدين والدعوة إلى الحق.

فالجهاد هو أعلى وأرفع خصال الدين، قال ابن رجب رحمه الله: وهذا يدل على أنه أفضل الأعمال بعد الفرائض[2]. وقال ابن دقيق العيد رحمه الله: الجهاد لا يقاومه شيء

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٤).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٤٦).

من الأعمال[١]. وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: دلني على عمل يعدل الجهاد قال: «لَا أَجِدُهُ»، قال: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلَا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلَا تُفْطِرَ؟» قال: ومن يستطيع ذلك[٢]. وذلك لأن فيه بذل المهج التي ليس شيء أنفس منها ولا يعادلها شيء البتة فيبذل مهجته ويبذل ماله لظهور الدين وتأييده ولما فيه من جهاد الكفار والمنافقين فبذلك استحق أن يكون من الدين بهذه المكانة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١﴾ [الصف: ١٠-١١]، وقال جل وعلا: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]، وقد جاءت نصوص عديدة في فضائله وما أعد الله للمجاهدين من عظيم الثواب كقوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ: أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[٣]. وقوله ﷺ «غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[٤]. وقد أعد الله للمجاهدين درجات عالية في جنات النعيم، قال ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

---

(١) شرح الأربعين لابن دقيق العيد (ص: ١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٣٥)، ومسلم (١٨٧٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦١٩٩)، ومسلم (١٨٨٣).

وَالْأَرْضِ»[١]. والجهاد ركن من أركان الدين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: كمال الإسلام هو بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتمام ذلك بالجهاد في سبيل الله[٢].

ثم ختم المصنف رحمه الله هذا المصنَّف العظيم بردِّ العلم إلى مَنْ هو بكل شيء محيط علماً فقال: (والله أعلم)، ثم صلى على خير خلقه بقوله: (وصلى الله) أي: اللهم اثن (على) نبينا (محمد) في الملأ الأعلى (و) اثن أيضاً (على آله) وهم أتباعه على ملته (وصحبه) أي: صحابته الكرام (وسلم) عليهم واجعلهم سالمين من الآفات والآثام والمكاره. [**عبد المحسن القاسم**].

تمت هذه الرسالة، وأسأل الله جل وعلا أن ينفعنا بها، وأن يهيئ لنا من أمرنا رشداً، وأن يجعلنا من أهل التوحيد الذين يعلون رايته وينافحون عنه، ويدافعون عنه وعن أهله، ونسأله العفو والغفران من جميع الزلل والسيئات. [**صالح آل الشيخ**].

نسأل الله أن يجعلنا من عباده الموحدين وأن يحشرنا مع النبيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً. [**عبد المحسن القاسم**].

وإلى هنا انتهى ما أردنا كتابته على هذه النبذة المفيدة نسأل الله تعالى أن يكتب الأجر لمؤلفها ومن شرحها وقرأها عاملاً بما فيها من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ. والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. [**عبد الله الفوزان**].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٣٧).

(٢) الفتاوى (١٠/ ٣٠٠).